من تراث الأحساء



تأليف

سماحة العلامة آية الله

الشيخ محمد بن عبد الله آل عيثان قدس سره

المتوفى سنة ١٣٣١ هجرية

تقديم

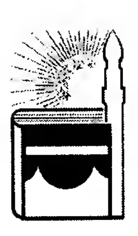
السيد هاشم السيد محمد الشخص

تحقيق ونشر

مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر


بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الرد على النصارى



مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر

اسم الكتاب: الرد على النصارى

تأليف: العلامة الشيخ محمد بن الشيخ عبدالله آل عيثان قدس سره

قدّم له: السيد هاشم محمد السيد هاشم الشخص

تحقيق ونشر: مؤسسة أُم القرى للتحقيق والنشر

الطبعة الأولى: ربيع الثاني/١٤٢٤هـ ــ ٢٠٠٣م

لبنان/بيروت/الغبيري ص ــ ب ٢٧٨/٢٥

info@Omalqora.com

الرد على النصارى

تأليف

العلامة الحجة الشيخ محمد بن الشيخ عبدالله آل عيثان

تقديم

السيد هاشم محمد السيد هاشم الشخص

تحقيق ونشر

مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر

۞ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا
بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم
مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ
وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ
أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا
سِحْرٌ مُّبِينٌ ۞

تقديم

بقلم: السيد هاشم محمد هاشم الشخص

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي القارئ الكريم كتاب لأحد أعلام الأحساء البارزين ذلك هو العلامة الحجة الشيخ محمد بن الشيخ عبد الله آل عيثان، والكتاب عبارة عن ردود ودفع لشبهات طالما كان يثيرها أعداء الإسلام ضد ديننا الحنيف والرسول الأعظم محمد ﷺ.

ومع أن الكتاب أُلف قبل أكثر من مئة عام في الرد على كتاب لأحد النصارى إلا أن الشبهات نفسها أو قريب منها لا تزال تثار بشكل وآخر وبين الفينة والأخرى لغرض النيل من سمعة الإسلام وكرامة النبي محمد ﷺ مما يستدعي من علماء الأمة وحماة الشريعة التصدي لدحض تلك الشبهات والدفاع عن مبادئ الإسلام ونبيه الكريم ﷺ.

وفي هذا الإطار جاءت جهود السادة الكرام القائمين على (مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر) ـ سددهم الله تعالى ـ لنشر هذا الكتاب وأمثاله مما

يخدم الشريعة المقدسة وينور أفكار المسلمين ويرد كيد الأعداء إلى نحورهم.

فنـتقدم لهم بالشكر ولجميع العاملين في المؤسسة على ما بذلوا ويبذلوه من جهود مهمة في سبيل نشر وإحياء الكتب النافعة والمفيدة خصوصاً ما كان مـنها من تراث علماء بلادنا الأعلام (رضوان الله تعالى عليهم) لكونها الأكثر نسياناً وإهمالاً. كما ونتقدم بالشكر الجزيل للأخ الفاضل العزيز سماحة الشيخ عبدالمحسـن البقشـي عـلى مـا بذلـه مـن جهـد في تحقيق الجانب العلمي من الكتاب.

وأخـيراً أضـع أمـام القـارئ تعريفاً بسيرة وحياة الشيخ المؤلف (الشيخ محمـد آل عيـثان قدّس الله سرّه) أخذتهـا مـن كتابي: (أعلام هجر) القسم المخطوط آمـلاً أن يكـون ذلـك مسـاهمة في دعـم وإحـياء تراث أولئك الأعلام وإحياء ذكرهم، حشرنا الله وإياهم في زمرة محمد وآله إنه سميع مجيب.

ترجمة المؤلف(1)

اسمه:

الشيخ محمد بن الشيخ عبد الله بن الشيخ علي بن الشيخ أحمد بن

---

(1) له ذكر وترجمة في:

1 ـ الأزهار الأرجية: ٢: ٤١ و١٦٨ و١٨٧، و٨: ١٤٣.

2 ـ أنوار البدرين: ٢٤٦ و٤١٥.

3 ـ دائرة المعارف الاسلامية الشيعية: ٣: ١٠١، مادة (الأحساء).

4 ـ الذريعة: ١١: ٢١٨، و١٣: ٣٤٣ و١٥: ١٩٣ و٢٥: ١٨٤ رقم [١٦٨].

5 ـ طبقات أعلام الشيعة: القرن ١٤ ص١٢٩، القسم المخطوط.

6 ـ معارف الرجال٣: ٢٦٦.

7 ـ معجم رجال الفكر والأدب في النجف ١: ٩٠، الطبعة الثانية.

8 ـ مقدمة هداية العباد ـ من مؤلفات صاحب الترجمة : ٢ ـ ٨ بقلم الخطيب الشهير السيد محمد حسن الشخص.

9 ـ منتظم الدرّين: رقم [٨٥٠]، مخطوط.

الشيخ علي آل عيثان الهجري الأحسائي القاري.

علامة فقيه مجتهد، جليل القدر، ومرجع تقليد.

أسرته:

(آل عيثان) أسرة علمية جليلة ذات شأن رفيع، أنجبت العديد من العلماء الأفذاذ.

وتعود أصول هذه الأسرة الكريمة إلى (بني شَيْبان) من بكر بن وائل ويُعتقد أنهم من أعقاب (آل أبي جمهور) ـ أسرة العلامة الشهير الشيخ محمد بن أبي جمهور الأحسائي المتوفى بعد سنة ٩٠٢ هـ ـ أو من أبناء عمومتهم[١].

مواطن هذه الأسرة، من القديم بلدة (القارة) بالأحساء، ومنها نزح العديد منهم في أوائل وأواسط القرن الثالث عشر الهجري إلى نواحي (البصرة) بالعراق والى كلٍّ من مدينة (الهُفّوف) وبلدتي (الحُلَيلة) و(العَقار) بالأحساء.

ويعرف آل عيثان الذين يقطنون (حيّ الرفعة) بمدينة (الهُفُوف) بـ (آل المِنْحاش)، وهم أبناء محمد بن علي آل عيثان الذي نزح من (القارة) في منتصف القرن الثالث عشر الهجري[٢].

---

(١) أعلام الأحساء ١: ١٣.

(٢) المصدر نفسه.

وقـد بـرز من (آل عيثان) خلال أكثر من قرنين من الزمن عدد من كبار رجـال العـلم والأدب، كـان بعضـهم مـن أجلاء علماء الإمامية وبعضهم من مراجع التقليد.

لكـن للأسـف الشـديد ضـاع أكـثر تـراث أولـئك الأعلام واندرست آثارهم، ولم يصل بأيدينا إلا القليل جداً عن أخبارهم وأحوالهم.

والمترجـم لــه الشـيخ محمـد آل عيثان يُعد أبرز عَلَمٍ من هذه الأسرة في القـرن الـرابع عشـر الهجـري، وهـو رمز عزتها ومجدها، وقد توَلّد من سلالة علمـية كـريمة وآباء ذوي شأن عظيم، قال في (أنوار البدرين): ((وكان (أيده الله تعـالى) ـ يعـني صـاحب الترجمـة ـ مـن بيـت عـلم، وكـثير مـن آبائـه علماء فضلاء))[١].

وكما كانوا بالأمس لهم بروزهم ومكانتهم في العلوم الشرعية والفقاهة والاجـتهاد، فهـم الـيوم أيضـاً العديـد ممن سجلوا حضوراً متميزاً في مجالات مختلفة، فمنهم الأطباء والأدباء والمؤلفون وأساتذة الجامعات وغيرهم.

ولتسليط الضوء أكثر على مكانة هذه الأسرة نضع أمام القارئ الكريم لائحة تعريفية لأهم أعلامهم.

وهم حسب تسلسلهم الزمني كالتالي:

---

(١) أنوار البدرين: ٤١٥.

١ ـ الشيخ محمد بن علي بن إبراهيم بن محمد بن حسين بن عيسى آل عيثان الأحسائي القاري.

كان من كبار علمائنا وأجلائهم في القرن الثاني عشر الهجري، توطَّنَ مدينة (شيراز) بإيران وتوفي بها، من مؤلفاته: الحاشية على كتاب (مفاتيح الشرائع) للمولى محسن الفيض الكاشاني.

٢ ـ الشيخ حسين بن الشيخ محمد بن علي بن إبراهيم..... آل عيثان الأحسائي.

علامة فقيه جليل القدر، وأديب شاعر، ولد في أواسط القرن الثاني عشر الهجري، وتوفي في إيران قبل عام ١٢٤٠ هـ.

٣ ـ الشيخ أحمد بن الشيخ علي آل عيثان، من علماء الأحساء في القرن الثاني عشر الهجري، كان حيّاً سنة ١١٩٤ هـ، وهو الجد الثاني لصاحب الترجمة الشيخ محمد بن الشيخ عبد الله بن الشيخ علي بن الشيخ أحمد.

ذكر في (أعلام الأحساء) ج١ ص٩٩.

٤ ـ الشيخ إبراهيم بن حجي آل عيثان الأحسائي القاري، من علماء القرن الثاني عشر الهجري أيضاً.

كان حياً سنة ١١٩٩ هـ، ولم يعرف عن حياته شيء.

ذكره الحاج جود الرمشان في كتابه (أعلام الأحساء) ج١ ص١٣.

٥ ـ الشيخ لطف الله بن الشيخ علي آل عيثان الأحسائي، من العلماء الذين عاشوا ما بين أواخر القرن الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر

الهجريين، وكان حيا في العاشر من شهر صفر سنة ١٢٠١ هـ حيث وجدت وثيقة بإمضائه في التاريخ المذكور، ويحتمل أنه أخو الشيخ أحمد بن الشيخ علي المتقدم.

ولا نعلم عنه شيئاً غير هذا.

٦ ـ الشيخ عبد الله بن إبراهيم آل عيثان الأحسائي، فاضل عالم جليل يحتمل أنه ابن الشيخ إبراهيم المتقدم، كان مرافقاً للعلامة الشهير الشيخ أحمد ابن زين الدين الأحسائي. توفي بعد سنة ١٢٤١ هـ.

٧ ـ الشيخ عبد الله بن الشيخ علي بن الشيخ أحمد بن الشيخ علي آل عيثان الأحسائي، كان من علماء الأحساء في عصره، وهو والد العلامة الشيخ محمد صاحب عنوان هذه الترجمة.

توفي في بلدة (القارة) بالأحساء سنة ١٣٠٦ هـ، ولا يعلم عن حاله شيء، وله من الأبناء ـ بالإضافة إلى الشيخ محمد ـ أربعة هم: الأديب الحاج علي وأحمد والشيخ حسن وعبد الله.

٨ ـ الشيخ أحمد بن الشيخ محمد بن الشيخ علي بن الشيخ أحمد بن الشيخ علي آل عيثان الأحسائي، ولد في بلدة (القارة) بالأحساء حدود عام ١٢٤٩ هـ، وتوفي بها حدود سنة ١٣١٧ هـ.

وهو ابن عم العلامة الشيخ محمد آل عيثان صاحب الترجمة.

٩ ـ الشيخ علي بن الشيخ محمد بن الشيخ علي بن الشيخ أحمد آل عيثان الأحسائي، هو أخو الشيخ أحمد المتقدم، علامة فاضل جليل القدر.

ولـد في بلـدة (القـارة) بالأحسـاء حدود سنة ١٢٥٣هـ، وتوفي بها سنة ١٣٢٦ هـ.

١٠ ـ الشـيخ محمـد بـن الشيخ عبد الله بن الشيخ علي بن الشيخ أحمد آل عيثان، المولود سنة ١٢٦٠ هـ والمتوفى سنة ١٣٣١هـ.

وهـو صـاحب عنوان هذه الترجمة، وأبناؤه اثنان: الشيخ حسن والشيخ علي.

١١ ـ الشـيخ حسـن بن الشيخ عبد الله بن الشيخ علي بن الشيخ أحمد آل عيثان، فاضل أديب شاعر، وخطيب حسيني،

وهو أخو الشيخ محمد المتقدم لأبيه، وُلدَ في بلدة (القارة) بالأحساء سنة ١٢٩٢هـ، وتـوفي في (الـبحرين) سـنة ١٣٤٩هـ، ولـه من الأبناء اثنان هما: الخطيب الحاج ملا عبدالحسين والأديب الحاج محمد.

١٢ ـ الأديـب الحاج علي بن الشيخ عبد الله بن الشيخ علي بن الشيخ أحمد بن الشيخ علي آل عيثان، أديب شاعر.

وهـو الأخ الـثاني للشـيخ محمـد صـاحب الترجمة، توفي في العراق سنة ١٣٣٧هـ.

ولـه من الأبناء اثنان هما: أحمد (وقد توفى وليس لـه ذرية) والحاج عبد الله، والأخير هو والد الأديب المعاصر الشيخ معتوق بن الحاج عبد الله.

١٣ ـ الشـيخ حسن بن الشيخ محمد بن الشيخ عبد الله بن الشيخ علي بـن الشـيخ أحمـد بـن الشـيخ علـي آل عيثان، فاضل تقي، وهو الابن الأكبر

للشيخ محمد صاحب الترجمة.

وُلد في بلدة (القارة) بالأحساء سنة ١٣١٦ هـ، وتوفي في (كربلاء المقدسة) بتاريخ ١٤ ذو القعدة سنة ١٣٦٧هـ، وليس له عقب.

١٤ ـ الخطيب ملا محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد آل عيثان، ويعرف بـ (ملا محمد المُتْعب).

كان من كبار خطباء المنبر الحسيني، ولد في بلدة (القارة) بالأحساء سنة ١٣٥٠هـ الموافق ١٩٣٠م، وتوفي في (مستشفى الشعب) ببغداد في العراق بتاريخ أواخر شهر ١٢ سنة ١٩٦٨م الموافق لعام ١٣٨٨هـ، وله من العمر ٣٨ عاماً.

وخلَّف من الأولاد أربع بنات وخمسة بنين، والأبناء هم:

إبراهيم ـ وقد توفي سنة ١٤١٥هـ ـ وقاسم والأديب الشاعر باسم وأحمد والدكتور مشتاق.

١٥ ـ الأديب الحاج محمد بن الشيخ حسن بن الشيخ عبد الله بن الشيخ علي بن الشيخ أحمد بن الشيخ علي آل عيثان، أديب شاعر.

وهو الابن الأكبر للشيخ حسن ـ أخو الشيخ محمد صاحب الترجمة ـ، توفي في بلدة (القارة) بالأحساء يوم الثلاثاء ١٣٩٥/١/١٦هـ، وهو جد الأديب المعاصر الأستاذ أحمد بن معتوق العيثان لأمه.

١٦ ـ الشيخ علي بن الشيخ محمد بن الشيخ عبد الله بن الشيخ علي بن الشيخ أحمد بن الشيخ علي آل عيثان، علامة فقيه مجتهد.

ولـد في بلـدة (القـارة) بالأحسـاء سـنة ١٣١٨هـــ، وتـوفي في (كـربلاء المقدسة) سنة ١٤٠١هـ، وعمره ٨٣ عاماً.

١٧ ـ الخطيـب الحـاج ملا عبد الحسين بن الشيخ حسن بن الشيخ عبد الله بـن الشـيخ علـي بـن الشـيخ أحمـد آل عيـثان، هو ابن أخي الشيخ محمد صاحب الترجمة.

مـن خطباء الأحساء وأدبائها، كان شاعراً أديباً وخطيباً حسينياً، ولد في بلدة (القارة) بالأحساء سنة ١٣٣٣ هـ، وتوفي في (مستشفى أرامكو) بالظهران بـتاريخ ١٤١٤/٥/١٥هـــ، ونقـل جـثمانه إلى مسقط رأسه حيث وُريَ الثرى في مقبرة (القارة) بالأحساء.

وخلف من الأبناء ثلاثة، هم:

١ ـ الأديب الحاج حسن (أبو علاء).

٢ ـ والحاج عبد الأمير (أبو أحمد).

٣ ـ ومحمد (أبو رامي).

١٨ ـ الخطيـب الشـيخ ملاً محمد (أبو صادق) بن علي بن عبد الوهَّاب بن علي بن حسين آل عيثان.

ويعـرف بـــ (ملا محمد الوهَّاب العيثان)، من خطباء المنبر الحسيني، ولد في بلدة (القارة) بالأحساء حدود عام ١٣٤٩هـ، وعاش جلَّ حياته في (كربلاء) بالعراق، من قرَّاء المنبر الحسيني في حرم الإمام الحسين والعباس عليهما السلام.

ومـن شعره الشعبي القصيدة المعروفة في رثاء السيدة الزهراء عليها السلام والتي

مطلعها:

أو يلــي حــين حِضْــرَتها المنــيَّة   حِضَـر يَمْهَـا الوَصـي ابوقْت الوصية

تِقلَّــه اقــرب يــبعد الــروح لــيَّه   قـرب يَمْهـا أو مـن عيـنه الدمـع خر

تـوفي ﷺ في وطـنه (القـارة) بالأحساء بتاريخ ٤/٢٧/ سنة ١٤١٦هـ، وله من العمر حوالي ٦٧ عاماً، وله من الأبناء أربعة هم:

١ ـ الحاج صادق (أبو ميثم).

٢ ـ والحاج جعفر (أبو حسام).

٣ ـ وتوفيق.

٤ ـ والدكتور أحمد.

١٩ ـ الشـيخ حسين بن الشيخ علي بن الشيخ محمد بن الشيخ عبد الله ابـن الشـيخ علـي بـن الشـيخ أحمد آل عيثان، هو حفيد الشيخ محمد صاحب الترجمة، وهو آخر مشايخ آل عيثان.

ولـد في (كـربلاء المقدسـة) بالعـراق سـنة ١٣٥٥ هــ، ودرس العلم في (كـربلاء) و (الـنجف)، ثـم نـزل إلى الأحسـاء سنة ١٤٠٢ هـ، وحجَّ بيت الله الحـرام سـنة ١٤٠٥ هــ، وبعد بضع سنين سكن منطقة (القطيف) حتى قُرْب وفاتـه، وتـوفي في مـنزلـه بمديـنة (الهُفّـوف) بالأحسـاء لـيلة الجمعـة الموافـق ١٤١٩/٥/٥هـ.

وله من الأبناء خمسة هم:

١ ـ الحاج محمد علي (أبو غَزْوان).

٢ ـ والدكتور موفق.

٣ ـ ومؤيد.

٤ ـ ومظفر.

٥ ـ ومنتظر.

مولده ونشأته:

ولد في بلدة (القارة) بالأحساء سنة ١٢٦٠هـ، وبها نشأ وترعرع تحت رعاية والده العلامة الشيخ عبد الله آل عيثان.

تحصيله العلمي:

تلقى أولاً مبادئ العلوم في الأحساء على يد والده العلامة الشيخ عبد الله وغيره من الأعلام.

ثم هاجر إلى (النجف الأشرف) لإكمال دراسته سنة ١٢٨٢ هـ وله من العمر ٢٢ عاماً، وحضر هناك دروس السطوح وعلم الكلام والحكمة وخارج الفقه والأصول لدى عدد من كبار العلماء وخيرة الأساتذة.

وبقي في (النجف) مشغولاً بالدراسة والبحث والتحقيق ٢٧ عاماً، كان خلالها يتردد على مدينة (كربلاء) في صيف كل عام ليحضر دروس الحكمة لدى الميرزا محمد باقر بن محمد سليم الأسكوئي حتى توفي الميرزا المذكور سنة ١٣٠١هـ.

وبعد أن حاز على أعلى درجات الاجتهاد وأصبح من الفقهاء البارزين

والحكماء العارفين عاد إلى وطنه الأحساء، وذلك سنة ١٣٠٩ هـ، واستقر في مسقط رأسه وموطن آبائه وأجداده بلدة (القارة).

أساتذته ومشايخه:

وأهم من حضر عليهم من الأساتذة هم:

١ ـ والده العلامة الشيخ عبد الله بن الشيخ علي بن الشيخ أحمد آل عيثان، المتوفى سنة ١٣٠٦ هـ.

حضر عليه بداية دراسته في الأحساء.

٢ ـ العلامة الحجة الشيخ محمد حسين بن الشيخ هاشم الكاظمي المتوفى سنة ١٣٠٨هـ.

حضر لديه أبحاث الخارج في الفقه والأصول، وكان من الملازمين له حتى وفاته.

٣ ـ الحجة الشهير الشيخ محمد طه نجف النجفي، المتوفى سنة ١٣٢٣هـ.

أيضا حضر عليه خارج الفقه والأصول.

٤ ـ العلامة الحجة السيد محمد مهدي بن السيد حسن القزويني الحسيني النجفي الحلي، المتوفى سنة ١٣٠٠هـ.

حضر عنده في الفقه والكلام والحكمة.

٥ ـ الميرزا محمد باقر بن محمد سليم الاسكوئي التبريزي، المتوفى سنة ١٣٠١هـ.

قرأ عليه في مدينة (كربلاء) الكتب التالية: (شرح العرشية) و(شرح المشاعر) و(شرح الفوائد الحكمية)، وكلها في علم الحكمة من تأليف الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي، كما قرأ عليه كتاب (اللوامع الحسينية) في الحكمة لتلميذ الشيخ أحمد الأحسائي السيد كاظم الحسيني الرشتي المتوفى سنة ١٢٥٩ هـ.

وله الإجازة ـ دراية ورواية ـ من جميع مشايخه المذكورين.

٦ ـ وأجيز أيضاً بالاجتهاد والرواية من الإمام المجاهد السيد ميرزا حسن بن السيد محمود الحسيني الشيرازي، المتوفى سنة ١٣١٢ هـ.

مقامه العلمي:

يُعدُّ شيخنا المترجم له من كبار علمائنا وأجلائهم في عصره، وقد شهد له بالاجتهاد المطلق كافة مشايخه المتقدمي الذكر (الشيخ محمد حسين الكاظمي والشيخ محمد طه نجف والسيد محمد مهدي القزويني والميرزا حسن الشيرازي والميرزا محمد باقر الأسكوئي) الذين كانوا أئمة الشيعة ومراجع الدين في عصرهم، وقد أذعن له كل من عرفه بالمقام الشامخ والعلم الجم.

وسيأتي في فصل لاحق نقل ما قيل في شأنه من قبل عدد من العلماء الإجلاء.

ولمقامه العلمي الرفيع ومكانته السامية تَسلَّمَ في الأحساء الزعامة الدينية ـ فور عودته إليها من النجف سنة ١٣٠٩ هـ، وانقادت له الجماهير في

بلاده ومحيطه، وأصبح بعد فترة وجيزة من زعماء الدين وأئمة المسلمين.

وبعد وفاة المرجع الكبير الحجة الشيخ محمد بن الشيخ حسين أبو خمسين الأحسائي سنة ١٣١٦ هـ رجع إلى الشيخ المترجم في التقليد معظم أهالي الأحساء وكثير من أهالي القطيف والبحرين و(دُبَي) والكويت والبصرة وأطرافها، فأصبح في منطقة (الخليج) من كبار مراجع التقليد وزعماء الطائفة وكان يعرف في المنطقة بلقب (شمس الشموس) لما له من الشأن العظيم والمنزلة العلمية الرفيعة.

تلامذته:

وقد تتلمذ عليه في النجف والأحساء عدد من العلماء الأفاضل، أهمهم:

١ ـ العلامة الحجة السيد ماجد بن السيد هاشم العوامي القطيفي المتوفى سنة ١٣٦٧ هـ.

قرأ عليه في النجف بعض كتب الحكمة [1].

٢ ـ المرجع الكبير السيد ناصر بن السيد هاشم الأحسائي، المتوفى سنة ١٣٥٨ هـ.

(١) الأزهار الأرجية٢: ٤١، وأعلام العوامية١: ١١٢.

درس عنده في الأحساء الحكمة الإلهية حوالي عام ١٣١٩ هـ [١].

٣ ـ العلامة الحجة المرجع الشيخ عبد الله بن معتوق القطيفي التاروتي المتوفى سنة ١٣٦٢ هـ ، تتلمذ عليه في الأحساء سنة ١٣١٢ هـ .

يقول الشيخ فرج آل عمران في ترجمة الشيخ عبد الله بن معتوق من كتابه (الأزهار): «عاش في الأحساء واستقام مدة هناك يتلقى بعض الدروس عند أستاذه العلامة الشيخ محمد بن عيثان أعلا الله مقامه»[٢]، وله أيضاً الرواية عنه.

٤ ـ العلامة الشيخ ميرزا موسى بن الميرزا محمد باقر بن محمد سليم الأسكوئي التبريزي الحائري، المتوفى سنة ١٣٦٤هـ.

حضر عليه دروس الحكمة، وله أيضا الرواية عنه.

٥ ـ المرجع الشيخ حبيب الله بن الشيخ صالح بن قُرين الاحسائي، المتوفى سنة ١٣٦٤ هـ، وله أيضا الرواية عنه.

٦ ـ الشيخ أحمد بن الشيخ حبيب بن خميس الدَّنْدَن الأحسائي، المتوفى سنة ١٣١١هـ.

استفاد منه في الأحساء في السنة الاولى لنزول المترجم من النجف.

---

(١) مجلة الموسم: العدد ٩ ـ ١٠ ص٤٦٣، نقلاً عن (ذكرى السيد ناصر).

(٢) الأزهار الأرجية ٢: ١٦٨ بتصرف.

٧ ـ الشيخ حسين بن الشيخ محمد بن الشيخ أحمد المُمَتّن الأحسائي المتوفى سنة ١٣١٦ هـ، والد الشيخ عبد الكريم المُمَتّن.

حضر عنده في الأحساء أيضاً.

٨ ـ أخو المترجم له الشيخ حسن بن الشيخ عبد الله آل عيثان المتوفى سنة ١٣٤٩هـ.

٩ ـ الشيخ حسين بن محمد بن عثمان الدندن، المتوفى سنة ١٣٦٣هـ.

١٠ ـ ١١ ـ ولدا المترجم له الشيخ حسن المتوفى سنة ١٣٦٧هـ والشيخ علي المتوفى سنة ١٤٠١هـ.

شيء من سيرته:

هاجر من الأحساء إلى (النجف الأشرف) لتحصيل العلوم الدينية سنة ١٢٨٢ هـ وعمره ٢٢ عاماً ـ كما أسلفنا ـ، وبقي هناك ٢٧ سنة.

وفي سنة ١٣٠٦ هـ توفي في الأحساء والده العلامة الشيخ عبد الله آل عيثان، وكان الوصيَّ للشيخ عبد الله كلٌّ من الشيخ محمد صاحب الترجمة وأخيه الحاج علي، فسافر من الأحساء إلى النجف الحاج علي المذكور وأخوه الآخر الشيخ حسن لمراجعة أخيهما المترجم في شأن وصية أبيهم وتركته.

وعلى إثر ذلك عاد الشيخ صاحب الترجمة إلى الأحساء مع أخويه الحاج علي والشيخ حسن، وكان ذلك سنة ١٣٠٩ هـ ـ أي بعد وفاة أبيهم بحوالي ثلاث سنين ـ، وبعد الانتهاء مما يرتبط بوصية الأب وتركته استقرت بالمترجم

الدار في مسقط رأسه ووطن آبائه بلدة (القارة).

وكان في وطنه يقوم بواجباته الدينية والارشادية مرجعاً للناس وإماماً شأنه شأن غيره من علماء الأحساء ومراجعها ذلك الحين.

وفي سنة ١٣١٦هـ حيث توفي مرجع الأحساء الكبير - بل مرجع الكثيرين من أهالي دول الخليج والبصرة وغيرها - الشيخ محمد بن الشيخ حسين أبو خمسين رجع إلى المترجم له في التقليد معظم مقلدي سلفه - كما تقدم - فأصبح من كبار مراجع الدين على صعيد المنطقة كلها.

وكان - بالإضافة إلى تصديه للمرجعية والزعامة - إماماً لصلاة الجماعة في مسجده الذي لا يزال يعرف باسمه في بلدة (القارة) حتى تاريخ إعداد هذه الترجمة سنة ١٤٢٣هـ.

وفي سنة ١٣٢٠هـ حصلت ظروف خاصة ترك المترجم له بسببها وطنه (القارة) وانتقل إلى بلدة (الحُلَيْلَة) المجاورة واتخذها له وطنا جديداً.

وكان في (الحُلَيْلَة) - كما كان من قبل في (القارة) - يقوم بأعباء الزعامة والمرجعية لكافة أنحاء البلاد وما جاورها، كما كان يؤدي واجبه في هداية الناس وإرشادهم والتدريس والتأليف حتى توفي في (الحُلَيْلَة) سنة ١٣٣١هـ.

وفاته ومراثيه:

توفي ﵀ في قرية (الحُلَيْلَة) بالأحساء يوم الأربعاء ٢٦ ذو الحجة سنة ١٣٣١ هـ، ودفن في مقبرة (الحُلَيْلَة)، وقبره فيها معروف إلى اليوم.

١ ـ (ولما واراه الثرى وغيّبه الحدث الأصم وقف على قبره أخوه المغفور له الشيخ حسن بن الشيخ عبد الله، ورثاه بثلاثة أبيات هي الآن مكتوبة على قبره وفيها تاريخ وفاته:

عَلاّمَــةُ العــلماء ألــبس رُزْؤهُ ... كُــلَّ الأَنــامِ مِــنَ الأَســى جِلْــبَابَا
لَهْفِــي عــلى قَمَــرٍ تَكَــوَّرَ نُــوْرُهُ ... في الأَرضِ وَاتَّخَــذَ الــتُّرابَ حِجابـا
وَغَــدتْ تَــنُوْحُ لِفَقْــدِهِ أُمُّ الْعُــلى ... مُــذْ أَرَّخُــوْهُ (فَــيا لِــبُدرٍ غَابَــا)(١)
١٣٣١هـ

* * * *

٢ ـ ورثاه أيضا أخوه الآخر الأديب الحاج علي بن الشيخ عبد الله فقال:

لَـكَ الحَمْدُ يا مَوْلاَي يا خالِقَ الْوَرى ... لَـكَ الْفَضْـلُ وَالنَّعْماءُ تُعْطِي وَتَمْنَعُ
لَقَــدْ غَمَرَتْــنا نِعمَــةٌ لَــيسَ مِـثْلَها ... بِهـا قَــدْ غَــدَتْ حُسّــادُنا تَــتَقَطَّعُ
بِـبَدْرٍ بَـدَا مِـنْ طُـوْرِ سَـيْنَاءَ نُـوْرُهُ ... كَـبَدْرِ الدُّجـى يَعْلُــو سَـناهُ وَيَلْمَـعُ
بِـهِ أَصـبح الدِّيـنُ القَويـمُ مُشَـيَّداً ... وَأَمْسـى بِـهِ حُكْـمُ الشَّـرِيْعَةِ يَسْـطَعُ
بِـــهِ فَجَعَتْــنا حادِثَــاتُ دُهُوْرِنــا ... فَمَــنْ ذا لَــهُ مِــنْ بَعْــدِهِ نَــتَطَلَّعُ
فَــنَحنُ حَــيَارَى ضَــائِعُوْنَ بِفَقْــدِهِ ... وَقَـدْ ضَـاعَتِ الْآراءُ وَالْفِكْـرُ أَجْمَـعُ

---

(١) مـن مقدمـة الخطيـب السـيد محمـد حسـن الشـخص لكتاب (هداية العباد) تأليف صاحب الترجمة: ص٧.

إلى أن يقول:

وَأَنْتَ على الإِسْلامِ ظِلٌّ، وَملْجأٌ ... لَدى الضُّعَفا وَالْمُجْدِبِيْنَ وَمَفْزَعُ
فَيا ضَيْعَةَ الْمَعْرُوْفِ وَالْجُودِ في الْوَرى ... وَيا بَدْرَ تَمٍّ غابَ ما عادَ يَطْلَعُ
لقَدْ هُدَّتِ الأَرْكانُ مِنْ جانِبِ الْهُدى ... وَذَلَّ بِهِ وَاللهِ مَنْ يَتَشَيَّعُ
فَيا مُقْلَتي مِنْ مُزْنِ دَمْعِكِ فاهْمِلِيْ ... فلِلّهِ قَلْبٌ بَعْدَهُ لا يُقَطَّعُ
رَعَى اللهُ قَبْراً قَدْ حَوَى جِسْمَ عالِمٍ ... لَهُ الناسُ طُراً بِالأَقالِيْدِ(١) تَرْجِعُ
فَيا لَيْتَني كُنْتُ الْفِداءَ لَهُ وَلا ... بَقِيْتُ على فُقْدانِهِ أَتَفَجَّعُ
فَواللهِ لَوْ ذابَتْ مِنَ الْحُزْنِ مُهْجَتي ... وَدَمْعي عَلَيْهِ ساكِبٌ لَيْسَ يُقْطَعُ
وَنَفْسي عَلَيْهِ دائماً في تَلَوُّعٍ ... وَلَمْ يهْنَ لي نَوْمٌ وَلا أَنا أَهْجَعُ
حَقيقٌ عَلَيْهِ أَنْ أَنُوحَ بِحَسْرَةٍ ... وَآفاتُ حُزني في الْحَشا لِيَ تَلْذَعُ

٣ ـ وممن رثاه أيضا الفاضل الأديب الشيخ سلمان بن أحمد التاجر البحراني المتوفى ١٣٤٢ هـ، قال في تاريخ وفاته:

حادِثٌ قَدْ خَرَّ كَيْوانُ(٢) بِهِ ... هَلْ تَرَى أَبْلَتْهُ أَشْجانُ

(١) الأقاليد: جمع إقْلِيْد، وهو المفتاح، والكلمة يونانية، وأراد هنا الاشارة إلى مرجعيته العامة في المنطقة.

(٢) كَيْوان: اسم (زُحَل) بالفارسية، وزُحَل: كوكب يضرب به المثل في العلو والبعد.

أَمْ غَشاهُ نَبَأٌ هُدَّتْ لَهُ	مِنْ بِناءِ الدِّيْنِ أَرْكانُ
أَمْ نَعى أَحْمَد في (مُحَمَّدٍ)	سُنَّةٌ تعْفى وَقُرْءانُ
أَمْ تَرى جِبْرِيْلُ قَدْ أَبَّنَهُ	في السَّما فَارْتاعَ رِضْوانُ
شَيَّعُوْهُ وَإِلى اسْتقْبالِه	زُيِّنَتْ حُوْرٌ وَوِلْدانُ
وَكَذا الْجَنَّاتُ فَتَّحْنَ إِلى	رُوْحِهِ الأَبْوابَ وَازْدانُوْا
فَعَلى مَ الرَّجْفُ قَدْ كَادَ بِهِ	فَرَقاً (١) يَنْهارُ شَهْلانُ
حَقَّ أَن تَهْوى على الأَرْضِ السَّما	حَيْثُ تَحْوِيْ الشَّمسَ كُثْبانُ
هَلَكَ الْعالَمُ مذ عالِمُهُ	أَوْ دَعَتْهُ الِّلحْدَ خِلاَّنُ
غُيِّبَتْ إِذْ غَيَّبُوْهُ في الثَّرى	حِكْمَةٌ عُلْيا وَعِرْفانُ
لا تَقُلْ في الرَّمْسِ مَيْتٌ إِنَّما	ذِلكُمْ عِلْمٌ وَإِيْمانُ
أَدرَوْا إِذْ لَحَّدُوْهُ واحِداً	لُحِّدَتْ في الْقَبْرِ (عَيْثانُ)
قامَ بِـ (الأَحْسَا) عَزاهُ فَكَأَنْ	كُلُّها إِذْ ذاكَ أَحْزانُ
وكَأَنَّ الْكَوْنَ في مَأْتَمِهِ	قَلْبُ ثَكْلى وَهْوَ حَرَّانُ
وَكَأَنَّ الأُفْقَ لَمَّا أَنْ نُعِيْ	مُزْنَةٌ(٢)، بِالدَّمْعِ هَتَّانُ

---

(١) الفرق: يعني الفزع والخوف.

(٢) المزن: السحاب الممطر، والمزنة: القطعة من السحاب.

وَكــأَنَّ السُّــحْبَ ـ تســقي قَـبْرَهُ فِـــيهِ[١] ـ لِلباكِـــيْنَ أجْفــــانُ
وَكـــأَنَّ الأَرْضَ لَمّـــا ضُـــمِّنَتْ جِسْـــــمَهُ رَوْحٌ وَرَيْحــــــانُ
كــانَ في عَـــيْنِ الْعُـــلى إنْســـانَها فَقَضـــى ـ وَ(الــنَّاسِ)[٢] ـ إنْســانُ
وَلــنا في (الْحَسَـــنِ) الشَّــهْمِ ابْـنِهِ خَلَــفٌ يَعْلُـــوْ بِـــهِ الشَّـــانُ
وَالفَــتى الـــنَّدْبِ (عَلـــيٌّ) إنَّـــهُ لِلْحِجَـــى وَالْفَضْـــلِ عُـــنْوانُ
قِـــيْلَ فَاسْـــتَغْفِرْ وَأَرِّخْ مَوْتَـــهُ قُلْـــتُ وَالـــتَّارِيْخُ (غُفْــرانُ)[٣]

١٣٣١هـ

* * * * *

٤ ـ وقال أيضا في رثائه الشيخ سلمان المذكور مؤرخاً:

يــا لِــرُزْءٍ أَوْرَى الْقُلُــوْبَ وَأَوْقَــدْ في حَشَـــى الْمَجْــدِ جَمْــرَةً تَــتَجَدَّدْ
فَجْعَــةٌ آذَنَــتْ لَهــا الأَرْضُ بِالخَسْـــفِ وكــادتْ لَهـا السَّماواتُ تَنْهَدْ
دَفَنَــتْ نَصْــبَ عَيْنِنا عَلْـمَ أَهْـلِ الْـبَيْـتِ عِلْـمَ الْوَصـيِّ أَسـرارَ أَحْمَـدْ
حَمَّلَتْــنا مــا لَــوْ تَحَمَّلْــنَهُ الْقُــوْدُ[٤] مِـنَ الْوَجْدِ سُلْنَ كَالدَّمْعِ في الخد

---

(١) قوله: (تسقي قبره فيه) جملة حالية، والضمير في قوله: (فيه) يعود إلى قوله: (مأتمه).

(٢) قوله: (والناس) قسم بسورة (الناس).

(٣) منتظم الدرين: حرف الميم، مخطوط.

(٤) القود: جمع أَقْود، وهو الناقة أو الفرس الضخم الطويل الظهر والعنق.

ومُذِ اسْتَفْحَلَتْ عَلى النَّاسِ بِالْحُزْ ... نِ الْمُبِيدِ القِوى، وَجاوَزَتِ الحَدْ
قِيْلَ هَلْ أَوْحَشَتْكَ واعِيَةُ النَّا ... عِي إلَيْنا (مُحَمَّداً) بِمُحَمَّدْ (١)
قُلْتُ في أُنْسِهِ بِلُقْياهُ أَرِّخْ ... (ذاكَ عامٌ يَبُشُّ فِيْهِ مُحَمَّدْ) (٢)

١٣٣١هـ

* * * * *

أولاده:

هذا وقد خلّف المترجم له من الأبناء اثنين، كلاهما من أهل العلم والفضل:

١ ـ أكبرهما الشيخ حسن المولود في قرية (القارة) سنة ١٣١٦هـ والمتوفى في (كربلاء) ١٤ ذو القعدة سنة ١٣٦٧ هـ، ودفن في (النجف الأشرف).

٢ ـ والفقيه الحجة الشيخ علي المولود في (القارة) سنة ١٣١٨هـ والمتوفى في (كربلاء المقدسة) سنة ١٤٠١هـ.

ثناء العلماء عليه:

١ ـ قال في شأنه صاحب (أنوار البدرين): «العالم العامل الفاضل الأوّاه

---

(١) أراد بقوله: (محمداً) صاحب الترجمة، وقوله: (بمحمد) قسم بالنبي الاكرم ﷺ.

(٢) مجموع الشيخ محمد باقر بو خمسين: ١٧٤، مخطوط.

الشيخ محمد بن الشيخ عبد الله آل عيثان الاحسائي، كان ـ سلمه الله تعالى ـ عالماً فاضلاً مجتهداً كاملاً، اشتغل مدة مديدة تقرب من ثلاثين سنة أو تزيد في (النجف الأشرف)[١]، وأجازه جملة من علمائها وبعض من أهل (كربلاء)،...... وكان ـ أيده الله تعالى ـ من بيت علم، وكثير من آبائه علماء فضلاء)).

٢ ـ وجاء في إجازة الميرزا محمد باقر بن محمد سليم الأسكوئي لصاحب الترجمة ما نصه: ((بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله على ما منَّ على عباده بقديم إحسانه ـ إلى أن يقول: قد استجازني الأخ المعتمد الشيخ المسدَّد، العالم الفاضل المدقق الفاصل، ذو القلب السليم والذهن الوقاد المستقيم، اللوذعي الألمعي، الذي قد فاق بالاعتدال في فهمه وذكاه أقرانه والأمثال، حيث جمع رتبتي المعقول والمنقول واستعدَّ لدرجة الاستيضاح للفروع من الأصول، المؤيد الممجد جناب الشيخ محمد بن الشيخ الأوّاه الشيخ عبد الله بن الشيخ علي بن عيثان الأحسائي، وفقه الله لما يحب ويرضى وأخذ بمجامع قلبه إلى مدارج التقى.

ولما رأيته أهلاً لذلك ـ لما هو عليه من فوز أعالي الدرجات، والرسوخ في اقتناء أنحاء الكمالات، وقوة استعداده لاستيضاح موضحات الأحكام من

---

(١) ذكرنا في ما مضى أن مدة اشتغاله في (النجف) كانت ٢٧ عاما.

الدلائل الباهرات، وحسن قابليته في رد المتشابهات إلى الآيات المحكمات، وتحمل الأنوار المشرقة عن آثار الأئمة السادات، عليهم سلام الله ما دامت الأرضون والسماوات ـ أجبت ملتمسه بالسمع والطاعة، مع كثرة الإضاعة وقلة البضاعة.

فأجزته ـ سلمه الله ـ أن يروي عني عن مشايخي ـ الآتي ذكرهم ـ جميع مقروءاتي ومسموعاتي وكل ما صحت لي روايته وجازت لي إجازته بجميع أنحاء التحمل من كتب الأخبار والأدعية والأذكار والخطب والمواعظ....»[١].

٣ ـ وقال فيه أيضا أستاذه المذكور (الميرزا محمد باقر الأسكوئي) ـ في أجوبته على بعض مسائل الشيخ المترجم ـ: «أما بعد: فإنه قد كتب إلي شيخنا الأجل الأمجد، والولي الموفق المسدد، العالم العامل الزكي، التقي الورع الصفي، اللوذعي الألمعي، ذو الذهن البارع الوقاد، والفهم السريع لادراك السداد والرشاد، المولى المؤتمن والمعتمد، جناب الشيخ محمد ابن جناب الشيخ عبد الله بن الشيخ علي بن عيثان، أخذ الله بيمناه إلى غاية مناه في محبته

---

(١) إجازة الميرزا محمد باقر بن محمد سليم التبريزي للشيخ محمد بن عبد الله آل عيثان، مخطوطة وجدتها ضمن مجموعة خطية في مكتبة الإمام الحكيم العامة في (النجف) تحت رقم [١٠٠٣] وهي بخط العلامة الشيخ حسين القديحي نقلها عن خط المجيز بتاريخ (١٣٥٨/٥/١٤هـ).

ورضاه)) (١).

٤ ـ وقال عنه تلميذه العلامة الحجة الشيخ عبد الله بن معتوق القطيفي في إجازته لميرزا موسى الحائري: ((الشيخ الجليل والفاضل النبيل، بحر علوم المعارف الربانية، وعين الحكمة الإلهية، والحاوي للعلوم الشرعية العقلية والنقلية، شيخي وأستاذي ومن عليه اعتمادي، الأمجد الأوحد، التقي الشيخ محمد بن الشيخ عبد الله آل عيثان الأحسائي، قدس الله روحه ونفسه، وطيب رمسه....)) (٢).

٥ ـ وقال أيضا تلميذه الآخر الميرزا موسى بن الميرزا محمد باقر الأسكوئي الحائري، المتوفى ١٣٦٤ هـ، في إجازته لولده الميرزا علي الحائري: ((الطريق الثاني: إسنادي إلى العالم الماهر والنور الزاهر، علم الأعلام، المؤيد من الملك العلام، أُويس عصره وسلمان دهره، نادرة الأوان وعين الإنسان شيخي وسندي وأستاذي محمد بن عبد الله بن علي بن أحمد عيثان الأحسائي أمطر الله عليه سحائب الرضوان وأعلى مقامه في الخلد والجنان...

ـ إلى أن يقول: وله تصانيف مفيدة، ورأيت بعض رسائله في

---

(١) أجوبة مسائل الشيخ محمد آل عيثان ـ للميرزا محمد باقر الأسكوئي ـ: ص١، مخطوط، صورة منه بحوزة الأستاذ (أبو عبد الله) معتوق عبد الله العيثان بالأحساء.

(٢) الأزهار الأرجية ٢: ١٨٧ وتاريخ الإجازة (يوم السبت ٦/جمادى الثانية/١٣٣٣هـ).

(الأحساء)، وكان مرجعاً في التقليد في تمام تلك الناحية...)) [١].

٦ ـ وقال الشيخ آقا بزرك الطهراني: ((الشيخ العالم الكامل المتبحر الجليل الشيخ محمد بن الشيخ عبد الله بن علي بن أحمد آل عيثان الهجري الأحسائي القاري....)) [٢].

مؤلفاته:

قال الخطيب الشهير السيد محمد حسن الشخص في مقدمة (هداية العباد) ـ من تأليف صاحب الترجمة ـ: ((وبعد، فإن للمترجم ـ نور الله ضريحة ـ من المؤلفات الجليلة والمصنفات المفيدة ما تجعله في مصاف الخالدين المحلقين في أجواء العبقرية والنبوغ، ذلك لما يتجلى فيها من التحقيق العلمي والإحاطة بأم المسائل التاريخية والفقهية والأصولية والكلامية والفلسفية وما أشبه....)).

وهذه قائمة بما عرفناه من مؤلفاته:

١ ـ جواب المسائل الكويتية، في علم الحكمة ومراتب الأئمة، وردت من العلامة الشيخ حسين بن الشيخ علي الصحاف الأحسائي الكويتي المتوفى

---

(١) إجازة الميرزا موسى الحائري لولده الميرزا علي: ١٠ ـ ١١، خطية، كانت موجودة في (مكتبة حسينية الحائري) بكربلاء.

(٢) طبقات أعلام الشيعة: القرن ١٤/٢٩، القسم المخطوط.

١٣٤٣ هـ.

٢ ـ جـواب المسـائل الكويتـية، وردت من بعض أهالي الكويت، وهو غير سابقه.

٣ ـ دلـيل الحـيارى في الـرد عـلى النصارى، أو (الرد على الباكورة)(١) ألفـه في الـرد عـلى كتاب (الباكورة) لأحد النصارى الذين يطعن في كتابه في الديانة الإسلامية ويستنقص من مقام النبي ﷺ.

قـال في (الذريعـة): «ولمّـا رأى الكـتاب ـ أي (الـباكورة) ـ في ١٣٢١هـ الشيخ محمد بن عبد الله بن علي بن أحمد آل عيثان الهجري القاري الأحسائي أقـدم عـلى الـرد علـيه، وفـرغ مـن الـرد (٧/جمـادى الأولى/١٣٢٢هـ)، وكتب النسـخة محمـد حسن آل جلواح، وفرغ منه (١٣/رجب/١٣٢٣هـ)، ورتبه على عدة مقامات، يقرب من ثلاثة آلاف بيت» (٢).

ورأيـت أنـا نسـخة من الكتاب في (مكتبة السيد علي السيد ناصر) في (الدَّمَّام) بخط أحمد بن حسين بن محمد بن علي بن خليفة بن عمار الأحسائي تاريخهـا (٧/جمـادى الثانـية/ ١٣٣٢هــ): وهـي النسخة الوحيدة التي طبع منها الكتاب.

---

(١) الذريعة ١٠: ١٨٩ ـ ١٩٠.

(٢) المصدر نفسه ١٠: ١٨٩ ـ ١٩٠.

٤ ـ الرسالة العملية في الطهارة والصلاة، قال في (الذريعة):

((رسـالة فتوائـية كثيرة الفروع، من أول الطهارة إلى آخر صلاة المسافر، توجـد بخـط السـيد هاشـم[١]، تاريخهـا (١٨/جمادى الثانية/١٣١٨هـ) عند ولد المؤلف الشيخ علي في كربلاء))[٢].

٥ ـ رسالة في حل بعض الألغاز الذي ورد في أبيات من الشعر، وهي:

أيـا راكِـباً يَطْـوي ٱلْفَـلا فَـوْقَ أَجْرَدٍ ... يَقُـدُّ الفَـيَافِيْ فَدْفَـداً بَعْـدَ فَدْفَـدِ
تَحَمَّـلْ رَعـاكَ اللهُ عَـنّيْ رِسـاَلَةً ... تُـبَلِّغُها أهْـلَ ٱلْمَـدارِسِ فِـيْ غَـدِ
فَقُـلْ لَهُـمُ عـن تِسْـعَةٍ خُلِقُـوْا مَعـاً ... وَعَـنْ سَـبْعَةٍ فِـيْ وَسْـطِ ثَوْبٍ مُجَرَّدِ
حَواجِـبُهُمْ سَـبْعُوْنَ فِـيْ وَجْـهِ واحِدٍ ... وَأَوْجُهُهُـمْ تِسْـعُوْنَ فِـيْ خَلْقِ هُدْهُدِ
أَبُوْهُـمْ لَـهُ حَـرْفانِ مِـنْ إسْـمِ جَعْفَرٍ ... وَحَـرْفانِ مِـنْ إسْـمَيْ عَلـيٍّ وَأَحْمَـدِ

والرسـالة مختصرة رأيتها في مخلفات كتب الخطيب الحاج ملا سلمان بن علي الثَّوَّاب الأحسائي المتوفى ١٣٩٦ هـ.

٦ ـ رسالة في الزكاة.

٧ ـ رسالة في الصوم.

---

(١) الظاهر أنه السيد هاشم بن السيد خليفة النحوي الموسوي الأحسائي، المتوفى ١٣٢٣هـ.

(٢) الذريعة ١٥: ١٩٣.

٨ ـ رسالة في العصير العنبي(١).

٩ ـ رسالة في معاني الحروف، ذكرها في (أنوار البدرين)(٢).

١٠ ـ شرح (الرسالة الرضاعية) ـ المسماة بـ(اللمعات البغدادية في الأحكام الرضاعية) ـ من تأليف أستاذ المترجم السيد مهدي بن السيد حسن القزويني، كما جاء في (أنوار البدرين)(٣).

١١ ـ شرح (الشهاب الرامض في أحكام الفرائض): هو كتاب فقهي استدلالي في أحكام المواريث، قال في (الذريعة): «المتن للسيد مهدي القزويني الحلي المتوفى سنة ١٣٠٠هـ، فرغ منه ١٧ رجب سنة ١٢٩٧هـ، ثم أمر تلميذه الشيخ محمد بن عبد الله بن علي بن أحمد آل عيثان الأحسائي بشرحه فشرحه في مجلدين ضخمين، رأيتهما بخطه عند الشيخ علي ابن الشارح في كربلاء، وهو شرحٌ مزجي، فرغ من مجلده الثاني في عاشر رجب سنة ١٣٠٠هـ»(٤).

ولديَّ نسخة مصورة عن الكتاب المذكور يبلغ عدد صفحاتها ٨٥١

---

(١) ذكر هذه الرسائل الثلاث الخطيب السيد محمد حسن الشخص في مقدمة (هداية العباد) المطبوع.

(٢) أنوار البدرين: ٤١٥.

(٣) المصدر السابق.

(٤) الذريعة ١٣: ٣٤٣.

صـفحة بـالقطع الوزيري، وجاء في آخر النسخة ما نصه: ((قد وقع الفراغ من تصـنيفها عـلى يـد مؤلفهـا الفقـير المسكين المحتاج إلى رحمة ربه وشفاعة أئمته محمـد بن الشيخ عبد الله بن الشيخ علي بن عيثان الأحسائي القاري ظهر يوم الجمعـة عاشـر رجـب أحـد شـهور سنة الثلاث مائة وألف من الهجرة النبوية عـلى مهاجـرها أزكـى السـلام وأشرف التحية، حامداً مصلياً مستغفراً، وكان ذلـك في الـبقعة المقدسـة الغروية (النجف)، على ساكنها وأولاده آلاف الثناء والتحـية، وأسـأل الله الكـريم أن يوفقـنا لإتمـام هـذه الرسالة، والحمد لله رب العالمين)).

وواضـح مـن الـنص أن الكـتاب لم يـتم، وربما أتمه بعد التاريخ المذكور لكن ذلك لم يصل إلينا.

١٢ ـ الشـهاب الـراتق للقول بوحدة الناطق، وهو في الرد على الركنية كذا جاء في كتاب (منظم الدرين) المخطوط.

١٣ ـ مناسك الحج.

١٤ ـ هداية العباد إلى طريق الحق والرشاد، في أصول الدين وفروعه.

قـال في (الذريعـة): ((مرتـب عـلى فصـلين أولهما في أصول العقائد في خمسـة أبـواب ١ ـ التوحـيد، ٢ ـ العـدل، ٣ ـ النـبوة، ٤ ـ الإمامة، ٥ ـ المعاد

وجفَّ قلمه في باب المعاد))[١].

والكتاب طبع في (النجف) بأمر الشيخ علي نجل المترجم سنة ١٣٦٩ هـ مع مقدمة عن حياة صاحب الترجمة بقلم الخطيب الشهير السيد محمد حسن الشخص المتوفى سنة ١٤٠٨ هـ.

وأكثر هذه المؤلفات كانت موجودة في (كربلاء) بحوزة ابن المترجم له الشيخ علي آل عيثان المتوفى سنة ١٤٠١ هـ.

والحمد لله رب العالمين

(١) الذريعة ٢٥: ١٨٤.

مقدمة التحقيق

ان مـن أبرز سمات علمائنا الأفذاذ ﷹ الدفاع عن حرمة الإسلام وذلك لمـا يتطلـبه مقام الوراثة للأنبياء ﷷ، فإن على العالم إظهار علمه عند مواجهة الإسـلام أو المسـلمين لأي خطـر كـان، وإلاّ فلعـنة الله عليه ـ كما في نصوص العترة الطاهرة من قبيل ما ورد في الكافي وغيره:

عـن الحسين بن محمد، عن معلّى بن محمد، عن محمد بن جمهور العمي يـرفعه قـال: قـال رسـول الله ﷺ: (إذا ظهـرت الـبدع في أمتي فليظهر العالم عـلمه، فمـن لم يفعـل فعلـيه لعنة الله) [1] وعن الصادقين ﷸ (إذا ظهرت البدع فعلى العالم أن يظهر علمه، فإن لم يفعل سلب نور الإيمان)[2].

---

(١) الكافي ١: ١٠٥، ب(١٩)، البدع والرأي والمقاييس، ح٢.

(٢) الغيـبة للشـيخ الطوسـي: ٦٤، ح٦٦، وعلـل الشـرائع: ٢٣٥، ح١، وعـيون أخـبار ﷸ

وتـتأكد المسـؤولية عـندما يكـون النـيل مـن مبادئ الدين القويم ونبي الإسـلام العزيـز والقدح في نبوته ورسالته السماوية التي جاء بها من عند الله عـز وجـل، كمـا فعـل مؤلـف كتاب «الباكورة» القاضي النصراني، خصوصاً عـندما اعـتمد ـ لإثبات دعواه ـ بالآيات القرآنية مما يزيد في تشكيك وتضليل مـن لا معرفة لـه ولا بصيرة، وهذا هو الذي دعا المؤلف ﷺ لتأليف هذا الرد المـاثل بـين يـديّ القـارئ، حيـث لم يـرد لــه عـنوان متحد وقد عبر عنه ابن المؤلـف: (بالـرد عـلى كـتاب الـباكورة للمسـيحيين)[1] وعـبر عنه آقا بزرك: (بالرد على الباكورة) و(الرد على النصارى)[2].

وهـذا الكـتاب من الكتب التي تكشف عن خبرة المؤلف واطلاعه على مجريات الأمور في تلك الفترة الزمنية، إذ لم نجد أحداً من علماء عصره تصدى للـرد عـلى كـتاب الـباكورة، نعـم هـناك كتب في الرد على أفكار ومعتقدات النصارى، ويقع الحديث حول محاور ثلاثة:

المحور الأول: حول حركة الاستشراق والمستشرقين.

ان كتاب الباكورة وغيره ـ مما ألف لغرض النيل من الإسلام والمقدسات

الرضا عليه السلام ١: ١١٢، وبحار الأنوار ٤٨: ٢٥٢، ب(١٠)، ردّ مذهب الواقفية.

(١) مقدمة كتاب هداية العباد إلى طريق الحق والرشاد للشيخ العيثان.

(٢) الذريعة ١٠: ١٨٩ و٢٣١.

عند المسلمين كالنبي الأعظم ﷺ والقرآن الكريم ـ ثمرة من ثمرات الاستشراق وهذه الحركة يعرفها المنجد الذي هو أحد أعمالهم بأنه (العلم باللغات والآداب والعلوم الشرقية)[1]، ويرى البعض ان بداية الاستشراق الفعلي بعد فشل الحروب الصليبية ففي عام ١٢٥٠م ـ أي القرن الثالث عشر الميلادي ـ عندما غادر لويس التاسع (دمياط) متجهاً إلى (عكا) قال: (لنبدأ حرب الكلمة فهي وحدها القادرة على تمكيننا من هزيمة المسلمين)، وعمل أول عمليات التبشير في الأندلس لغرض نشر المسيحية في جميع بقاع الأرض، ولقد اتخذت الحركة الاستشراقية عدة أدوار وهي:

١ ـ دور الانفتاح لاحتواء الحضارة الإسلامية، وتمثل ذلك في ترجمة أمهات الكتب الإسلامية من اللغة العربية إلى الاسبانية والعبرية واللاتينية، وترجمة كتب الحديث والتفسير، ودراسة اللغة العربية ووضع المعاجم لها.

٢ ـ دور الفرز لاستلاب الحضارة الإسلامية كما يصرح بعضهم بقوله: (إن الهدف هو الوصول إلى فهم عميق للتفكير الديني الكلامي عند المسلمين أملاً أن يصبح الأوربيون أقدر على التعرف على هذا التفكير واستغلال ما

---

(١) المنجد في اللغة: ٣٨٤، مادة (شرق).

كانوا يتصورون أنّه موطن الضعف فيه)(١).

٣ ـ دور تغريب إفرازات الحضارة الإسلامية المستلبة.

٤ ـ دور استعمار الشرق وتطبيعه على الحضارة المقربة وهو ما نجده اليوم.

هذا وقد عملت أكثر الدول الأوربية والغربية ضمن عملية التبشير ضد البلدان الإسلامية، وتشكلت لهذه المهمة مدارس وجامعات وأقرّوا تدريس اللغة العربية في كثير من جامعاتهم، وغيرها من الأساليب لتحقيق مطامعهم وأهدافهم المشؤومة.

ومن أبرز الموضوعات التي ركز عليها المستشرقون:

١ ـ القرآن الكريم وإعجازه والذي يمثل أكبر حاجز أمام الهجمة الاستشراقية، مما دعاهم إلى إثارة الشبهات حوله من قبيل أنه مقتبس من الكتب والأديان السماوية الأخرى التي تقدمت.

ويوضح هذا الموقف رئيس وزراء بريطانيا سابقاً (غلاد ستون) عندما رفع القرآن في مجلس العموم وصاح غاضباً: «ما دام هذا الكتاب في أيدي

---

(١) المستشرقون الألمان: ١٥.

الشرقيين فالخطر يواجه استمرار سيطرتنا في آسيا وأفريقيا»[١] .

وقد أحصى الدكتور محمد حسين علي الصغير في كتابه (دراسات قرآنية) العمل الاستشراقي للقرآن الكريم تحت عنوان (المستشرقون والدراسات القرآنية).

٢ ـ سيرة نبي الإسلام محمد بن عبد الله ﷺ وأهل بيته عليهم السلام وأصحابه، وقد كتبوا الكثير حول الشبهات التي أثاروها حول شخصية النبي الأعظم ﷺ مما تشمئزُّ منه النفوس والأسماع، وقد وجدوا في بعض الشخصيات التي حكمت الدولة الأموية والعباسية رتعاً خصباً للإساءة للمفاهيم الإسلامية كخلافة رسول الله ﷺ وطبيعة الحكم في الإسلام وما شاكلها، وكذا وجدوا في كتب بعض المتعصبين والمتمذهبين ما يشفي الغليل، فمثلاً في دائرة المعارف الإسلامية يذكر تحت مادة (ابن تيمية) «إن علي بن أبي طالب أخطأ ثلاث مائة مرة» [٢] وكذا الإساءة إلى الإمام الحسن والإمام جعفر الصادق عليهما السلام كما تجده في دائرة المعارف الإسلامية[٣]، وقد ألفوا الكثير من الموسوعات وأدخلوا فيها الدس و التزوير، ومن أعمالهم:

---

(١) الاتجاه الغربي: ١٢٩.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ١: ١١٢.

(٣) المصدر نفسه ٧: ٤٠٠ و٦: ٤٧٣.

دائرة المعارف البريطانية والأمريكية والاروس الفرنسية والإسلامية وكذا الموسوعة العربية الميسرة وكذا المنجد والموسوعة الإسلامية الميسرة وغيرها من أعمال كثيرة، حيث أدخلوا في هذه الكتب الكثير من السموم كالقول بتناقض القرآن والتردد في بعض آياته، وتأثر النبي ﷺ باليهودية والنصرانية والجاهلية وغير ذلك من الشبهات[١] وللإنصاف فإن للمستشرقين بعض الحسنات غير أنها إذا قورنت بمساوئهم استحالت هباءً.

ومما ركز عليه الاستشراق، التعصب الديني وإثارته لدى النصارى العرب فحثهم على التأليف في مجال نقض الديانة الإسلامية وقد كتبوا الشيء الكثير في هذا المجال، ظهر هذا من خلال ملاحظة الكتب الدفاعية والرد عليها من قبل علماء الإسلام، ويظهر أنه في فترة المؤلف ﷺ (أي القرن الثاني عشر إلى القرن الرابع عشر الهجري) من الفترات المهمة في مجال التأليف حول النصرانية والإسلام واحتدام الصراع الفكري بين الديانات الثلاث (الإسلام، النصارى، اليهود) وكان الموقف النصراني موقف المهاجم، فجاءت كتابات علمائنا على شكل ردود... ومن هذه الكتب:

---

(١) وقد أشار إلى بعض هذه النماذج الشيخ فؤاد كاظم المقدادي في الفصل السادس من كتابه (الإسلام وشبهات المستشرقين).

١ـ (كلمة السوى في رد من ضل وغوى)[١] كتبه السيد مهدي بن السيد علي البحراني المولود سنة ١٣٠٠هـ رداً على كتاب (النبي المعصوم) الذي ألفه بعض النصارى في إثبات أن المعصوم هو عيسى فهو المتعين للشفاعة.

٢ ـ (إزالة الأوهام)[٢] في الرد على ينابيع الإسلام) للعلامة الشيخ أحمد بن المولى محمد علي الشاهرودي المتوفى حدوداً سنة ١٣٤٩هـ وكتاب (الينابيع) ألّفه بعض النصارى في عصر آقا بزرك الطهراني رداً على الديانة الإسلامية .

٣ ـ (إزالة الوساوس والأوهام)[٣] عن قدس ساحة الإسلام) في الرد على النصارى وإبطال أقاويلهم للعلامة الشيخ حسين بن عبد العلي التبريزي المولود سنة ١٢٩٠هـ وفرغ من تأليفه في ٢٦ /٢/ ١٣٤٦هـ .

٤ ـ (أعاجيب الأكاذيب)[٤] في الرد على النصارى والكشف عن أكاذيبهم للشيخ محمد الجواد المعاصر (للطهراني) المتوفى سنة ١٣٥٢هـ.

٥ ـ (حي على الحق)[٥] للسيد مهدي بن السيد صالح القزويني الكاظمي المتوفى سنة ١٣٥٨هـ في رد كتاب (المسيح في الإسلام) تأليف بعض

---

(١) الذريعة ١٨: ١٢٤.

(٢) الذريعة ١: ٥٢٨.

(٣) الذريعة ١: ٥٣٠.

(٤) الذريعة ٢: ٢٢٠.

(٥) الذريعة ٧: ١٢٨.

النصارى، ويظهر أن لـه كتاباً آخراً باسم (صدق الخطاب في رشد المرتاب)(١).

٦ ـ (الرد على النصارى)(٢) للشيخ خلف آل عصفور.

٧ ـ (الـرد عـلى النصـارى)(٣) للشـيخ سليمان بن أحمد آل عبد الجبار القطيفي (المتوفى ١٢٠٦هـ).

٨ ـ (الرد على النصارى)(٤) نظماً. للسيد عبد العزيز بن مهدي الجشي البحراني.

٩ ـ (الـرد عـلى النصـارى)(٥) للشـيخ علـي بـن أحمـد آل عـبد الجبار القطيفي (المتوفى ١٢٨٧هـ) .

١٠ ـ (الـرد على النصارى)(٦) للشيخ محمد بن عبد علي آل عبد الجبار القطيفي.

١١ ـ (تحفـة الأَريـب في الـرد عـلى أهـل الصـليب)، ومؤلفـه كان من أفاضـل النصـارى ولـما أسـلم أراد أن يبين أباطيل نواميسهم، فبدأ بذكر بلده

---

(١) الذريعة ١٥: ٢٩.

(٢) الذريعة ١٠: ٢٣٢.

(٣) الذريعة ١٠: ٢٣٢.

(٤) الذريعة ١٠: ٢٣٢.

(٥) الذريعة ١٠: ٢٣٣.

(٦) الذريعة ١٠: ٢٣٣.

ومنشأه ثم رحلته ودخوله في الإسلام، وبين مقصود الكتاب في تسعة أبواب وفرغ منه سنة ٨٢٣هـ [١].

وجاء في هذا الكتاب: «....وهؤلاء: متي ولوقا ومارقوس ويوحنا الذين أفسدوا دين عيسى وزادوا وأنقصوا وليسوا من الحواريين الذين أثنى الله تعالى عليهم في القرآن.

أما (متي) فما أدرك عيسى ولا رآه قط إلاّ في العام الذي رفعه تعالى إليه، وبعد أن رفع كتب متي الإنجيل بخطه في مدينة الإسكندرية وأخبر فيه بمولد عيسى وسيرته وغيره لم يذكر ما ذكره.

وأما (لوقا) فلم يدرك عيسى عليه السلام ولا رآه البتة!! وإنما تنصّر بعده على بولص (معرب باولوس) الإسرائيلي وهو أيضاً لم يدرك عيسى عليه السلام بل تنصّر على يد (أنانيا). وأما (ماركوس) فما رأى عيسى عليه السلام قط.... وخالف أصحابه الثلاثة في مسائل جمة.

وأما (يوحنا) فهو ابن خالة عيسى عليه السلام وزعم النصارى أن عيسى عليه السلام حضر عرس يوحنا.... وهو الرابع ممن كتبَ الإنجيل.... وهؤلاء الأَربعة الذين جعلوا الإنجيل أربعة وحرفوها وبدلوها وكذبوا فيها، وما الذي جاء به

---

(١) معجم المطبوعات العربية ١: ٦٣٠.

عيسى عليه السلام إلاّ إنجيل واحد لا تدافع فيه ولا اختلاف» (١) وقواعدهم الأساسية خمس:

١ ـ التعميد(٢).

(١) كشف الظنون لحاجي خليفة: ١: ١٧٦.

(٢) ويسمى بالتغطيس ، وتكاد تتفق الفرق المسيحية على ضرورته ، وقدكان موجوداً قبل المسيحية عند اليهود وكان ـ يحيى ـ يعّمد الناس في نهر الأردن، لذلك سُمي يوحنا المعمدان ـ وقد قام يوحنا بتعميد المسيح.

ولم يتفق المسيحيون على وقت التعميد، فبعضهم يعمّد الشخص في طفولته، وبعضهم يعمّده في أي وقت من حياته، وبعضهم يجري التعميد والشخص على فراش الموت بحجة ان التعميد إزالة السيئات وتطهير من الذنوب فيحسن ان يتم حيث لن تحصل ذنوب بعده.

وطريقة التعميد هي رش الماء على الجبهة أو غمس أي جزء من الجسم في الماء ويكثر ان يغمس الشخص كله في الماء ولابد ان يقوم بهذه العملية كاهن يعمد الإنسان باسم الأب والابن والروح القدس ولا يقوم غير الكهنة بالتعميد إلا للضرورة، وحينئذ يسمى التعميد تعميد الضرورة.

ويقول صاحب كتاب الأصول والفروع عن التعميد: فريضة مقدسة يشار فيها بالغسل بالماء باسم الأب والابن والروح القدس إلى تطهير النفس بدم يسوع المسيح من أدران الخطيئة، وهي ختم عمد النعمة كما كان الختان في الشريعة الموسوية والعمودية تدل على اعترافهم العلني بإيمانهم وطاعتهم للأب والابن والروح القدس كإلههم ومعبودهم الوحيد، ولا يجوز أن يعمدوا إلا إذا اعترفوا بإيمانهم جهاراً أمام كنيسة الله...

وذكر الأب بولس إلياس في يسوع المسيح ص٢١٠ عن سر العبودية أنها تمحو الخطيئة الأصلية

٢ ـ الإيمان بالتثليث(١).

٣ ـ اعتقاد التحام اقنوم الابن في بطن مريم .

٤ ـ العشاء الرباني(٢).

↩ في النفس وتلدها ثانية. فكأنها بالمعمودية ولدت من جديد.

(١) الإيمان بالتثليث: فهم يعتقدون بأن الله جل جلاله الإله الأول في هذا الثالوث، ذلك بما ان المسيحية ديانة سماوية الأصل وهي وليدة اليهودية، والتوراة كتاب مقدس عند المسيحيين وهي تقول بالوحدانية وقد أشاد عيسى بالله وأفاض في الثناء عليه وكل هذا جعل من اللازم الاعتراف بالله. وبدأ المسيحيون بعد هذا يبحثون عن الإلهين الآخرين فقالوا بألوهية المسيح فأصبح ثاني الآلهة ثم قالوا بألوهية الروح القدس لأنهم كانوا يريدون أن يدعو الصلة بالله وأنهم يتلقون العلم منه، فقالوا بألوهية الروح القدس، وأنه ينزل عليهم ويمتلئون به ويعرفون بواسطته ما لا يعرف البشر فأصبح الروح القدس بذلك ثالث الآلهة، وتم بذلك الثالوث الذي يريدون.

(٢) العشاء الرباني: ويسمى الايمان بالفطيرة ـ يطلق عليه أيضاً التناول ـ وهو أيضاً عادة أخذت من الأديان السابقة للمسيحية ويرمز بالعشاء الرباني إلى عشاء عيسى الأخير مع تلامذته إذ اقتسم معهم الخبز والنبيذ، والخبز يرمز إلى جسد المسيح الذي كُسِرَ لنجاة البشرية، أما الخمر فيرمز إلى دمه الذي سفك لهذا الغرض، ويستعمل في العشاء الرباني قليل من الخبز وقليل من الخمر لذكرى ما فعل بالمسيح ليلة موته وكذلك ليكون هذا طعاماً روحياً للمسيحيين فمن أكل هذا الخبز وشرب هذه الخمر استحال الخبز إلى لحم المسيح والخمر إلى دمه فيحصل امتزاج بين الأكل وبين المسيح وتعاليمه.

٥ ـ الإقرار بجميع الذنوب للقسيس.

المحور الثاني: حول كتاب (الباكورة) الذي ألفّه أحد النصارى المعاصرين للشيخ محمد العيثان فقد اشتمل على أمور نشير إلى أهمها:

١ ـ دعوى سلامة التوراة والإنجيل من التحريف والاستدلال على ذلك بأمور منها موافقتها للقرآن الكريم، واعتبار النصرانية الدين الوحيد الممثل لخط الأنبياء.

٢ ـ عقيدة الثالوث الأَقدس وكون نبي الله عيسى عليه السلام ـ الله وروحه ـ وكونه فداءً للمذنبين كفداء نبي الله إبراهيم عليه السلام، واستدلاله على أُلوهية عيسى عليه السلام بالآيات الإنجيلية والتوراتية.

٣ ـ أفضلية نبي الله عيسى ـ على جميع البشر بما في ذلك الأنبياء عليهم السلام وتمسكه ببعض الآيات القرآنية.

٤ ـ القدح في النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم والتمسك ببعض الآيات والروايات وبالتالي إنكار نبوته صلى الله عليه وآله وسلم.

٥ ـ القدح في إعجاز القرآن بدعوى اقتباسه من التوراة والإنجيل وبالتالي لا يوجد فيه إخبار عن أمر جديد، وكذا دعوى التكرار في آياته المباركة.

وقد حاول هذا النصراني التمسك بالآيات القرآنية لإثبات مطلوبه تمويهاً وتشكيكاً في عقيدة المسلمين ضمن أحد عشر فصلاً وخاتمة.

المحور الثالث: حول الرد على الباكورة، فقد كتبه الشيخ العيثان رحمه الله عندما رأى الباكورة عام ١٣٢١هـ وفرغ منه في (٧ ـ ج١ ـ ١٣٢٢هـ) وكتب

النسخة في نفس العام (أحمد بن حسين بن محمد بن علي بن خليفة بن عمار الأَحسائي) ﵀، وهي النسخة التي اعتمدت لطبع هذا الكتاب، وهناك نسخة أخرى أشار إليها آقا بزرك كتبها محمد بن حسن آل جلواح (الأحسائي) وفرغ منها في (١٣ ـ رجب ـ ١٣٢٣هـ)(١).

وقد عقد المصنف في كتابه مقامات أربعة بمثابة المدخل، تحدث في الأول منها حول إثبات الدين الإسلامي ونبوة النبي الأعظم ﷺ، وفي الثاني حول أفضلية النبي الأعظم ﷺ على جميع البشر، وفي الثالث حول تحريف التوراة والإنجيل، وفي الرابع حول عقيدة النصارى في الثالوث الأَقدس مع المناقشة العقلية المحكمة.

وقد أجاد المصنف ﵀ في بيان عدة من المطالب العقائدية معتمداً البرهان العقلي الحاصر، فنجده يذكر جميع المحتملات والفروض ويقوم بنقدها، ومن هذه المطالب تظهر قيمة الكتاب مضافاً إلى رد عقيدة النصارى وإحياء التراث:

ومنها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

١ ـ بيان عقيدة المسلمين في نبي الله عيسى على نبينا وآله وعليه الصلاة والسلام.

---

(١) الذريعة ١٠: ١٨٩.

٢ ـ إبطال القول بصلب السيد المسيح والإشارة إلى خلاف أهل التوراة فيه.

٣ ـ إبطال القول بالاتحاد بين الطبيعتين الإلهية والبشرية.

٤ ـ بيان عصمة الأنبياء عليهم السلام وقد أطال في هذا البحث معتمداً على الدليل العقلي والوجداني ، وتعرض لما يوهم منه خلاف ذلك من القرآن الكريم.

٥ ـ بيان منزلة الأنبياء عليهم السلام ومعاجز النبي الأعظم الواردة في القرآن الكريم.

وغير ذلك من المطالب المهمة، كما يظهر ذلك جلياً بملاحظة فهرس عناوين الكتاب.

منهج التحقيق:

اعتمدنا في تحقيق هذا الأثر على المخطوطة الوحيدة الموجودة في الأحساء والتي تفضل بها علينا سماحة العلامة السيد هاشم الشخص حفظه الله ورعاه. وقمنا بالأعمال التالية:

ـ تقطيع النص وتقويمه.

ـ تخريج الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة والأقوال المذكورة.

ـ وضع عناوين رئيسية وفرعية.

ـ ترجمة الأعلام.

ـ توضيح المبهمات مع شرح مبسط للمصطلحات الكلامية والفلسفية.

ـ إعداد الفهارس المتعلقة بالآيات القرآنية والأحاديث الشريفة والموضوعات.

شكر وتقدير:

في الختام نتقدم بالشكر والتقدير إلى كل العاملين في المؤسسة والذين ساهموا في إخراج هذا الكتاب بهذه الحلة ونخص بالذكر كل من:

ـ سماحة الشيخ الفاضل عبدالمحسن البقشي على ما بذله من جهد في تحقيق الجانب العلمي للكتاب وكتابة .

ـ سماحة السيد كريم النور في مجال التقويم اللغوي.

ـ سماحة الشيخ سلام الزبيدي والسيد وليد النور في تخريج النصوص.

ـ سماحة الشيخ يوسف العلي في جانب الإخراج الفني.

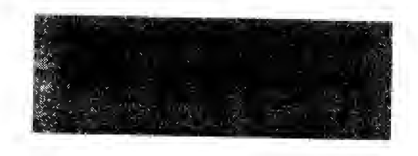
ـ سماحة الشيخ سلام المياحي في التدقيق الأخير.

فنسأل الله سبحانه أن يوفقنا لخدمة دينه ونشر مذهب أهل البيت عليهم السلام.

والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

اللهم صل وسلم وزد وبارك على صفوتك من بريتك وخاصتك من خليقتك
سيد الانبياء واشرف رسلك واقربهم اليك وسيلة وابينهم فضيلة
وارفعهم اليك درجة واعلاهم منزلة السيد الاكبر والنبي الطاهر
المطهر ذي الاسمين المشتقين من اسم الله المحمود حبيبه ونبيه في الارض محمد وفي
السماء احمد بن عبد الله بن عبد المطلب شيبة الحمد ابن هاشم بن عبد مناف
بن قصي بن كلاب بن مرة بن معد بن عدنان الذي ملكه الله سبحانه
جميع المكونات وجعله سلطانا في العلويات والسفليات من عالم الغيب والشهادة
وحاكما على اهل الدنيا والاخرة وما بينهما وما يليهما المخصوص من الله سبحانه
الشفاعة لذوي الخطايا والعصاة من جميع المخلوقات والمكونات ممن ارتضى الله دينه واحب
عقيدته ويقينه ذي الدين القويم والصراط المستقيم الذي هو صراط رب العالمين
الناسخ بشريعته جميع شرائع الانبياء الماضين دون شريعته ودينه فانهما مستمران
الى ابد الابدين اول النبيين ميلادا واخرهم بعثا ومولدا الحاوي لجميع مكارم الاخلاق
والفائز بدرجة السبق والغايات عن الكل والمؤيد بالخلق الله تعالى بحيث لا يدانى ولا يشابه
ولا يضاهى ولا يماثل في بلوغ الغاية الامكانية في كل صفة من الصفات الكمالية



التوراة والانجيل فلا تغترنّ بها المسلم بشبه المشبهين وتمويهات المموهين و

كن ثابتا مستقرا على دينك ولا تبدل نعمة انعم الله بها عليك واستغرق اوقاتك

ولياليك وايامك بالحمد لله جل وعلا والشكر له والثناء عليه حيث وفقك للهداية

الى دين الاسلام وجعلك من امة سيد الانام ورسول الملك العلام ومتبعا

لمنهاجه وشريعته ومستنا بسنته وسالكا الطريقته نسئل الله سبحانه ان يثبتنا على

ذالك وان يمنحنا فيه البصيرة واليقين وان يجعلنا في ظل لوائه يوم الجزاء

والدين نحن وجميع المسلمين والمؤمنين والحمد لله رب العالمين وصلى الله

على سيد انبيائه ورسله محمد ابن عبد الله ابن عبد المطلب ابن هاشم صلعم

وعلى آله وخاصته وصفوته واحب الخلق اليه من جميع المخلوقين و

هذا آخر ما انتهى الينا من هذا الكتاب المستطاب

وقد وقع الفراغ من تسويده يوم الاحد سابع جمادى

ثاني من سنة ١٣٣٢ الثانية والثلاثين

من المائة الرابعة من الالف الثاني

هجرة سيد الخلق اجمعين

صلى الله عليه وآله

على يد اقل الناس عملا احمد ابن حسين بن محمد ابن علي ابن خليفة ابن عمار الاحسائي اللهم اغفر له وللمؤمنين بجميع

[redacted]

المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين يا معين

اللّهمّ صلّ وسلّم وَزد وبارك على صفوتك من بريّتك، وخاصّتك من خليقتك، سيدّ الأنبياء وأشرف رسلك، وأقربهم إليك وسيلة وأبينهم فضيلة وأرفعهم إليك درجة، وأعلاهم منزلة، السيّد الأكبر، والنبيّ الطّاهر المطهّر ذي الاسمين المشتقّين من اسمه تعالى المحمود، حبيبه ونبيّه في الأرض محمّد، وفي السّماء احمد بن عبد الله بن عبد المطلّب، شيبة الحمد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرّة بن معد بن عدنان، الّذي ملّكه الله سبحانه جميع المكوّنات، وجعله سلطاناً في العلويات والسّفليات من عالم الغيب والشهادات، وحاكماً على أهل الدنيا والآخرة وما بينهما وما قبليهما المخصوص من الله سبحانه بالشّفاعة لذوي الخطايا والعصاة من جميع المخلوقات والمكونات، ممّن ارتضى الله دينه أو حبّ عقيدته ويقينه، ذي الدّين القويم والصّراط المستقيم، الذي ارتضاه له ربّ العالمين، النّاسخ شرائع جميع

جميع الأنبياء الماضين دون شريعته ودينه، فإنّهما مستّمران إلى أبد الآبدين.

أول النبّيين مبتدأ وآخرهم مبعثاً ومولداً، الحاوي لجميع مكارم الأخلاق والفائز بدرجة السباق، والفائت عن اللّحاق والمؤدب بآداب الله تعالى، بحيث لا يدانى ولا يشابه ولا يضاهى ولا يماثل، قد بلغ الغاية الإمكانية في كلّ صفة من الصّفات الكمالية، من التّقى والعفّة، والورع والزّهد، والحلم والاجتهاد في طاعة الله سبحانه، والكرم والسّخاء والسماح، والعلم والحكمة والرأفة والرحمة والشفقة، وغير ذلك ممّا لا يحدّه قلم، ولا يحيط ببيانه رقم، لم يفقده الله تعالى حيث يحب، ولم يجده حيث يكره.

اللّهمّ انّي أُشهدك وكفى بك شهيداً، وأُشهد أنبياءك ورسلك وجميع مخلوقاتك؛ أنّي وجميع من سواك عاجزون قاصرون عن معرفة تلك السّمات والإحاطة بتلك الصفات، ولا ينكر ذلك إلاّ جاهل قاصر أو معاند مكابر، لا إله إلاّ الله الواحد الدّيان الحكيم الحليم السبحان، إذ أفاض ما أفاض من خزائن مملكة الكرم والجود والامتنان على عبده وحبيبه سيّد ولد عدنان، إذ لم يجد سواه أهلاً ولا غيره له محلاً، وإن حصل بعض ذلك للبعض، ثمّ مع ذلك كلّه فمحمّد ﷺ عبد الله سبحانه بحقيقة العبودية، ومملوكه ومخلوقه، ليس عنده شيء من الأشياء، ولا فيه ولا عنه إلاّ من الله سبحانه، ولا يسكن ولا يتحرك يمنةً ويسرةً، شرقاً وغرباً، باطناً أو ظاهراً، في الغيب أو الشهادة، في السر أو في العلانية، لنفسه أو لغيره، أو مرتبطة به وبغيره، اعتقاداً وعملاً

جوارحياً، قولاً أو فعلاً، أو وصفاً في جميع الأكوار والأدوار والأحوال والأوقات والآنات إلاّ بالله ومن الله وعن الله سبحانه.

فأوامر الله سبحانه ونواهيه، وإرشاداته ودلائله بنصب عينيه، لا يعدوها ولا يغفل عنها طرفة عين، لا في عمد ولا في خطأ، ولا في سهو ولا في غفلة ولا في سفه، كيف وهو خاصة الله سبحانه، قد استخلصه في القدم على سائر الأُمم على علم منه، قد انفرد عن التشاكل والتّماثل، أقامه في سائر عالمه مقامه، في الأداء عن الخالق سبحانه إلى الخلائق العبيد من جميع الجهات الضعفاء من جميع الجهات، إذن كان سبحانه وتعالى لا تدركه البصائر ولا الأبصار، ولا تحويه خواطر الظنون والأفكار، ولعلّك تتوهمّ أيّها النّاظر كُلاّ أو بعضاً دعاوي مجرّدة عن الدّليل، ولكن سنقيمه إن شاء الله تعالى ونريك إيّاه رأي عين، ببركات سيد النبيّين محمّد بن عبد الله خيرة الله من بريّته أجمعين.

سبب التأليف:

الدّاعي إلى نشر هذه الصفات، وسطر هذه السّمات لسيد الكائنات بعد أن كانت معلومةً بضرورة التواتر في جميع الطبقات، وأعظم في الاشتهار من الشمس في رابعة النهار هو أنه قد وصل إليّ كتاب لبعض علماء النصارى المسمّى ((بالباكورة)) وقد ذكر فيها من النّقائص لسّيد البريات بعد إبطاله دين الإسلام وتصحيح مذهب فاسد، ما ربّما يموّه به وبمزخرفاته على ضعفاء النّاس، فأحببت أن أقيدّه بسلاسل قيود حديد الدّلائل والبراهين

الوجدانـية العيانـيّة، بحيـث لا يسعه إلاّ الاعتراف بالحق وصحّة دين الإسلام والإقـرار بنبوة سيّد الأنام، وإبطال مذهب النّصرانية أو الاعتراف بالعناد والله سبحانه الموفّق للهداية والرّشاد.

ورتّبت هذا الكتاب في مقامات، سالكاً طريق الإيجاز في الاختصار تاركاً لما في كتابه من فضول المقال من القيل والقال، والله الموفّق في المبدأ والمآل.

المقام الأول

[في إثبات الدين الإسلامي ونبوة النبي الأعظم ﷺ]

إنّه قد علم بالضّرورة عند جميع المسلمين والنّصارى واليهود وجميع الفرق من الكفّار أنّه قد خرج رجل بمكّة، وادّعى النبوّة والرسالة من الله تعالى إلى جميع العباد، وأظهر كتاباً سماه قرآناً، وادّعى أنه من عند الله تعالى أنزله عليه جبرئيل من الربّ الجليل واسم ذلك الرّجل محمّد [بن عبد الله](١) بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف، وقد صدّقه على هذه الدّعاوى بالطّوع والرّضا خلق كثير وجمّ غفير، وقد تدينوا بدينه وشريعته، بحيث بلغ في الاشتهار والانتشار كالشمس في رابعة النّهار، في جميع المحافل والمحاضر ونودي بذلك بالاسم الشريف على رؤوس المنابر سنين وأعواماً تبلغ ألفاً وثلاث مائة وإحدى وعشرين سنة، مبتدأ الابتداء في هذا الكتاب الجليل، ولا

---

(١) ساقطة من المخطوطة.

ينكر ذلك إلاّ من كان بهيمةً أو من ربّته بهيمة.

وحينئذٍ يقال لك يا من سمّى نفسه بعالم النّصارى: ما تقول في الله سبحانه وتعالى، هل هو عالم بهذه الدّعاوى أولاً؟ والثّاني لا يسعك ولا تقدر عليه، وإذا كان الله سبحانه عالماً، فهل هو راض بتلك الدّعاوى أو ليس راضياً بها، فهل هو راض بحق وصدق أو أنه راض بباطل وكذب وافتراء عليه؟ والحاصل أنّ جميع شتات(١) هذا المقام محصورة في صور:

الصورة الأُولى: إنّ الله سبحانه وتعالى غير عالم بتلك الدّعاوي.

الصورة الثانية: إنّه عالم بها وغير راضٍ بها، ولكنّه لم يقدر على إبطالها أو أنه يقدر على إبطالها ولم يبطلها، أو انّه عالم [غير] راضٍ (٢) قادر على إبطالها وقد أبطلها وبيّن فسادها.

فالصور تنقسم إلى ثلاث :

أمّا الأُوليان(٣) فلا يسعك القول بهما ولا اعتقادهما؛ لأنّهما عين

---

(١) في المخطوط: شتات في هذا.

(٢) هنا سقط حيث ان هذه هي الصورة الثالثة من الصورة الثانية وسيأتي في ٦٥ قوله (الصورة الثالثة من الصورة الثانية التي هي انه سبحانه وتعالى عالم وقادر غير راضٍ بتلك الدعاوى ولا بالتدين بذلك، ولكنه بيّن فساد ذلك وأبطل الجميع....).

(٣) في المخطوط: الأولّتين، والمقصود بها الصورة الأولى، والصورة الأولى من الصورة الثانية.

نسبة الجهل والعجز إلى الله تعالى، والجاهل العاجز لا يكون ربّاً أبداً.

وأمّا الصّورة الثّانية من الثّانية الّتي هي أنّ الله سبحانه عالم بتلك الدّعاوي وغير راضٍ بها وأنّه قادر على إبطالها ولكنّه لم يبطلها بأيّ نحوٍ من الأنحاء، فحينئذٍ نقول:

أليست كلّ واحدةٍ من تلك كذباً على الله سبحانه وتضييعاً لعباد الله فإذا كان كذلك فعدم بيان الله، سبحانه للبطلان سكوت منه على القبيح وتقرير له في الأوّل، حيث إنّه على هذا الفرض كذب على الله تعالى، وقبح الكذب معلوم بالضّرورة العقليّة، فالسكوت عنه وتقريره مع التمكّن من رفعه وإزالته قبح أيضاً، ولذلك تجد أنّه سبحانه وتعالى لم يترك من ادّعى الرّبوبيّة والألوهية وكذّب الأنبياء وعارضهم أو نابذهم من الإهلاك بعد البيان والإنذار.

فإن قلت: إنّا نمنع كون السكوت على القبيح والتقرير عليه قبيحاً.

قلت: كونه قبيحاً يحتاج إلى لطف قريحة، ولو تنزّلنا فنقول: أيهما الأَوْلى للحكيم السكوت والتقرير أو البيان والإنذار؟ ولا شكّ أنّ الثاني أَوْلى فيجب عقلا بمقتضى الحكمة.

وامّا الثاني الّذي هو تضييع عباد الله في معاشهم ومعادهم فهو كما ترى رأفة الله سبحانه بعباده الفقراء إليه الضّعفاء وشفقته تعالى بهم أنّه خلقهم كرماً وجوداً، وأودعهم أصلاب آبائهم وأرحام أمّهاتهم، وحفظهم في

الحالين، وفي جميع أحوال التّنقلات، حتّى أخرجهم إلى هذه الدّنيا، وأدرّ لهم الأغذية اللّبنية، وعطّف عليهم قلوب الخواص والمرضعات، وسخّر لهم الكوافل والمرّبيات، وقدّر لهم الأرزاق والأقوات، ويسّر لهم أسباب المعاش وكساهم صنوف اللّباس وأنواع الريّاش، وحفظهم في جميع الحالات من الآفات والعاهات والحيوانات المؤذيات، وأنحاء المهلكات في جميع التنقلات وسقاهم عذب الماء من عيون الأرضين والسماوات، وسّخر لهم الأرض لإنبات جميع أنواع النّباتات، وجعل فيهم المشاعر الباطنيّة والظّاهرية، لإدراك ما فيه نفعهم وضررهم لدينهم ودنياهم وصحّتهم وسقمهم، وعلّمهم العلوم والصّنائع الدّقيقة وغيرها، وملكّهم الحيوانات والجواهر المثمنات وغيرها وغير ذلك من النّعماء والآلاء التّي لا تعدّ ولا تحصى فأتمّ نعمته وأظهر قدرته ونشر فضله وكرمه وجوده وامتنانه، وأبان سلطانه إتماما للحجّة وإظهاراً للمحجّة.

ومع هذا كلّه فهل يرضى الجاهل فضلاً عن الفاهم العاقل الفهيم الحكيم العالم أنّ الله سبحانه وتعالى ترك عباده على الجهالة وحيرة الضّلالة يتلاعبون في أديانهم، وكلّ واحدٍ يسرق الآخر وينهبه ويقتله، ويأخذ زوجته ويدّعي بنوّة أولاده، ويتزّوج الرّجل بناته وأخواته، وغير ذلك من المفاسد التي تمجها الطباع وتملّها الأسماع، فيهملهم الله سبحانه هكذا من غير أن يوظّف لهم الوظائف الإلهيّة، ويحدّد لهم الحدود الشرعيّة، فيكونوا بهائم أو في حكم البهائم من غير بيان ما فيه مصالحهم ومضارّهم الخفيّة عليهم، فإنّه

بالضـرورة مناف ومناقض لرأفته بهم وشفقته، وأن يتركهم من غير بيان ما به تظهـر عبوديـتهم لـه وطاعتهم وانقيادهم وعصيانهم، فإنّه بالضّرورة العقلية يقبح تعذيبهم الدنيوي والأُخروي من غير بيان وإقامة البرهان ولذلك تجد أنّه سبحانه وتعالى لم يعذّب الأُمم الماضية بالمسخ والخسف والغرق وغير ذلك إلاّ بعد الإنذار من أنبيائهم والتّبليغ والإعذار، وكذلك العذاب الأُخروي.

وأمّـا الـنّعم والـتّلذذات الأُخـروية مـن تـزويج الحور وسكنى القصور والإخـدام بالولدان وتملّك بقاع الجنان، ضرورة قبح إعطاء مثل ذلك للحيوان ذي القوائم الأربع، وواحد ممّن يمشي مكبّاً على وجهه، ولا يمكن لمن له شعور وادراك وتميـيز أن يقـول: إن مـن لم يـتديّن بدين ربّ العالمين يتنّعم كما يتنّعم الطّائع لربّه، المتّبع لشريعة نبيّه ﷺ.

الصـورة الثالـثة مـن الصّـورة الثّانـية: الّتي هي أنّه سبحانه وتعالى عالم وقـادر وغـير راضٍ بتلك الدّعاوى ولا بالتديّن بذلك، ولكنّه بيّن فساد ذلك وأبطل الجميع، [فنقول حينئذٍ]: ان بيان فساده منحصر[١] في النّقل والعقل.

الدلـيل الـنقلي: فلـيس إلاّ بـالوحي مـن الله سـبحانه عـلى أنبيائه في الكتـب السّـماوية أنّـه نقـل عـنهم أو عن أحدهم أو عن أوصيائهم أو أحد

---

(١) في المخطوط: منحصران.

أوصيائهم بالنّقل المتواتر[١] في جميع الطّبقات، بأن يكون منطوق ذلك الوحي مسطوراً ومنقولاً أنّه سيخرج رجل بمكّة في اليوم الفلاني عدداً، في الشهر الفلاني، في السنة الفلانية، اسمه محمّد بن عبد الله بن عبد المطّلب بن هاشم ويدّعي النّبوة والرسالة من الله سبحانه، وأنّ له شريعةً ناسخة لما قبلها فلا تصدّقوه ولا تركنوا إليه، واستمرّوا على دينكم ولا تغيّروه ولا تبدّلوه.

تعدد اسم النبي الأعظم ﷺ:

وأنّا أقول لك يا من سمّى نفسه بعالم النّصارى: إني أظن أنّك لا تدّعي ذلك، وإن ادّعيت ذلك فقد فضحت نفسك عند أهل ملتك من النّصارى بل عند جميع الملل الخارجة عن الإسلام، حيث إنّه لم يسطر في كتاب، ولم ينقل في سؤالٍ ولا جواب، ولا نطق به ناطق من كاذب أو صادق، ولعلّ الواهمة غير الصّائبة تدعوك إلى التّشبث بما عن عيسى (على نبّينا وآله وعليه السلام) من البشارة بنبي يأتي من بعده اسمه أحمد ﷺ، وأنا أقول لك إنّ تسميته أحمد ﷺ لا ينافي تسمية محمد ﷺ؛ لضرورة إمكان تعدّد الأسماء للمسمّى الواحد، كما تقول ونقول أيضاً: إنّ ابن مريم ابنة عمران عليهما السلام اسمه عيسى عليه السلام واسمه روح

(١) التواتر (المتواتر): هو ما أفاد سكون النفس سكوناً يزول معه الشك ويحصل الجزم القاطع من أجل اخبار جماعة يمنع تواطؤهم على الكذب، معجم المصطلحات الاصولية : ١٣٩.

الله، واسمه كلمة الله. والوجدان والعيان والشّرع كلٌّ ناطق بذلك.

أمّا الوجدان والعيان فلأنّ الاسم ليس إلاّ ما أنبأ عن المسّمى، وكان علامة له ودالاًّ عليه، والدلائل والعلامات تتعدّد للواحد، كما ترى أنّ الشمس والقمر علامتان دالتان على المشرق والمغرب، وكذلك النجوم الطوالع والنجوم الغوارب، وكذلك النجوم الثّوابت غير المتحرّكات بالحركة العرضيّة علامات ودلالات لجهة الجنوب وجهة الشّمال والخريت والنصب والكواكب علامات ودلائل للطّريق، والرّائحة واللّون والطّعم واللّمس علامات ودلائل للشيء الواحد.

وسّمى المشرع ابن مريم عيسى عليه السلام، وروح الله، وكلمة الله، وسمّى الشّرع أيضاً الواحد من الأنبياء بالأسماء المتعدّدة المختلفة باختلاف اللّغات من السريانية والعبرانية واليونانيّة والعربيّة وغيرها كما تحكيه الكتب السماويّة.

والحاصل أنّ من ينكر تعدّد الأسماء للمسمّى الواحد أو يميل إليه أو يتوهمّه خارج عن نوع الإنسان، فلا يليق ولا يحسن معه خطاب ولا سؤال ولا جواب.

الدليل العقلي:

وأمّا البيان بالعقل فإنْ كان بالاستقلال من حيث الحسن والقبح فهو عقل حيوانات البر والبحر ولا كلام معهم، وإنّما هو مع من سّمى نفسه إنساناً

وإن كـان بالواسـطة، بمعـنى أنّـه يرى آحاد النّصارى ومئاتهم وألوفهم وألوف ألوفهـم في هذه الأزمان وما قبلها على دين عيسى عليه السلام وشريعته، وفيهم أهل الفهـم والذّكـاء والفطنة، والعلم والحكمة والتقى والورع، والصّلاح والعفّة، فـيحكم العقـل بحقـيّة ما هم عليه، ولازم ذلك عقلاً بطلان خلافه، وهذا هو البيان العقلي لبطلان نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم وشريعته.

قلـت: قـد فتحـت لك باباً وسأغلقه إغلاقاً إن شاء الله تعالى، فلا تقدر على الوصول إليه فضلاً عن فتحه ودخوله فنقول:

إن مـئات الألـف الواحـدِ عشـرٌ، فتعـيّن لـه أولى وثانية وثالثة ورابعة وخامسـة إلى المائـة العاشـرة، فالمائـة الأُولى إن كانـت قـد علمت حقيّة دين عيسى عليه السلام وشريعته بعد ظهور محمّد صلى الله عليه وسلم من المائة الثّانية، والمائة الثانية علمته من المائـة الثالـثة، والثّالـثة من الرّابعة، وهكذا إلى المائة العاشرة، فإن كانت المائة العاشـرة علمـته مـن إحـدى المئات التّي تحتها فهو دور ومحال، وإن علمته من المائـة الحاديـة عشـرة، وهكذا متصاعداً إلى مائة ثانية عشرة، ثمّ منها إلى ثالثة عشـرة وهلّـم جـراً فهـو تسلسـل محـال، وهكـذا يقـال في الآحاد والعشرات والألوف وألوف الألوف من الدّور والتّسلسل(١).

---

(١) **الدور**: هو يحتاج الأول إلى الثاني، والثاني إلى الأول؛ اما بواسطة أو بغير واسطة.

فـإن قلـت: إنّ عـلـم الـبعض غـير مستفاد من البعض الآخر آحاداً أو عشـرات أو ألوفـاً أو ألوف الألوف، بل كلّ طبقة في كلّ زمان استفادت ذلك وعلمـته مـن الطـبقة الّتي فوقها حتّى ينتهي إلى الوحي الذي نطق به عيسى عليه السلام أو أحد أوصيائه.

قلـت: قـد خرجت عن الاستدلال بالعقل، ورجعت إلى دعوى التّواتر، وقـد عرفـت الجـواب عنه في السّابق، ونزيد هنا أيضاً أنّ النّقل المدّعى منقول عـن أيّ نسـخة مـن نسـخ الإنجيل، أو عن أيّ وصيٍّ من أوصياء عيسى عليه السلام، أو

كما في المباحث المشرقية ١: ٤٦٩.

وكذلك هو توقف الشيء على ما يتوقف عليه بمرتبة أو أكثر. كما في مطالع الانظار: ١٥٢.

وأيضاً هو أن يكون شيئان كل منهما علة للآخر بواسطة أو دونها. شرح المواقف: ١٧٧.

وشرح المصطلحات الفلسفية: ١٣٤

أمّـا التسلسـل: هـو أن نقـول الأول يعقـل ذاتـه مـبدأ بهـذا الـلازم، وهو أنه مبدأ للأشياء. التعليقات: ١٥٥.

وأيضاً هو أن يتلاقي معروضا العلّيّة والمعلوليّة في سلسلة واحدة من معلول معيّن إلى غير نهاية. كما في مطالع الانظار: ١٥٣.

وكذلـك هـو أن يستند الممكن في وجوده إلى علّة مؤثرة فيه وتستند تلك العلّة المؤثرة إلى علة أُخـرى مؤثّـرة فـيه. وهـلمّ جـراً إلى غـير الـنّهاية. شـرح المواقـف: ١٧٩، وشـرح المصـطلحات الفلسفية: ٥٦.

عـن أيّ أحـد من الحواريّين أو عن عيسى عليه السلام؟ ومن نقله وما اسمه؟ وهل هو متّحد أو متعدّد؟ وما قدر التعدّد في جميع الطبّقات؟ ولِمَ لا عارضوا به محمداً صلى الله عليه وسلم في دعـواه في زمانـه وبعـد زمانـه، وكـلّ ذلك أكاذيب وخرافات، مع أنّ اليهود جميعاً وجميع المسلمين يعتقدون الكذب والافتراء.

فظهر بحمد الله تعالى كالشمس الصّاحية أنّ محمداً صلى الله عليه وسلم بن عبد الله بن عـبد المطّلـب بـن هاشـم المكّـي نـبيّ حـق ورسـول صـدق بالـبرهان العقلي والوجـدان العياني، وهو ذو اسمين سمائي بمعنى أعلا، وأرضي وهو دون ذلك، وهما بلمح الوصفيّة الأصليّة عند وضع العلميّة أنّه أحمد المخلوقين لله سبحانه مـن الأنبياء مطلقاً سواء في ذلك عيسى وموسى وإبراهيم ونوح وآدم وغيرهم ومـن جميع الملائكـة المقرّبين والكرّوبيين وغيرهم، ومحمد صلى الله عليه وسلم: أي حمده جميع الخلائق.

فالأول بلحاظ النسبة إلى الله تعالى؛ كان سمائياً.

والثاني بلحاظ النسبة إلى المخلوقين؛ كان أرضيّاً.

المقام الثاني

في بيان كون نبينا محمد ﷺ بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم سيّد الأنبياء والمرسلين سواء في ذلك وغيره وانّ محمداً ﷺ أشرف المخلوقين وأفضلهم وأحبّهم عند الله سبحانه من غير فرقٍ في ذلك بين عيسى وغيره من الأنبياء والملائكة وغيرهم،

وحينئذٍ فنقول في إثبات ذلك بالبراهين العقليّة والوجدانيّة.

الاستدلال على أفضلية النبي الأعظم ﷺ:

وهي وجوه:

الوجه الأول: إنّ أحمد ﷺ الّذي اسمه محمد ﷺ أيضاً الّذي هو آخر الأنبياء صاحب دين وشريعة مستمرة إلى يوم القيامة، والنبوّة سلطنة ورئاسة عامّة في الدّين والدّنيا، وعمومها لا يجعله الحكيم العالم ولا يخصّه إلاّ بمن هو أهل ومحل لذلك دون غيره، وإلاّ لم يكن فاعلاً على مقتضى الحكمة، وهو قبيح محال على الحق والغنيّ المطلق، وكان ﷺ بذلك حاملاً لمرادات الله سبحانه بالعموم وخصوصه والخصوص وعمومه، وهي منحة إلهيّة وعطيّة

ربانـيّة لم يفـز بهـا غـيره، ولم يحظ بها سواه، فهو الأمين المؤتمن على وحي الله وعـزائمه وأوامـره ونواهـيه، فاختصّـه الله سبحانه دون غيره من الأنبياء بهذه الأمانـة الكـبرى والغاية القصوى، وبالضرورة العقليّة أنّ المختص بذلك دون غـيره سـيّد عـلى من سواه، واشرف وأعلى وأحبّ عند الله سبحانه ممّن سواه ومـن أنكـر ذلـك فقد كابر عقله وخالف وجدانه، بل لا ينكر ذلك أحد من علماء النّصارى من ثبوته للنّبي الّذي اسمه أحمد ﷺ.

وإن قالوا:

إنّ الـذي تدّعونـه اسمـه محمـد ﷺ، وقـد عرفت أنه اسم ثانٍ وأنّ نبينّا ﷺ له اسمان أحمد ومحمد ﷺ.

الوجـه الـثاني: إنّ ديـن أحمـد ﷺ الّذي اسمه الثّاني محمّد ﷺ، وشريعته ناسـخة لشـريعة عيسى عليه السلام، ورافعة لها ومزيلة أيضاً، وبالضّرورة العقليّة أنّ النّاسـخ والـرّافع والمزيل أقوى وأشرف وأقرب إلى الله سبحانه وأحبّ إليه من المـرفوع والمنسـوخ والمزال، وبالضرورة العقليّة والوجدانيّة أنّ صاحب الأقوى والأشـرف والأقرب والأحب أقوى وأشرف وأقرب وأحبّ إلى الله سبحانه ممّن سـواه، سـواء في ذلك عيسى وغيره من الأنبياء والمرسلين والملائكة وغيرهما، إذ يسـتحيل بمقتضـى حكمة الحكيم العليم المطلق أن يخص الأشرف والأقوى والأقـرب والأحـب إلـيه بغـير الأشـرف والأقـرب والأحـبّ إليه، إلاّ أنّ هذا الدّلـيل إنّما هو بحسب الظّاهر، فهو دليل صوري لا حقيقي؛ لأن التحقيق أنّ الشّـريعة اللاّحقة يجعلها الله سبحانه بعد انتهاء مدّة الشريعة السّابقة، إذ هي

مقـيّدة موقّـتة في عـلم الله سـبحانه، وقـد يعلم بذلك أنبياءه. ففي الحقيقة أن موضوع أحكام الشّريعة اللاّحقة مغاير لموضوع الشريعة السّابقة، فلا نسخ في نفـس الأمـر والواقـع، وإنْ أُطلـق عـلى ذلـك النّسـخ فهـو من باب المجاز لا الحقيقة، ونسبة النسخ إلى الشّريعة على إطلاق المجازي من حيث كونه منسوخاً بهـا، إذ النّاسـخ عـلى الحقيقة الذي هو جاعل الشريعة اللاحقة هو الله تعالى ولا يلزم أن تكون الشريعة اللاّحقة أقوى كما لا يخفى.

الوجـه الثالـث: إن نبيّـنا معاشر المسلمين اسمه أحمد ﷺ، أي أحمد الخلائق مطلقـاً في جمـيع المحـامد لله سـبحانه القولـيّة والفعليّة والاعتقادية، فقد قام لله سـبحانه بحقـيقة العـبودية، كما يدلّ عليه عموم معنى اسمه المذكور، ويستحيل بالضّـرورة الفعلـيّة أنّ من اتّصف بتلك الصّفات ووسم بتلك السمات أن لا يكـون أقـرب الخلائـق إلى الله وأحبّهم وأشرفهم عند الله تعالى، وسيّداً عليهم مـن غـير فـرق بـين عيسى وغيره من الأنبياء والمرسلين وغيرهم، وقد اعترف النّصارى بتسميته ذلك الاسم الشريف.

الوجه الرابع: إنّه اشتّق اسما نبينا أحمد ﷺ ومحمد ﷺ من اسم الله تعالى المحمـود دون غـيره مـن سائر الأنبياء، سواء في ذلك عيسى وغيره، [و] العقل مسـتقلّ في حكمـه بـأنّ اختصاصه بهذه الفضيلة ليس إلاّ لأشرفيتّه ممن سواه وأحبيّته إلى الله، وأقربيّته إليه من غيره، وكونه سيّداً على من سواه، وسنجيب أنّ تسـمية عيسـى بـروح الله وكلمـته لا توصله إلى تلك الدّرجة ولا ترقيّه إلى تلك المنزلة.

المقام الثالث

[في الرد على دعوى سلامة التوراة من التحريف]

إنّه قد تصدّى صاحب الكتاب المذكور لإثبات دعواه من كون عيسى عليه السلام له منزلة ودرجة لا يساويه فيها أحد من المخلوقات، كما يدلّ عليه تسميته في التوراة بابن الله! تعالى الله عن ذلك، وإنّه إله، وإنّه فادٍ للخلائق العصاة وإنّه مخلّص كما تضمن ذلك فصله الأوّل من الكتاب المذكور.

واستدلّ على سلامة التوراة الموجودة عندهم من التّحريف والتّغيير بدليلين، وكتاب تفاصيل التّوراة المسمّى بأسفار الله الحي، وادّعى أنّه بعناية الله محفوظ إلى يومه هذا، سالم من التحريف والتّصحيف والتّغيير والتّبديل.

الاستدلال على سلامة التوراة من التحريف:

[الدليل] الأول: سلامته من أثر غايات الناس وأميالهم، وفصّل الدّليل المذكور بأنّ الكتاب موجود بأيدي العبرانيين اليهود باللّغة التّي انزل فيها طبق ما هو بيد النّصارى بلغات مختلفة، إلاّ ما ندر مما يؤثر البتة على غاية الكتاب

وقصده.

ومع كونه باعتبار نبواته يضادّ اليهود في إنكارهم المسيح وكفرهم به ويضاد كثيراً من فرائض وطقوس[١] أكثر المذاهب النصرانيّة، مع ذلك لم يقدر هؤلاء ولا أُولئك على تغيير أو تبديل شيء من نصوصه، بحيث يكون على نوعٍ ما موافقاً لآلائهم واصطلاحات عباراتهم، فلا جرم أنّ ذلك من أقطع الأدلّة على كونه محفوظاً أبداً بيد من أنزله تعالى عليه من التلعّب فيه، رَغماً على كل مقاوميه ومضاديّه.

الجواب على الدليل الأول:

أقول: والجواب عمّن لا يسميّه أهل صناعة الاستدلال دليلاً اعتباريّاً فضلاً عن كونه دليلاً، وإن سمّاه صاحب الكتاب دليلاً، وعلى كلّ حال فنقول في الجواب: إنّ التوراة وأسفار الله نسبة واحدة، وحكم واحد جزئي، وإنّهما نسب متعدّدة وأحكام متعدّدة متكثّرة، مئات وألوف وألوف ألوف، لا سبيل لك إلى الأوّل ولا تقدر أن تدّعيه.

وأمّا على الثّاني، فلا يخلو: إمّا أن تقول السّالم من التّحريف ونحوه جميع ذلك من النّسب والأحكام أو البعض المعيّن أو البعض غير المعيّن، والأخير

(١) في المخطوط: طسوق.

يوجب الإهمال والإجمال لاشتباه الحق بالباطل، فلا يجوز التعويل عليهما لا في عمل ولا إعتقاد ولا غيرهما.

وان كان السّالم هو البعض فلا يبطل تحريف ما سواه، ولا يمنع من كونه مبدّلاً، وإن كان المدّعى سلامة الجميع فهذا دليله لا يدل إلاّ على البعض على فرض كونه دليلاً مع أنّه قد اعترف بالتغيير في الجملة ولو في الندرة.

قال في دليله المذكور: إنه باعتبار نبّواته يضاد اليهود في إنكارهم المسيح عليه السلام وكفرهم به، ويضاد كثيراً من فروض طقوس[١] اكثر المذاهب النّصرانيّة.

وحاصله: إنّه لّما رأينا المضادّة الكثيرة، ولم يحرّفوها تحريفاً ينطبق على مذهبهم واعتقادهم؛ علمنا أنّ الكتاب المذكور بجميعه سالم من التحريف.

أقول: وهذا الذي قلنا أنّ دليل الجزء لا يثبت الكل كما لا يخفى، مع أنّه يحتمل أنّ إنكار اليهود للمسيح إنكار لعموم نبوّته ونسخها لشريعة موسى عليه السلام، بأن يكون عيسى عليه السلام نبيّاً من عند الله وموسى عليه السلام كذلك فلهم اختيار شريعة أيّاً منهما.

ويحتمل أن يكون الإنكار لكون الموعود بنبوّته في التوراة ليس هذا، بل هو بعد لم يوجد، كما تقولون أنتم يا معاشر النّصارى في إنكار نبوّة محمّد صلى الله عليه وآله، ويحتمل أنّ إنكارهم لنبوة عيسى عليه السلام لبعض الأقاليم أو بعض

---

(١) في المخطوط: طسوق.

الأصناف من النّاس، فلأيّ واحدٍ من الاحتمالات الثّلاثة لا تكون نبوّات التوراة مضادة؟ وان كانت تلك الاحتمالات فاسدة فلا يكون ذلك دليلاً على عدم التحريف؟

ومنه يعلم الجواب عن المضادة الكثيرة من فروض طقوس[١] اكثر المذاهب النّصرانيّة، وحينئذٍ فلا يكون هذا الدّليل من أقطع الأدلّة على كون ما بيد اليهود ونحوهم المسمّى بالتّوراة أو تفاصيلها محفوظاً عن التّحريف. نعم هو محفوظ دائماً وأبداً بيد من أنزله سبحانه عند أمنائه الذين هم أهل الأمانة، كالأنبياء والأوصياء؛ إذ يستحيل في الحكمة أن يجعل الحكيم أمانته عند غير أهلها، ولا يرد مثل ذلك في كتاب نبيّنا وسيّد رسل الله، إذ كان منتشراً في شرق الأرض وغربها، مبذولاً في يد البر والفاجر، حيث إنّه قد اقترن بوصف داخل لا ينفك عنه أبداً، يمنع عن اقتدار أحد من مخلوقات الله سبحانه من وضع شيء فيه غيره، وذلك الوصف هو الإعجاز.

والحاصل أنّ القول بكون ما بيد اليهود عين ما أنزل الله سبحانه مجرّد دعوى خالية عن الدّليل، بل قد عرفت أنّ الائتمان يقضي بالعدم.

الدليل الثاني:

الثاني من الأدلّة: حدوث أُمور كثيرة أنبأ عنها قبل حدوثها بقرون عديدة

---

(١) في المخطوط: طسوق.

وحوادث مختلفة عتيدة أن تحدث في مستقبل الأيّام. كما تقدّم ذكره. على توالي الأزمنة إلى نهاية العالم. ولا يخفى أنّ جزءاً كبيراً من هذه النبوات قد تمّ على نوع مدهش، بحيث الملحدون أنفسهم لم يستطيعوا إلاّ أن يشهدوا بأنّ تلك الحوادث قد حدثت تماماً، كما سلف القول عنها في كتاب اليهود (التّوراة)، فلا جرم أنّ هذه البيّنة أيضاً هي دليل قاطع كل ريب على سلامة كتاب الله من شائبة التحريف والتغيير، وباقية على مرّ[١] الآجال وتوالي الدّهور شاهد فينا على صحّة وصدق الكتاب المنبىء عنها فيه.

الجواب على الدليل الثاني:

إنّ قوله: ((**حدوث أمور كثيرة... إلى قوله: كما تقدّم ذكره**))؛ إنّ هذا إنّما يدلّ على بعضٍ من التّوراة أو تفاصيلها الموجودة عند اليهود ونحوهم على كونه صحيحاً وحتماً من عند الله، والمسلمون لا ينكرون ذلك، واثبات صحّة الجزء لا يثبت [صحة][٢] الكلّ كما عرفت، لكن قوله في هذا الدّليل على توالي الأزمنة إلى نهاية العالم أن "على" الجارّة متعلّقة بـ ((حدوث)) أو متعلّقة بـ ((أن تحدث))، ومحصّل هذا الكلام أنّ ما اشتمل عليه الكتاب من

---

(١) في المخطوط: ممر.

(٢) زيادة اقتضاها السياق.

الأنـباء والأخـبار عن حدوث حوادث في آخر الزمان الّذي هو نهاية العالم قد حدثت ورآها المستدل وعلم بحدوثها في نهاية العالم.

أقـول: مـا أدري عـن أحـوال هذا المستدل! هل يتكلّم فضولاً وهذياناً أو عـن قصـد وشـعور؟ فـإن كـان عن قصدٍ وشعور فـ [هل][1] هو كان موجوداً حاضـراً في نهايـة العـالم ورأى بعيـنه تلك الحوادث في النّهاية المذكورة؟ وهل العـالم قـد انقضـى في زمانه وما بعده ليس من العالم؟! أو أنّه يفرض كلّ قرن عالمـاً مـن القـرون المتقدّمة على زمانه؟ فللقرن بداية ونهاية، ولكن هذا باطل لأنّ حكـم هـذا الفـرض قد استفيد من العبارة السّابقة وهي قولـه: ((حدوث أمور كثيرة أنبأ عنها قبل حدوثها)).

فـإن قلـت: في تصـحيح العـبارة: انّ "على" متعلّقة بـ ((أنبأ عنها قبل حدوثهـا)) يعني أنّه قد أنبأ عن أشياء قبل حدوثها على توالي الأزمنة إلى نهاية العـالم، أو مـتعلّق بمحـذوف، أي بحدوثهـا على توالي الأزمنة وإن لم تحدث في زمانـه، لكـن لا يخفـى أنّ صـدق الإنـباء إنّمـا يكـون بعد الحدوث؛ وأمّا قبله فيحـتمل أنّ الإنـباء المذكـور مـن المحرّفات، فلا تكون تلك العبارة من الوحي كما هو واضح.

---

(١) زيادة اقتضاها السياق.

ثـمّ انظر إلى التّناقض في دليله، وهو أنّه يقول بالإنباء بحدوث الحوادث إلى نهاية العالم، وهنا يقول: جميع الحوادث المخبر عنها قد حدثت.

قولـه: فلا جرم انّ هذه البيّنة... إلى آخره:

أقـول: قـد عرفت أنّها نتيجة لمقدمات عقيمة يموّه بها على مثله وأشباهه فهو فرع على غير أصل.

الرد على دعوى تباين الأديان:

قولـــه: «**هـل لله سـبل مخـتلفة وآراء متبايـنة؟ حاشـا إنمـا لله سـبيل واحـد وديـن واحـد، كمـا هـو واحـد، فما قولكم والحال هذه في الأديان المختلفة والعقائد المتباينة؟ فهل كلّها من الله وهي مرضيّة لـه؟ لا بدّ أن تقولوا: كلاّ وحاشا.**

إذاً مـا الطّريقة. ليت شعري. لمعرفة الدّين الصّحيح والحق القويم؟ وكل أبناء ديـن ومذهـب يـتفكّرون أنّ ديـنهم هـو الحـق ما يكون ومذهبهم هو الأصح من غيره، ويحـاجّون مدافعـين عنـه مـا أمكـن حـال كـونـه مـن المحال صحّة دعوى كلّ فريق منهم.

لعمري إنّ هذه المسألة توقع عموم أُولي الأديان من ذوي العقول السلّيمة في شكل عظيم، محـال تخلّصهم منه إلاّ بـرجوعهم عقلاً وقلباً إلى اليـنبوع الأصلي كتاب الله المقدّس، ورفضهم كلّ رأي دون رأي الله فيه».

اصـغ واسـتمع لهذه التمويهات الّتي هي إبطال للأديان والشّرائع، فإن **قولـه**: «**هل لله سبل مختلفة وآراء متباينة...** ـ إلى قولـه ـ **هو دين واحد كما هو**

واحد)) إن كـان المراد بالسّبل المختلفة هي الطّرق والدّلائل إلى الآراء الّتي هي ديـن الله تعـالى في أزليّـته، ولا تزاحم في إطلاق الآراء؛ لكونها مناقشة لفظيّة، فهـل السّـبل المخـتلفة إمكانيّة أو أزليّة أو أزليّان أو مختلفان؟ أو أن السبل هي عـين الآراء أو غيرها، ولكن ظاهر تفريعه وحدة الآراء على وحدة الله سبحانه وتعالى ووحدة السّبل.

وحاصـل كلامـه: كمـا أنّ الله سـبحانه وتعـالى واحد فآراؤه رأي واحد والسّـبيل إلى ذلـك الـرّأي واحـد، وهو كما ترى يعالج أن السّبيل الواحد هو عيسى عليه السلام فلا يكون موسى عليه السلام ولا إبراهيم عليه السلام ولا نوح عليه السلام ولا آدم عليه السلام ولا غيرهم من الأنبياء، ولا كتبهم السّماويّة المنزلة عليهم، ولا وحي الله إليهم سبيلاً إلى الله لحصره السبيل في واحد، وشناعته لا تخفى على ذي مسكةٍ فضلاً عـن الفـاهم، وكـيف بالحكيم العالم؟! ثمّ فرّع على هذا الأصل الفاسد قولـه **((فما قولكم. والحال هذه. في الأديان المختلفة والعقائد المتباينة هل كلّها من الله وهي مرضية له؟ لا بد أن تقولوا: كلاّ وحاشا))**.

أمّـا الأديـان المخـتلفة كـلها مـن عند الله تعالى وهي مرضيّة لـه، إذ هي أحكامـه وعزايمه على عباده في الأزمان المختلفة، فشريعة كلّ نبيّ لاحق ناسخة لشـريعة الـنبيّ السّـابق، وتـباين الشـرائع لا ينافي وحدة الواحد؛ إذ الأحكام والشـرائع[1] أغذيـة وتربـية أخـروية ودنـيوية للمحكوم عليه على ما يصلح

---

(١) نسخة بدل: والعزائم.

حالـه، كمـا تـرى أنّ غذاء المولود غير غذاء الفطيم، وغذاء الفطيم غير غذاء اليافع، وغذاء الحيوان الصّامت غير غذاء الحيوان النّاطق، وغذاؤهـم غير غذاء النّـباتات، وغـذاء الصـحيح غـير المـريض، حكمة بالغة فما تغنيك الشّواهد والنّذر.

الرد على تباين العقائد:

قولـه: ((والعقائد المتباينة)).

أقـول: فأنـا أسألك يا من سمّى نفسه بعالم النّصارى، هل عقيدتك في الله عين عقيدة عيسى بن مريم عليه السلام بكلّ وجهٍ واعتبار، بحيث كنتما متساويين قوّة وضعفاً وانكشافاً أو عقيدتكما مختلفة؟

فـإن قلـت بـالأوّل فحينـئذ لا فـرق بيـنك وبين عيسى عليه السلام، فلِمَ كنت مرؤوساً وتابعاً وعيسى عليه السلام رئيساً عليك ومتبوعاً؟ وهل تخصيص الله سبحانه وتعـالى عيسـى عليه السلام بذلـك تشهيّاً وترجيحاً بلا مرجّح على خلاف الحكمة؟ اخـتر لنفسـك مـا يفضـحك عـند قومك وأتباعك، أو تقول: إنّ عقيدة أتباع عيسـى عليه السلام مخالفة لعقيدة عيسى عليه السلام لضعف البصيرة في الأتباع، كما ترى أنّه لمّا تجلّى سبحانه على جبل الطّور تدكدك لموسى الكليم[1] ومات السّبعون

---

(١) إشارة إلى قولـه تعالى: ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ موسَى صَعِقًا ﴾. الأعراف: ١٤٣.

رجلاً الّذين اختارهم موسى عليه السلام من قومه لأنّهم صفوة قومه، وصعق موسى عليه السلام ولم يمت، ولكنّة غشي عليه، وكيف مات السبعون رجلاً ولم يمت موسى عليه السلام؟! وليس ذلك إلاّ لاختلاف العقيدة.

فإن قلت: اختلاف العقيدة موجب لاختلاف المعتقد واختلاف المعتقد موجب لتعدّده، وهو إبطال لوحدة الواجب البسيطة.

قلت: الاعتقاد يقع على الوحدة البسيطة الأزلية أو يقع على وحدة بسيطة إمكانيّة رسميّة هي عنوان للوحدة البسيطة الأزليّة؟(١)

---

(١) هنا مفردات بتوضيحها يتضح المطلب وهي:

أ ـ الوحدة وهو مصطلح متعدد المعاني والمراد به هنا (وحدة الواجب البسيطة) وهو ما لا ينقسم فان كل شيء كان لا ينقسم من وجه ما فهو واحد. آراء أهل المدينة الفاضلة: ١٥، وكذلك بمعنى أنّه لا يكون لشيء آخر وجود مثل وجوده، فيكونان واجبي الوجود. بمعنى أنّه لا يجوز ان يجتمع وجوده مع كثرة.... كما في شرح المصطلحات الفلسفية: ٤٢١.

ب ـ البسيط: هو الذي لا يمكن العقل أن يعتبر فيه التألّف والتّركّب من عدّة معان، فلا يمكن تحديده، وذلك كالعقل والنّفس. وما أمكن ان يعتبر فيه ذلك فهو غير بسيط كالإنسانّية والحيوانية.... التعليقات: ٢٦. والمصدر السابق: ٤٥.

ج ـ الأزلي: الذي لم يكن ليساً، وليس بمحتاج في قوامه إلى غيره. رسائل الكنديّ الفلسفية: ١٦٩.

وأيضاً هو الذي لم يكن ليساً، ومالم يكن ليساً لا يحتاج في قوامه إلى غيره. والذي لا ⇐

فإن قلت بالأوّل، فأقول لك: هل تتكلّم بغير شعور ولا إدراك أو بشعورٍ وإدراك؟ وعلى الأوّل يسقط الكلام معك، وعلى الثّاني فمشعرك الّذي تدرك به إمكاني أو أزلي؟.(١)

فإن قلت: إنه أزلي فقد تعدّدت الآزال بتعدّد المدركين.

وإن قلت: إنّه إمكاني فالمدرِك محيط بالمدَرك، وبالضرورة الوجدانيّة إنّ المحيط أعلى من المحاط، فيكون المشعر الإمكاني أعلى من الواجب، وأيضاً يستحيل الإدراك بدون جهة ارتباطيّة بين المدْرك والمدْرَك بها يحصل الادراك فإذا كان المشعر المدرك إمكانيّاً فأيّ مناسبة بينه وبين ذات الواجب الأزلي وأيّ ارتباط بينهما حتى يكون مدركاً ومكتنهاً ومنكشفاً ومحاطاً به لدى المشعر الإمكاني؟

فإن قلت: بالرّبط بين الامكان والقدم

↩ يحتاج في قوامه إلى غيره لا علّة له. المقايسات: ٣٧٢ والمصدر السابق: ١٦.

د ـ الامكان: سلب الوجوب عن الطرفين، كما في الحكمة المتعالية ٢: ٨٤، أو سلب ضرورة الوجود والعدم عن الشيء، كما في الرسائل لصدر الدين: ١١؛ ورسالة حدوث العالم: ١٩١ والمصدر السابق: ٢٩.

(١) مشعرك أي العقل المدرَك وهو جوهر بسيط مدرِك للأشياء بحقائقها. رسائل الكندي الفلسفية: ١٦٥، وشرح المصطلحات الفلسفية: ٢١٣.

قلنا لك: هذا الرّبط المدّعى قدم وأزل أو إمكان وحدوث أو مخلوط ممزوج بالإمكان والأزل؟ اختر لنفسك ما تتلاعب به في دينك.

فإن قلت: فما تقول أنت إنّ الله سبحانه وتعالى أراد حتماً ولزوماً من عباده معرفته أولا.؟

قلت: بالضّرورة أراد حتماً من مخلوقاته معرفته، ولكن المعرفة الممكنة في حقّهم، لا المعرفة المستحيلة ضرورةً إن أراد الأخيرة مع أنّها عبث مناقض لغرضه، وبالضّرورة أنّ المعرفة بالكنه مستحيلة، والممكن المقدور هي المعرفة الإمكانيّة. وقد كشف سبحانه وتعالى عنها وبيّنها بأوضح بيان وأقوى برهان في ألواح المكوّنات وحقائق الموجودات أو نفوس المخلوقات بضرب الأمثال والآلات كما أنّه قد نطق بها الوحي الإلهي والإلهام الرّباني على ألسن الأنبياء والوسائط بين الخالق والخلائق، وكتبهم السّماوية مصرحّة بالبيان، منادية بأوضح التبيان، يفهمه كل من له عينان، فكملت الحجّة وظهرت المحجّة وانقطعت المعذرة، حيث نادى كلّ مخلوق من الإمكان والأكوان، والتّشريعات والتدوينات، من الجواهر والأعراض[1]، والأقوال والأفعال، فكلّها تنادي

---

(١) الجوهر: هو القائم بنفسه، وهو حامل للأعراض لم تتغيّر ذاتيته، موصوفٌ لا واصف...

أو هو الموجود لا في موضوع. كما في شرح المصطلحات الفلسفية: ٨٤.

والعرض: هو الذي في موضوع. أو هو كل صفة وُصِف بها أمر ما، ولم تكن الصّفة ☜

بأعلى صوتها بوحدانية الحق سبحانه وتعلن بالثّناء على مبدع النّعماء والآلاء.

فـيك يـا أعجوبـة الكـون غـدا الفكـر كليلا
أنـت حـيّرت ذوي اللّـب وبلْبلْـتَ العقـولا
كلّما أقـدم فكـري فـيك شـبراً فـرّ ميلا
ناكصاً يخـبط في عمـياء لا يُهـدى السـبيلا(١)

تعدد طرق معرفة الله تعالى:

فإن قلت: سلّمنا أنّ المعرفة إمكانية، فهل هي متعدّدة أو متحدة؟

قلت: والطّرق إلى الله بأنفاس الخلائق، ولكن ليس على جملة التّباين وإنما هو على جهة الصفة وصفة الصفّة، وهكذا بحسب الرتبة، وفي أهل الرتبة الواحدة الاختلاف بحسب القوّة والضّعف، والكل يحكي الوحدة البسيطة الأزليّة الكاملة المنزّهة عن جميع من سواها، سبحان من تجلى للأشياء بنفس الأشياء وظهر لما بها وبها امتنع منها وإليها حاكمها.

قال: إذاً ما الطّريقة ـ ليت شعري ـ لمعرفة الدّين الصحيح والحق القويم؟

محمولاً حمل على الموضوع.... شرح المصطلحات الفلسفية: ٨٤.

(١) شرح نهج البلاغة ١٣: ٥١، مما قاله ابن أبي الحديد قصور العقل عن معرفته سبحانه وتعالى.

قلت: الطريقة بيّنة واضحة جليّة مقترنة بموازينها العقليّة والشواهد الوجدانيّة مع الآيات الآفاقية والأنفسيّة، والخطابات النّطقيّة الإلهيّة، وكلّها متطابقة في الدّلالة مجتمعة في المقالة، والإعتدال صراط مستقيم، ودين قويم وحق لائح وتوحيد واضح، ولا يضرّ ذلك ولا يغيّره من حاد عن الطّريق، أو دخل في المضيق، أو أظلمت فطرته وانعكس إدراكه، أو دعته نفسه الأمارة إلى الإستنكاف والإستكبار، والإعراض والإدبار، فقلّد أمّه وأباه، أو جعل إلهه هواه أو معلّمه إلهه، وأن يسمّى جاهلاً ومتعلّماً بعد أن كان عالماً ومعلماً.

قال: **وكل أبناء دين ومذهب يتفكّرون أن دينهم هو الحق ما يكون مذهبهم هو الأصح من غيره، ويحاجّون مدافعين عنه ما أمكن، حال كونه من المحال صحّة دعوى كل فريق منهم... إلى قوله: في شكل عظيم.**

أقول: لا شكّ أنّ الحق هو واحد، ومن خالفه فهو من أهل قولنا: ممّن حاد عن الطّريق ودخل في المضيق إلى آخره.

قال: **محال تخليصهم منه. أي من الإشكال. إلاّ برجوعهم عقلاً وقلباً إلى الينبوع الأصلي كتاب الله المقدس، ورفضهم كل رأي دون رأي الله فيه.**

أقول: مراده بكتاب الله تعالى المقدّس إنجيل عيسى عليه السلام وأنّ الآراء في غيره من كتب الأنبياء لا عبرة بها كما يعطيه قوله: «دون رأي الله فيه» ونحن نتكلّم مع من لازم الإنصاف وجانب التكلّف والاعتساف فنقول:

أليس كتاب الله الإنجيل ألفاظ وعبارات بلغات مختلفة وألسن متعدّدة

يعبّر بها عن المرادات والمعاني المقصودة؟ وأنت كما ترى أيّها (المصنف) أنّ فيها الحقيقة والحقيقة بعد الحقيقة والمنقول والمرتجل والمجاز والكناية والإستعارة[1]، والعموم والخصوص، والإطلاق والتّقييد، والمجمل والمبيّن، والمحكم والمتشابه، والنّاسخ والمنسوخ[2]، والدلالة المطابقيّة والتضمنيّة

---

(١) هذه المصطلحات ترد في كتب اللغة والأصول والمنطق.

الحقيقة: وهي كل لفظ يبقى على موضوعه. وقيل: ما اصطلح الناس على المخاطب.

المنقول: هو مانقل من المعنى اللغوي إلى المعنى الشرعي أو العرفي، كلفظ الصلاة موضوعة لغة للدعاء، ثم نقل إلى كيفية مخصوصةٍ معروفة.

المرتجل: هو اللفظ المستعمل في غير المعنى الموضوع لـه بدون وجود مناسبة أو علاقة بين الاسم والمسمى أسماء الاعلام.

المجاز: هو كل لفظٍ مستعارٍ لشيء غير ما وضع له، لمناسبةٍ بينهما، أو لعلاقةٍ مخصوصة.

الكناية: هي استتار المراد منه في نفسه فلا يفهم إلاّ بقرينة، سواء أكان المراد معنىً حقيقياً أم معنىً مجازياً... معجم المصطلحات الأصولية لمحمد الحسيني: ٦٧،١٦١، ١٤٤،١٣٤.

الاستعارة: هي استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة، مع قرينة مانعة .

(٢) هذه مصطلحات أصولية وهي:

العموم: وهو استيعاب يكون مدلولاً للفظ مثل (كل، جميع، كافة)

والخصوص (الخاص): هو اللفظ الذي لا يشمل بمفهومه لجميع ما يصلح إنطباق عنوانه عليه في ثبوت الحكم له....

الإطلاق: وهو استيعاب يثبت دون أن يكون مدلولاً للفظ، بناء على ما يسمى

والالتزاميّة(١) بالبين، بالمعنى الأخص والمعنى الأعم، ودلالة التبيينيّة ودلالة

بمقدمات الحكمة. فمثلاً قوله تعالى: ﴿أحل الله البيع﴾ مطلق شامل لجميع انواع البيع.

التقييد: ويعني تقديم الخاص على العام إذا ورد قيد، في حالة ثبوت عمومه (العام) بالإطلاق فقوله: (أكرم الجار) مطلق يقيد بقوله: (أكرم الجار المسلم) مثلاً.

المجمل: وهو اللفظ الدال على أحد أمرين أو أمور تكون صلاحيته لإفادة أي واحد منها متكافئة لصلاحيته لإفادة غيره بحسب نظام اللغة وأساليب التعبير العرفي. وبكلمةٍ أخرى، هو ما لم تتضح دلالته لكونه مشتركاً أو مجازاً، ولا قرينة تحدده أو غيرها من الأمور.

المبيّن: ما اتضحت دلالته، وهو يشمل الظاهر والنص.

المحكم: هو اللفظ الذي دلَّ بصيغته على معناه دلالة واضحة لا تحتمل تأويلاً ولا تخصيصاً ولانسخاً في حال حياة النبي ﷺ ولا بعد وفاته بالأولى...

المتشابه: هو اللفظ الذي خفي المراد منه، سواء أكان بسبب الصيغة، أم بسبب أمر عارضٍ عليها.

الناسخ (النسخ): رفع ما هو ثابت ثبوتاً واقعياً في الشريعة من الاحكام التكليفية والوضعية ونحوها. معجم المصطلحات الأصولية: ٣٣، ٥٦، ٧٦، ١١٦، ١٣٩، ١٤٢، ١٦٥.

(١) **الدلالة المطابقية:** وهي أن يدل اللفظ على تمام معناه الموضوع له ويطابقه، كدلالة لفظ الكتاب على تمام معناه...

الدلالة التضمنية: وهي أن يدل اللفظ على جزء معناه الموضوع له الداخل ذلك الجزء في ضمنه، كدلالة لفظ الكتاب على الورق وحده أو الغلاف.

الدلالة الالتزامية: وهي ان يدل اللفظ على معنى خارج عن معناه الموضوع له لازم

الإشـارة والإيمـاء، وباب: أيّاك أعني واسمعي يا جارة[1]، وعلائق المجاز مختلفة في الوضـوح والخفـاء وكذلـك الـبطون وبطـون الـبطون، وهكـذا إلى السـبعة والسّـبعين، والـتّأويل وتـأويل التّأويل وهكذا إلى السبّعة والسّبعين، والظّاهر وظاهـر الظّاهـر، وهكذا إلى السبعة والسّبعين. فمتى تحصل من ألفاظ الإنجيل مراد الله سبحانه على جهة الجزم والضّرورة بدون أن تضمّ إليها ما ذكرناه من الموازين العقليّة والشواهد الوجدانيّة والآيات الآفاقيّة والأنفسيّة ونحو ذلك.

قـال: **وإنّ الإيقـان بسلامتها أي الـتّوراة بنـاءً على ما تقدّم يستلزم لا محالة الإيمان والإقرار بالفادي مسيح الله المشهود لـه فيها حرفاً ومعنى شهادات جليّة صريحة لا ردّ عليها.**

أقول: هذه دعوى واستدلّ عليها بقولـه: وإن سألتني ما تلك الشّهادات؟ أجبـتك ممّـا لا يسـعني... إلى قولــه: لا خفـاء أنّ الـتوراة تشـهد أوّلاً بـرموز وإشارات وكنايات متنوّعة لا يمكن أنّ تصدق إلاّ عليه كفادٍ ومخلّص.

أقـول: الإيقـان بسـلامة التوراة من التّحريف قد عرفت فيما سبق منعه،

ﻫ لـه يستتبعه استتباع الرفيق اللازم الخارج عن ذاته، كدلالة لفظ الدواة على القلم. المنطق للمظفر: ٣٩ ـ ٤٠.

(١) مثل قاله سهل بن مالك الفزاري لأخت حارثة بن لام الطائي وهو يخاطب امرأته بما يريد به جارته. الأمثال: ٣٦.

مـع أنّـه كـيف يجتمع الإيمان والإقرار بأنّ الفادي لجميع العصاة هو المسيح مع الدّلالـة بالرّمـز والإشـارة والكناية لكونها دلالات ظنيّة مع أنّ الحكم بأنّها لا تصـدق إلاّ عـلى المسـيح ظني أيضاً؟ وأشنع من ذلك أنّه إذا حكم بانّ المسيح فـادٍ لجمـيع العصـاة مـن المخلوقـات فـلا نـار حينـئذٍ وأين مسكن الشّياطين والأبالسـة والفراعنة وعبدة الأصنام وقتلة الأنبياء والأوصياء عليهم السلام ونحو ذلك؟ فقل ولا تخف: إنّه يتساوى بعد الموت الكافر والموحد والطائع والعاصي.

وأمّا قولـه: ((مخلّص)) فيحتمل فيه التّفعيل بالبناء للفاعل أو المفعول.

وعلى الأوّل يكون بمعنى الفادي، وقد عرفت الكلام فيه.

وعـلى الـثّاني يكـون الله سبحانه خلّصه وصفّاه من النّقائض والرّذائل ونحـن لا نـنكر ذلـك إلاّ أنّ هـذا الوصف غير مختصّ به، بل هو جارٍ في جميع الأنبياء والأوصياء، ويحتمل أن يكون من باب الثلاثي المجرّد، ومعناه أنّه مخلص لله سبحانه في توحيده وعبوديته وطاعته، لم يشب شيئاً من ذلك من جهة شرك أو عصيان مطلقاً لا خفي ولا جلي، وهو كذلك لا يشاركه في الوصف المذكور غيره من الأنبياء والأوصياء.

دعوى التثليث والرد عليها[1]:

---

(١) وسيأتي بيان هذه العقيدة عند النصارى مع الجواب عليها مفصلاً.

قال: نعم إنه أمر يفوق العقل كيان الله الواحد بثلاثة أقانيم[١] وتجسّد الأقنوم الثاني لفداء الإنسان، ولكنه لا يضادّه، وشأن أمور الله أن تفوق عقولنا إلاّ أنّ كلّ ما خطر على بالك فالله خلاف ذلك.

أقول: إذا كان كيان الله بثلاثة أقانيم فوق ادراك العقل، والعقل قاصر عن ذلك، وان كل ما خطر بالبال فالله خلاف ذلك، فمن أين حكم بأنّ الكيان المذكور مركّب من ثلاثة أقانيم، أي ثلاثة أصول؟ فإن ادّعى أنّ التوراة والإنجيل يشهدان له بذلك، فقد عرفت حال التّوراة، وستعرف حال الإنجيل إن شاء الله تعالى، ولكنّ الخبط خبط عشوى، والسّائر على غير الطّريق لا يزيده كثرة السيّر إلاّ بعداً، ونقول له أيضاً: فما تسمّي ذلك الكيان؟ هل هو بسيط[٢] أو مركّب[٣]؟

فإن قلت: إنّه بسيط فقد كذّبت نفسك بأنّه متكوّن من ثلاثة أقانيم.

---

(١) اشارة إلى أن الأقانيم الثلاثة هي: أُقنوم الوجود، وأُقنوم العلم وهوالكلمة، وأُقنوم الحياة وهو الروح. وهذه الأقانيم الثلاثة هي الأب والابن والروح القدس. ميزان الحكمة ١٢: ٥٦٥.

(٢) **البسيط**: هو الذي له طبيعة واحدة أو ما لا تركيب فيه من برزخين مختلفين.

(٣) المركب: هو حقيقي واعتباري وكل منهما ينقسم إلى خارجي وعقلي والمراد بالتركيب هو الجسم الذي يكون مكون من قوى وطبائع كالنبات والحيوان. شرح المصطلحات الفلسفية: ٤٥، و٣٦٤.

وإن قلـت: إنّـه مركّـب فهذه الثّلاثة إن كانت أزليّة فقد تعدّدت الآزال وإن كـان بعضـها أزلياً وبعضها حادثاً[١] فأسوأ حالاً؛ لأنّ الواجب قد تركبّ مـن القديـم والحـادث. ثـمّ قـبل حـدوث الجـزء فالكـيان ناقص، وهل يمكن للنّاقص أن يؤثّر في غيره قبل كماله.؟

فإن قلت: إنّ تعددها لا ينافي البساطة.

قلت: هذا التعدّد حقيقي أو اعتباري؟[٢]

فعـلى الأوّل يجـيء التّركيـب، ومـن المركّب هل هو أحد الثّلاثة أو غير الثّلاثة؟ ومن ذلك الغير؟

فـإن قلـت به: فإمّا أن يدور أو يتسلسل، فقد دخلت في المحال من حيث لا تشعر.

---

(١) **الأزلي:** هو الذي لم يكن ليس، وما لم يكن ليس لا يحتاج في قوامه إلى غيره والذي لا يحتاج في قوامه إلى غيره لاعلة له.

والحدوث: هو وجودُ بقدم مالم يكن، وبعد ما لم يكن هو صفة لهذا الوجود الحادث أو هو وجود محتاج قد سبقه عدم زمانياً. شرح المصطلحات الفلسفية: ١٦، ٩٥.

(٢) الحقيقة (حقيقة الاشياء) هو الوجود الذي يخصّه، وأكمل الوجود الذي هو قسطه من الوجود. وهو وجود الذي يترتّب به عليه آثاره وأحكامه أما الاعتبار فهو يطلق على الامور التي لا وجود لها في الخارج. شرح المصطلحات الفلسفية: ١١٤، و٣٤٣.

وإن قلت: إن التّعدد اعتباري.

قلت: كلّ واحدٍ من الثّلاثة اعتباري؟ أو بعضها اعتباري وبعضها حقيقي؟ وعلى الأوّل تكون ذات الواجب اعتباريّة لا حقيقيّة وذاتك حقيقية، والأقنوم الثّاني الذي تجسد في عيسى عليه السلام اعتباري وجسد عيسى عليه السلام حقيقي.

فإن قلت: إنّ الواحد من الثلاثة أصل حقيقي وغيره اعتباري.

قلت: لم يكن حينئذٍ كيان الله سبحانه بثلاثة أقانيم، بل من أُقنوم واحد.

فإن قلت: لا نعرف بسيطاً ولا مركبّاً وإنما نقول: إنّ كيان الله سبحانه بثلاثة أقانيم، ونقتصر على هذه العبارة لا غير؛ لأنّ كيانه فوق عقولنا قلت: الحمد لله الّذي جعلك معترفاً مقرّاً على نفسك بأنّك كالأطفال والمجانين يتكلّمون بما لا يفهمون ولا يعقلون، لا أنّك عالم حكيم ومن أهل السّؤال والجواب والنّقض والإبرام.

العجز عن إدراك ذات الله:

قال: ولنحدّر النّظر من التحدّق في سمو ماهيّة الله الخالق الجليل إلى المخلوق ولنرى هل من الممكن لعقولنا إدراك كيفيّة أيّ شيء من مخلوقاته تعالى يا ترى؟ لا.

قلت: المنفي بلا هو الممكن وإلاّ لتناقضت عبارته كما لا يخفى.

قال: تفرّق عقولنا كيفيّته، فإذا غضّ الإنسان طرفه عن الكائنات العديدة البديعة مقتصراً على التّأمل كيف وجد؟ كيف تكون هكذا؟ كيف يجيء ويتحرّك وينطق؟ وكيف بعض أعضائه خاضعة لإرادته وبعضها لا، بلى تقوم بأعباء وظائفها أراد أو لم يرد؟ يرى ذلك كلّه من الأمور الفائقة للعقل.

قلت: محصلّ كلامه أنّه إذا قصر العقل وعجز عن إدراك كيفيّات مفعولات الله سبحانه الّتي في الإنسان، فقصوره وعجزه عن إدراك ذات الله سبحانه وكيان الله معلوم بالضّرورة البديهة، وهذا الاعتراف منه بمقتضى فطرته الأصلية بعد إعراضه عن فطرته الثّانويّة المعوجّة، فإذا لاحظها حكم بأن كيان الله من ثلاثة أقانيم وأما قوله: «يقصر العقل ويعجز عن إدراك كيفيّة مفعولات الله التي في الإنسان»، فجوابه: أين الحكمة التّي هي معرفة حقائق الموجودات على ما هي عليه بحسب الطّاقة البشريّة؟ سبحان من خلق الإنسان وعلّمه البيان، وسبحان من علّم الإنسان ما لم يعلم، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً، ولسنا بصدد بسط المقام في هذا المجال.

ثمّ إنّه في كلامه بعد ذلك تكريرات لا حاجة في الإعادة إليها، فإنّه يعلم ما فيها وعليها مما سبق(١).

---

(١) هذا تمام الكلام في المقامات الثلاثة التي أفادها المصنف رحمه الله مع الرد على ما جاء في الفصل الأول من الباكورة، ويأتي المقام الرابع.

المقام الرابع

((في بيان اعتقاد صاحب الكتاب واتباعه))

[عقيدة الثالوث الأقدس]

قولــه: ((إنّا معاشر المسيحيّين نؤمن متيقنين حسب كتاب الله تعالى أنّ المسيح كلمة الله الأُقنوم الثاني من الثّالوث الأقدس[1] قد اتّخذ لذاته الإلهيّة بقدرته الصمدانيّة جسداً ونفساً إنسانيّة، فصار من ثمّ ذا طبيعتين متّحدتين متمايزتين غير ممزوجتين إلهيّة وإنسانية. فالإلهيّة فيه غير قابلة كلّ ذلك.

وقال في الإنجيل: كلمة صارت جسداً وابن الله صار من نسل داوود من جهة

---

(١) **الثالوث الأقدس**: يطلق في المسيحية على الرب من حيث أنه ثلاثة أقانيم: الأب، والابن والروح القدس، وتلتقي في طبيعة واحدة وإن كانت متميزة نوعاً.

وهي عقيدة قديمة حددتها ووضحتها المجامع المسكونية الأولى، وأساسها في العهد الجديد......

الموسوعة العربية الميسرة ١: ٥٧٨.

الجسد وتألم ومات بالجسد، أي من جهة الجسد لا من جهة اللاّهوت[١] ولا به، فكما أنّ النّار تلاشي الثّوب دون الذّهب المنسوج عليه، وتأكل اللّحم من على المذبح؛ دون المذبح؛ هكذا نار آلام الموت أثّرت في الطّبيعة الانسانيّة ولم يمكنها البتّة إيصال تأثير ما إلى الطّبيعة الإلهية، وأنّى للمخلوق أن يضرّ بالخالق)) [٢].

الرد العقلي على عقيدة النصارى في الإله:

أقول: انا لله وانّا إليه راجعون. لا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم.

اعلم أنّ الحقائق الثلاثة[٣] تعبيراً يستحيل انقلاب كلّ واحدٍ منها إلى الآخر. فالوجوب لا يكون إمكاناً ولا امتناعاً، والامتناع لا يكون وجوباً ولا إمكاناً، إذا الوجوب استحال عليه العدم، فلا يكون ممتنعاً؛ لأنّه ما استحال عليه الوجوب، فلو انقلب الوجوب الذّاتي إلى الامتناع الذّاتي كان ذات

---

(١) اللاهوت: علم العقائد المسيحية، يرتبها ويصوغها في قالب علمي، لتكون مذهباً محكماً في ضوء الوحي والعقل...... الموسوعة العربية الميسرة ٢: ١٥٤٦ ولعل المراد به هنا الروح.

(٢) وعقيدة التثليث أو الثالوث من الموروث المسيحي المحرف وهناك من ينكر هذه العقيدة كما في إنجيل برنابا :٢٠، الفصل السابع عشر.

(٣) الحقائق الثلاث: هي الوجوب (الواجب) والامكان والامتناع والواجب هو كل ما وجوده من ذاته لا من غيره والممكن هو الذي متى فرض غير موجود لم يلزم منه محال.

والممتنع هو الذي لا يمكن أن يوجد ألبتّة. شرح المصطلحات الفلسفية: ٣٨٧؛٤١٩ ؛٣٨٨.

الوجوب جامعاً للاستحالتين: استحالة العدم واستحالة الوجوب.

وأمّا الإمكان فهو ما جاز عليه الوجوب والعدم؛ فلو انقلب الوجوب الذّاتي إليه كان الوجوب الذّاتي جامعاً بين استحالة العدم وجواز العدم عليه، وهو مستحيل بالضرورة العقلية والوجدانيّة.

وحينئذٍ فقوله على حكاية الإنجيل المحتملة للتحريف: إنّ الكلمة صارت جسداً، يعني كلمة الله التي هي الأُقنوم الثاني من كيان الله باطل عاطل، وزبد مجتثّ زائل، ضرورة أنّه على تفسيره الكلمة بالأقنوم الثاني يكون انقلاب الوجوب الذّاتي إلى الامتناع[1] الذّاتي الّذي قد عرفت استحالته، ثمّ إنه على فرض كون العبارة المحكيّة من إنجيل عيسى عليه السلام لا من إنجيل النّصارى نقول: إنّك منذ أكملت سنتين من ولادتك إلى أن بلغت في السنين السبعين أو اكثر، وأنت تتكلّم في آناء اللّيل وساعات النّهار فإن كان كلّ كلمة تكلمت بها جزءاً من ذاتك فقد تلاشت ذاتك وفنيت واضمحلَلْت، إنْ لم يكن في يوم ففي شهر أو سنة، مع أنّ الوجدان والعيان شاهدان على أنّك أنت لم تنقص ذاتك على تمادي الأيّام والشّهور والأعوام، فنسبة كلمتك إليك واضافتها لا تصيّرها جزءاً من ذاتك، فحكمك من نسبة الكلمة وإضافتها إلى الله بكونها جزءاً من ذات الله سبحانه دون نسبة الكلمة

---

(١) في المخطوط: الوجوب والأصح ما أثبتناه في المتن.

وإضافتها إليك ترجيح من غير مرجحّ، وتشهٍّ، وتخصيص أحد الفردين بخصوصيّة دون الآخر لعلة مشتركة قبيح.

فإن قلت: إنّ كلمتك جزء من ذاتك أيضاً فقد كابرت عقلك وخالفت وجدانك وفضحت نفسك. وحقيقة الكلمة هي الدّالة على معنى هو مدلولها سواء كانت الكلمة لفظيّة أو تكوينيّة، فالّذي تجسّد وصار جسداً، فإن كان هو الدّال والمدلول باقياً على ما هو عليه، فقد بطل اعتقادك وفسدت عقيدتك بأنّ الكلمة الّتي في الأُقنوم الثاني قد صارت جسداً، وإن كان المتجسّد هو المدلول فأين يكون الدّال؟ فهل هو متجسّد أيضاً كما تجسّد المدلول؟ فعلى هذا يكون عيسى عليه السلام اثنين المدلول المتجسد والدّال المتجسّد، وما أقبح هذه الخرافات.

ثمّ إن صارت تستعمل في حقيقتين:

إحداهما: انقلاب الحقيقة مثل: صار الحطب رماداً والعذرة دوداً.

والأخرى: حدوث الصّورة مثل: صار الذّهب خاتماً والخشب سريراً أو باباً.

فعلى الأول فهل الموجود بالفعل الرّماديّة والحطبيّة معا؟ أو أحدهما دون الآخر، أو أحدهما موجود بالفعل والآخر موجود بالقوّة ؟ فإن كانا معاً موجودين بالفعل بطل التّصير وكذّبت الإنجيل، وكذا إذا كان الموجود بالفعل هو الكلمة والجسد موجود بالقوّة، وإن كان بالعكس كان الجسد أشرف من

الكلمة ضرورة أنّ ما بالفعل أشرف ممّا بالقوّة.

وأمّـا على الثّاني الذي هو استعمال التصيير لحدوث الصّورة فلا يكون إلاّ بحـدوث صـورة على المادة النوعيّة أو الجنسيّة كما ترى في صيرورة الخشب بابـاً أو سـريراً، والذّهـب خاتمـاً والفضّـة خاتماً وعلى هذا تكون الكلمة مادّة لجسد عيسى عليه السلام وجسد عيسى عليه السلام صورة.

وفـيه: أنّـه حينـئذٍ تكون الكلمة كليّة، فأين تعدّد أفرادها ومصاديقها؟ وإن تنزّلـنا معـه وكانـت مـثل العـنقاء منحصرة خارجاً في فرد نقول: إنّ الألم والقـتل والجـوع والعطش يجريان على المادّة، كما ترى أنّ خشب الباب يحترق ويـرفع ويوضـع ويتكسّـر ويـوزن، وغير ذلك ممّا يجري على المواد، ومثله الخاتم أيضـاً، وهـذا يـناقض قولك: إنّ العوارض إنّما تجري على المواد، ومثله الخاتم أيضـاً، وهـذا يـناقض قولك: إنّ العوارض انّما تعرض للجسد دون الكلمة الـتّي جعلـت مثالها الذّهب في الثّوب والمذبح في الحيوان، مع أنّه اين التّصيير في المثالين الّذي حكيته عن الإنجيل، ولكن لا عجب ممّن يسير أعمى.

إبطال كون عيسى عليه السلام ابن الله عز وجل:

قـال: ((**وابـن الله صـار جسـداً مـن نسـل داوود مـن جهـة الجسـد، وتـألّم ومـات بالجسد، أي من جهة الجسد لا من جهة اللاهوت ولا به**)).

قلت: الظّاهر من سبك عبارته هذه بما قبلها أن هذه من الانجيل، ولكن واغوثاه من هذا الكذب والافتراء في إنجيل النّصارى.

فنقول: إنّ هذه البنوّة لأنثى أو لذكر أو لأحدهما؟ ومتى كان وقت الحمل ووقت الولادة؟ ومن أين خرج؟ من فم أبيه؟ أو من ثقب غيره؟ وهل كان هذا الابن حملاً قبل خلق العالم في الأزل أو كان حملاً في الإمكان؟ ومن أوجد هذا الحمل في الأزل؟ ومن أحدث الولادة؟ ثمّ إنّ ابن الله هل هو مجموع اللاّهوت والجسد أو خصوص اللاّهوت؟ فإن كان خصوص اللاّهوت فالابن ليس من كيان الأب بالضّرورة ولا تقدر على إنكاره، وقد حكمت فيما سبق بأنّ كيان الله من ثلاثة أقانيم، فكيف تقول: إنّ الأقنوم الثّاني جزء لكيان الله، وتقول: إنّه ولد الله؟ والولد منفصل عن أبيه فإذا انفصل عنه نقص كيان الله، فإن كنت تصطلح أنّ جزء الشيء ابن للشيء فقد خصصت ذلك بالأقنوم الثّاني فقل: أيضاً بأنّ الأُقنوم الأوّل ابن للأقنومين وكذلك الأُقنوم الثّالث.

على أنّ لباس الأُقنوم الثّاني للجسديّة كمال للأقنوم الثّاني أو نقص له أو ليس شيئاً منهما. وعلى الأوّلين يكون بعض أجزاء إلهك ناقصاً، وعلى الثّاني يقع التّشهي في بعض أجزاء إلهك، حيث ألبس بعض أجزائه جسداً دون الآخر.

على أنّ لباس الجسديّة والصيّرورة جسداً إنّما كان من حيث داوود وممّا قبله من الآباء إلى آدم أبي البشر، فقبل وجود آدم هل هناك بنوّة في الإمكان أو بنوّة في الأزل؟ ولِمَ لا لبس لباس الجسديّة، بحيث كان أباً للبشر جميعاً كآدم

عليه السلام، وإن كانت البنوّة والتولّد في الأزل وحينئذٍ يكون هناك ثلاثة: أزل وأب وابن، فمن ربّ الازل؟ ومن ربّ الأب؟ ومن ربّ الابن؟

فإن قلت: إنّه لا ربّ لهذه الثّلاثة.

قلت: فهم حينئذٍ أرباب ثلاثة، فقد تعدّدت واشتركوا في حقيقة القدم، ويكون كلّ واحدٍ مركباً ممّا به الاجتماع وما به الافتراق؛ فيحصل التركيب وتجيء الفرجة. فإن كنت تفهم فافهم وإلاّ فسلّم تسلم.

فإن قلت: إنّ الثلاثة عبارات عن شيء واحد، فقد بطل قولك بالأُبوّة والبنوّة، فلا والد ولا مولود.

تأويل العبارة بناءً على كونها من إنجيل عيسى عليه السلام

فإن قلت: إنّي أقول بما في الإنجيل وعبارته كما سمعت.

قلت: إن كنت تقول وتعتقد بما في إنجيل النّصارى فهم أربابك وأنبياؤك، فإنّ هذه العبارة على ظاهرها لا يليق إلاّ بإنجيلهم، ولئن سلّمنا أنّها من إنجيل عيسى عليه السلام فهي لفظ، وعبارة قابلة لأن تصرف عن ظاهرها إلى معنى تقتضيه الدّلائل العقلية، والشواهد الوجدانيّة، والبراهين التّوحيديّة، وكيفية التّأويل هكذا:

ابن الله، أي لله يعني أنّ الابن الذّي من مريم لله، أي خلق هذا الابن له عبوديّة وطاعة حقيقية.

قوله: ((**ومات بالجسد وتألم بالجسد**)).

أقول: إنّ هذا الرجّل لا يعرف حقيقة الجسد ولا حقيقة الموت، وإلاّ لما قال ما قال، أما يعلم أن الجسد جماد مقهور تحت رؤساء عليه تدبّره وتصرّفه في غاياتها وأغراضها وشؤونها؟ والموت عبارة عن فعل تلك الرؤساء عنه، فإذا فصلت عنه رأيته حجارةً ملقاة، كما أنّك لو أخذت في حال حياتك حديدة أو عصا فإن شئت ضربت بهما إنساناً أو حيواناً أو قتلتهما، وإن شئت أثبتّهما في حائط أو أرض أو غير ذلك من أغراضك وغاياتك، فلو طرحتهما من يدك لم يكن لهما حركة ولا تصرّف في شيء، نعم للجماد من حيث الجماديّة موت هو عبارة عن قوّة تماسكه، وهو لا يريد هذا، وإنّما يريد الموت المتعارف للإنسان.

قال: ((**فكما أنّ النار تلاشي الثوب دون الذّهب المنسوج عليه، وتأكل اللّحم من على المذبح دون المذبح؛ هكذا نار ألم الموت أثرت في الطّبيعة الإنسانيّة، ولم يمكنها البتّة إيصال تأثير ما إلى الطّبيعة الإلهيّة وأنّى للمخلوق أن يضرّ بالخالق**)).

قوله: **نار ألم الموت**... الخ

انظر إلى اضطراب كلماته في العبارة الأوليّة: إن الموت بالجسد، وهذا الموت بالطبيعة الإنسانيّة، ولعلّه يريد بالطّبيعة الإنسانية وأن هناك موتين.

وقال: ((**ثمّ ومع أنّ كيفيّة اتحاد الطّبيعة الإلهيّة بالإنسانيّة بحيث صارتا شخصاً واحداً**)).

أقول: الحكم بصيرورة الطّبيعتين شخصاً واحداً إمّا أن يكون على جهته فناء كل من الطّبيعتين واضمحلالهما، وإمّا أن يكون إلهك قد مات وبقيت بلا إله، إلاّ أن تقول: إنّ الطبيعة الإلهيّة لّما كبرت وهرمت وأشرفت على الفناء جعلت لها وكيلاً في الألوهية وهو الشّخص الواحد المسمّى بعيسى عليه السلام لعلّه يقول: لّما مات عيسى جعل له وكيلاً في الألوهيّة، أو أن عيسى عليه السلام أحيا ذلك الميّت فنصبه إلهاً وانظر أيّها المنصف إلى هذا التّلاعب. لا حول ولا قوّة إلاّ بالله العلّي العظيم.

وامّا على الثّاني فيبطل ما حكم به من الوحدة الشّخصيّة.

فإن قلت: لعلّه يقول بامتزاج الطّبيعتين مع بقائهما.

قلت: فإن كانت الامتزاج المذكور كي تتقوّى كلّ من الطّبيعتين بالأخرى حتّى تحصل الشخصية الوحدانية كانت طبيعة إلهك ضعيفة تحتاج إلى معين يعينها ويقوّيها لحصول الوحديّة الشخصيّة، فقبل الامتزاج يكون إلهك الضّعيف معطلاً فقيراً لا ملك له ولا سلطان، وإنْ كان على جهة الضمّ للطّبيعتين من قبيل المادّة والصورة[١] كانت طبيعة إلهك أيضاً ضعيفة يقوّيها الضّمّ المذكور، ولكن كيف قدرت على الضّمّ إذا كانت ضعيفة؟ ويجري هنا

---

(١) المادة هي المعنى الحاصل للصورة. أما الصورة فهي المبدأ الذي يعيّن الهيولي ويعطيها ماهيّة خاصّة ويجعلها شيئاً واحداً. شرح المصطلحات الفلسفية: ١٧٩، ٣٤٠، ٤٤٠.

أيضاً ما كان في الأوّل من كون طبيعة إلهك قبل الضمّ فقيرة معطلّة. ثمّ إنّ هذا الاتحاد الشخصي هل هو في الأزل أو في القدم أو في الإمكان أو يوما هناك ويوماً هناك؟

وأعجب من ذاك قولك: «**إنّ إدراك الواجب ومعرفة كيانه فوق عقولنا**» فَلِمَ لا تقول غير خائف من أحد: إنك تحيط بإلهك وتكتنهه وتحدّه بحقيقته.

قوله: «**ولا تقول: أنّه يسمو جدّاً إدراك العقل الإنساني، وليس هو من الأُمور المحالية كما لا يخفى**».

أقول : أيّ محال أظهر وأوضح وأبين من دعوى اكتناه ذات الواجب، مع دعوى قصور العقل عن ذاته.

قوله: «**ولا يؤثّر على كمال الباري سبحانه، بل بالحري يزيد مجده لدى خلائقه العاقلة لجوده الفائق على خليفته البشريّة بابنه المحبوب الذي به أعلن سمّو قداسته وغاية كماله**».

وقوله: ولا يؤثّر على كمال، أي لا ينقص كماله، لكن قوله: بل بالحري... الخ: إنّه قد زاد كماله وسما قدسه، وانتهت غاية كماله.

انظر إلى هذا التدافع والتناقض في كلامه، ولا عجب منه؛ لأن حب الشيء يعمي عن الحق ويصمّ السمع عن استماعه، ولكن العجب ممّن نظر إلى هذه الكلمات ورضي بهذه المقالات.

أقول: يستفاد من بنوّات الله في التوراة خصوصاً الأَصحاح الثالث

والخمسين من بنوّة اشعيا إن ذا هو قصد الله ومشيئته أن يفتدي البشر الخطاة بدم ابنه.

أقول: ليته نقل العبارة بنفسها حتّى ننظر أنّها من توراة اليهود أو من توراة موسى عليه السلام، ولكنّه قال يستفاد مفسِّراً لها على مذهبه ومقصوده.

قال: ((**وإذا شاء سبحانه أن يتنازل بابنه الوحيد إلى هذه الدرجة حبّاً بخلقه فهل من اعتراض عليه تعالى**))؟

أقول: إن كان التّنازل من الأزلية إلى الإمكانيّة، فقد عرفت استحالة انقلاب الحقائق فلا يقع التنازل متعلّقاً للمشيئة، وإن كان للأزليّة مراتب، فأسوأ حالاً من تعدّد الإلهية، مع أن عيسى عليه السلام من الإمكان، فيكون من انقلاب الحقائق، وما أدري لِمَ كان الولد وحيداً فهل عقم الأب بعد ذلك؟ أوليس تكثّر الأولاد أكمل وأولى وأحسن، ولكن إدراك إلهك وفهمه ضعيف حيث اختار الأنقص: وأما قوله: فهل من اعتراض عليه نعم يعترض عليه بأنّك تأمر بالحسن وأنت تتركه، وتنهى عن القبيح وأنت تفعله، وتأمر بالأولى والأكمل وأنت ترتكب خلافه، وأيّ قبيح عليه أعظم ممّا نسبته إلى الله. تعالى عمّا تقولون علواً كبيراً.

بطلان قتل نبي الله عيسى عليه السلام وكونه الفداء:

قال: ((**فإذا كان الأب هكذا، يعني ذا رحمة فائقة وجودٍ غير متناه، كما في عبارته السّابقة التي لم نذكرها. قاله: أرسل ابنه لأجل هذا الأمر الذي عليه دون**

سواه متعلّق خلاص البشر الأمر المقرّر عليه منذ الأزل)).

حاصل هذه العبارة أنّ الأمرَ مقرّرٌ في الأزل بين هذا الإله وعيسى ابنه أنّه سيرسله للقتل والصّلب لأجل خلاص البشر من الخطايا إظهاراً لرحمته الفائقة وجوده غير المتناهي.

أقول: لم اختّص هذا الولد وقتله؟ ولم لا يكون قتل هابيل ابن آدم فداءً، وكذا ما جرى على الأنبياء من أممهم من أنواع الإيذاءات، ألم يُلقَ إبراهيم في النّار؟ ألم يُلقَ موسى وهو طفل رضيع في البحر؟ وغير ذلك، ولم لا تكون بلايا أهل المعاصي مكفّرة؟ ألم تكن التوراة رافعة للذّنب؟ ألم يكن عفو الله مسقطاً للعقوبة من النّار؟ مع أنّ قتل عيسى عليه السلام وصلبه إن كان فداءً لخطايا من تقدّم عليه من البشر فمن يفدي من بعده إلى يوم القيامة وهم أضعاف أضعاف من تقدّم عليه؟ إذ الفداء وهو البدل والعوض المكفّر فما لم تقع خطايا بعد عيسى عليه السلام لا موضوع للبدليّة بالضّرورة، وعلم الله سبحانه وتعالى بإيجادهم وأنّه سيخلقهم وتصدّر الخطايا عنهم لا يوجب الفدائيّة ضرورة ووجداناً وعياناً أنّ العلم لا يؤثّر في المعلوم.

ثمّ إنّ قتلة عيسى عليه السلام ومن أعانهم ورضي بفعلهم ممّن افتدي أيضاً أولا؟ على أنه لو سألنا هذا الإله وقال: هل لجودي وكرمي ظهور وانتشار بغير الافتداء للبشر بقتل ولدي؟ لقلنا له عفوك ومسامحتك عن الخاطئين أعظم ظهوراً وانتشاراً لجودك وكرمك، كما ترى أنه لو كان عندك مائة عبدٍ عاصين

لك، وعندك ولد واحد فهل يتوقّف نشر جودك وكرمك على رضاك بذبح أحدهم لولدك أو العفو عنهم ومسامحتهم أظهر وأعظم لانتشار الجود والكرم؟ بل لعلما أنّ رضاك بذبح ولدك فداءً أو بدلاً سفه، وسخافة عقل، وضعف بصيرة، ينزّه عنه الواجب الحق، والمجهول المطلق، ﴿ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَىٰ ﴾[1].

هذا ويقول: **«إنّ الابن ذاته لما رأى أن لا سبيل إلى خلاص الإنسان من ورطة الهلاك الّتي قد تهوى فيها حسب مقتضى العدل الإلهي إلاّ بتجسّده وموته عنه بالجسد ارتضى بذلك حبّاً لنا ليعتقنا بموته من عبوديّة الخطيئة والموت بذلك لمّا صلب بالجسد لم يرأبوه الجواد أن يدفع عنه الألم...»** الخ.

انظر إلى عدم استقرار هذا الرّجل واضطرابه في اعتقاده وتديّنه، ففي العبارة الأولى يقول: إنّ ذا قصد الله ومشيئته إلى آخرها، وليس عليه اعتراض بأن يكون الأب قد أنزل ولده لغاية كذا وغاية كذا... إلى آخره. وههنا يقول: إنّ الابن ذاته لمّا رأى وأبوه قرّره على ذلك ورضي به فهل هما إلهان مستقلاّن؟ فأين مملكة كلّ منهما؟ وإن كانا إلهاً واحداً فما معنى أب وولد؟ ولكن لعلّ ماعنده أنّ كلّ واحدٍ يعين الآخر على تعمير المملكة، ومع ذلك لا يستحيي أن يقول في كتابه: إنّ إدراك كيان الله تعالى فوق عقولنا، أوَ ما يظن أن كتابه هذا يقع في يد من ليس قابلاً أن يكون من تلامذته؟

---

(١) النحل: ٦٠.

تشبيه فداء النبي عيسى عليه السلام بفداء إبراهيم عليه السلام :

قال: كما قدّم إبراهيم عليه السلام ابنه امتثالاً لأمر الله؛ هكذا اللاّهوت قدّم ناسوته المتّحد به ذبيحة وقرباناً لله.

قلت: لعلّ ما يجعل هذا دليلاً لـه ويقيس ما أراده واعتقده عليه، ولكنّه فرق بين ما هو بصدده وبين قصّة إبراهيم على نبينا وآله وعليه السلام، وذلك أنّه بالضّرورة أنّه لا يفعل إلاّ بالوحي، وإقدام إبراهيم عليه السلام على النّذر وعلى الذّبح لا يكون بالضّرورة إلاّ بعد جوازه في شريعته. على أنّ قولـه هنا: إنّ الـتقرّب هو اللاّهوت والمتقرّب إليه هو الله الّذي هو أب للنّاسوت، فيتّحد المتقرِّب والمتقرَّب إليه، وفيما سبق أنّ المتقرّب هو النّاسوت.

انظر الاضطراب وعدم الانتظام في اعتقاد هذا الرّجل. ونحن لا نفترض عليه إذا اعتقد أن إلهه حلّ واتحد ببعض مخلوقاته الّذي سمّاه ابنه، وإنّما نقول ونعتقد أنّ إلـه جميع الخلائق وجميع الممكنات قد تعالى وتنزّه وجلّ عن صفات الممكنات، فلا يجري عليه ما هو أجراه بشاهد العيان، وأوضح البرهان، ولكن لمن كان لـه عينان.

قولـه: ((لكي يوفي حق شريعة الله الّتي تعدّاها الإنسان وفاء تاماً حسب قصد الله ومنتهى عدله تعالى)).

أقول: تعالى الله سبحانه عمّا نسبوه إلى ربّنا، وإن كان صحيحاً بالنسبة إلى ربّـه وإلهـه وعدل الله سبحانه أن يعاقبهم على قدر معاصيهم من غير زيادة

ولا نقصان، بحيث ينكشف ذلك لهم عياناً بنصب موازين الاعتقادات، وموازين الأقوال، وموازين الأفعال، وموازين الرّتبة، وموازين الكم، وموازين الكيف، وموازين الجهة، وموازين الوضع، وموازين الإضافة، وموازين الجواهر، وموازين الأعراض وأعراض الأعراض[(١)]، وهكذا إلى نهاية الموجودات في الغيوب والشهادات، في المجرّدات والمادّيات، إمّا بتعذيب دنيوي أو برزخي أو أخروي، فإن يعذّب عبيده فبعدله، وإن يعف فبكرمه وجوده، وليس من العدل أن يتدنس بأدناس مخلوقاته حتى يتّحد بهم فيقتل، بل هو محال محال قبيح قبيح قبيح.

قوله: ((**بل هذه البشارة الكافلة أن تملأ قلب كلّ إنسان سروراً وشكراً لله صعبة الفهم، عسرة الهظم على كثيرين**)).

---

(١) الكم: (مقولة الكم) كل شيء يقع تحت جواب كم فهو من هذه المقولة.

الكيف: كل ما سبيله أن يجاب به في كيف يسمّونه الفلاسفة بلفظة ((كيف)) والكيفية.

الجهة: مقطع الاشارة ومنتهاها...

الوضع: نسبة الأجزاء بعضها إلى بعض في الجهات...

الاضافة: نسبة شيئين كل واحد منهما ثباته بثبات صاحبه...

الجوهر: هو القائم بنفسه، وهو حامل للأعراض لم تتغير ذاتيته، موصوف لا واصف. شرح المصطلحات الفلسفية: ٢٢، ٨٤، ٨٩، ٣٢٢، ٣٢٦، ٤٣٣.

أقول: إنّ الخسارة لمن اعتقدها وتديّن بها سهلة البيان على العوام فضلاً عن العلماء والحكماء، ووصفها بالصعوبة تلبيس للأمر، وتمويه على بقر النّاس الفاقدين للعقل والفهم، والإدراك، فإذا سمعوا الوصف المذكور خافوا من التردّد والإنكار؛ فيقبلون ذلك على غير بينّة ولا هدى، ومثل ذلك أيضاً، **قوله**: «**لا يخفى أنّ الخالق الفائق في الحكمة، والجزيل الرّأفة لعلمه ضعف طبيعة الإنسان، وقصورها عن إدراك ما لله سبحانه من المقاصد والغايات من جهة الإنسان، وصعوبة فهم ذلك الأمر السّامي الّذي قد أعدّ له أي لعمل الفداء بابنه الوحيد**».

أقول: قد علم جميع ما على العبارة المذكورة من الإيرادات، فلا فائدة في الإعادة، وإنّما ذكرنا عبارته هذه لكونها كالمجمل لعبارته التي بعدها، وهي

قوله: «**إعدادات متنوّعة تستغل كمّاً وقد اشتغلت مدّة قرون عديدة تعليماً وتدريساً للبشر إلى الفادي الكريم، واستعداداً لقبوله معاملاً إيّاهم على نسق تعليم الأولاد في المدارس**».

التكامل الإنساني لا يقتضي القول بالحلول:

أقول: حاصل مطالبه أن الله سبحانه لمّا علم ضعف طبيعة الإنسان وقصورها، جعل ترتيبها وتدريبها بإعدادات متنوعة إلى أنواع حتى تصل إلى تلك الطّبيعة في سيرها الكمالي إلى غايته ومنتهاه، فيحصل التولّد منه وحلول الله فيه الّذي هو عيسى عليه السلام جلّ وعلا، فيفدي ذلك الولد بذبحه خطاة

البشـر، إظهـاراً للعدل. ثمّ أخذ يفصّل الأنواع التّي بها تترقّى طبيعة الإنسان في مدّة أربعة آلاف سنة.

أقـول: أمّا كون طبيعة الإنسان في حدّ ذاتها ضعيفة فلا إشكال فيه لكنّها قابلـة للـترقيّ والكمـال بمـا يلائمها من الأغذية كالاعتقادات الحقّة والأعمال الصـالحات، وملازمـات الطّاعـات لله سبحانه. كما أنّها قابلة للنّزول أيضاً إذا كـان غذاؤهـا الاعـتقادات الـباطلة والأعمـال الخبيـثة، وملازمـة المعاصي وفي الحـالين لا تخـرج عـن رتبـتها الّتي جعلها الله سبحانه فيها، فهي تسير بأرجل الأعمـال في تلـك الرتبة، انظر إلى الأمثال والآيات التّي ضربها في الآفاق وفي الأنفـس(١)، فـإن الرّمل إذا عولج بأنواع المعالجات يكون زجاجاً، والزّجاج إذا عـولج كذلـك يكـون بلّـوراً، والـبلّور إذا عولج كذلك يكون ألماساً، فهو يترقّى بالمعالجات في رتبة الجماديّة ولا يصل كيفما عولج إلى رتبة النباتية، والنّبات إذا عـولج بمـا يصـلحه مـن المـاء والزّبل ودفع عنه المضار والمؤذيات يترقّى في رتبة النّباتـيّة ولا يصل كيفما عولج إلى رتبة الحيوانيّة، والحيوان إذا غذي كيفما كان لا يصـل إلى رتـبة الإنسـان، والإنسان كيفما تغذّى بالأغذيّة الصّالحة لا يكون

---

(١) إشارة إلى قولـه تعالى في سورة المؤمنون آية: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ وبهذا المعنى ورد في سورة الحج: ٥، وسورة غافر: ٦٧.

نبيّاً، وهذا بحسب الحكمة من وضع الأشياء في محالّها وإعطائها كرمه وجوده وفيضه بحسب قوابلها واستعدادها.

كما ترى أنّ في الإنسان شريفاً ووضيعاً، وحراً وعبداً، وغنياً وفقيراً، وقويّاً وضعيفاً، وكاملاً في الخلقة وناقصاً، وصحيحاً وسقيماً، ورئيساً ومرؤوساً، وعالماً وجاهلاً، ومطيعاً وعاصياً، إلى غير ذلك من الاختلافات المتضادّة. وما بينها الجاري أغلبها في الحيوان والنّبات والجماد أيضاً. ونحن نقول: إنّ من الممكن المقدور لله سبحانه أن يساوي بين الجميع، ولكن الحكمة والعدل منعا عن ذلك.

قال: إنا نرى النطفة وهي جماد وقد صارت رجلاً وامرأة في الإنسان، وذكراً وأنثى في الحيوان، وصار الذهب الّذي صنعه السّامري عجلاً له خوار، وعصا موسى عليه السلام صارت حيواناً ثعباناً قد التقف وابتلع عصي سحرة فرعون وحبالهم تقريباً من سبعين حمل بعير، وعادت بعد ذلك عصا جماداً.

قلت: أما حديث النطفة فليس حيث تذهب؛ لأنّها تنتقل إلى العلقة ثم إلى المضغة، ثمّ إلى العظام، ثمّ تكسى العظام لحماً[1]، وكلّ ذلك تنتقل من

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى في سورة المؤمنون آية: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾.

رتـبة إلى رتبة في الجماديّة لم تخرج عنها، كما ترى أنّه إذا مات كان الجسم جماداً لا حـراك ولا إحسـاس ولا إدراك لـه، نعـم بعـض الرتب قابل ومحل لإشراق الرّوح عليه وحلولها فيه، فإذا انتزعت منه بالموت [صار] جماداً.

وكذلك السّامري لمّا صنع الذّهب بصورة العجل فهو باقٍ على الجماديّة الذّهبـيّة، وإن نفخ فيه القبضة التّي أخذها من أثر حافر فرس جبرئيل حيزوم الحياة فخـار بعـد ذلـك امتحاناً واختباراً لقوم موسى عليه السلام، إذ تركوا هارون وعكفوا على السّامري وعجله(١).

وأمّـا عصـا موسـى عليه السلام فهـي وان كانـت جماداً إلاّ أنّ فيها آيات النبوّة ومعجـزاتها الخارقة للعادات، ومنها صيرورتها ثعباناً، وعودها كما كانت أوّلاً وغير ذلك ممّا ظهر فيها من الآيات البينات، كمسخ قوم فرعون قردة وغيرهما.

وبالجملـة فـيكون ذلـك أمـراً ممكـناً مقـدوراً لله سـبحانه لا إشكال فيه ويظهـره سـبحانه في الخصوصـيّات عـلى حسـب مـا تقتضيه المعجزة على يد أنبـيائه أو الانـتقام كذلـك. ومـراده هـنا من طبيعة الإنسان عقله، وأنّ العقل عنده هو الطبيعة.

---

(١) كمال الدين ١: ١٧ في المراد من الغيب، وكذا بحار الأنوار ١٣: ٢٤٤ ـــ ٢٤٨، ب(٧) نزول التوراة وسؤال الرؤية وعبادة العجل، وحيزوم اسم فرس جبرئيل عليه السلام أو فرس النبي الأعظم صلى الله عليه وآله.

الأمر الأول من اسباب تربية العقل:

قال: في أسباب تربية العقل:

أولاً: بالمواعيد الّتي كانت أوّلها أنّ نسل المرأة يسحق رأس الحيّة إبليس لعنه الله.

أقول: المواعيد يريد بها إخبارات عن أحوال عيسى عليه السلام قبل تولّده من مريم عليها السلام الّتي هي المراد من المرأة، وسحقه لرأس الحيّة يعني أنّه يقتل إبليس تأمل أي ارتباط بين قتل عيسى عليه السلام لإبليس ومقصوده من تربية طبيعة الإنسان حتى تصل إلى ما تريد وكذلك.

ومنها قوله: «لكلّ من إبراهيم وإسحاق ويعقوب وبنسلك تتبارك جميع أمم الأرض».

أمّا خطاب الله سبحانه لإبراهيم بهذا الخطاب فهو صحيح؛ لأنّ من نسله صفوة ربّ العالمين وسيّد الأنبياء والمرسلين، وهو بركة جميع المخلوقات أجمعين، ولسنا الآن بصدد بيان البرهان، وإلاّ لأقمنا الضّرورة والعيان وأمّا إسحاق ويعقوب عليهما السلام فكذلك تتبارك جميع الأُمم؛ لأن من نسلهما الأنبياء والأوصياء، وهم بركة على أهل الأرض، إلاّ أنّ نسبة هذه البركة إلى البركة الأُولى نسبة الفرع إلى الأصل، والشّعاع إلى المنير، ولكن تأمّل أي ارتباط بين البركة من النّسل وكون عيسى عليه السلام؟ هل هو على ما أراده؟! ولكنّها ﴿لا

تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[١].

الأمر الثاني من أسباب تربية العقل:

قوله: **وثانياً**: «**بالطّقوس والفرائض الّتي كان أخصها وأشرفها الذبائح والمحرّقات لله سبحانه الّتي هي بالحقيقة رموز وإشارات لائقة إلى ذبيحة المسيح الّتي كانت عتيدة أن تقرّب وفاء عن خطايا العالم التّي لو جرّدت من هذا المعنى لكانت بلا داع وغير لائقة بالله**».

وفيه: إنّ ما ذكره دالاً بالرمز والإشارة دعوى مجرّدة عن صراحة الدّليل ورمزه وإشارته، مع أنّه أيّ ارتباط بين ذبح الخروف قرباناً لوجه الله وذبح عيسى عليه السلام لأجل الفداء، ولو يقول بدلالة ذبح الأنبياء وقتلهم على ذلك بجامع البنوة لكان أقل شناعة وفضيحة، وإن كان الرّابط كون الخروف مأموراً من الله بذبحه، فيقتضي أن يكون عيسى عليه السلام مأموراً بأن يذبح نفسه أو يأمر من يذبحه، فالذّابح لعيسى عليه السلام مطيع لله ولعيسى عليه السلام، مستحق للجزاء من الله على ذلك، فيكون عيسى عليه السلام يفدي البشر إلاّ من قتله، فإنه يفدي نفسه بقتله عيسى عليه السلام.

قوله: «**وهل من العدل أن يقاص الخروف عن الإنسان والبهيم عن العاقل**

---

(١) الحج: ٤٦.

والبريء عن المذنب»؟

أقـول : **وفيه**: إنّه قد قدّم فيما سبق أنّ إدراك ذات الله وأفعاله فوق عقولنا وهـنا يحكـم عـلى فعله أنّ المقاصّة بخلاف العدل، ثمّ أيضاً أيّ خلاف عدلٍ في ذلـك؟ فـإن كـان من جهة الإنسان أشرف وأعلى رتبة من الخروف، فلا يكون الأدنـى قـابلاً لفـداء الأعـلى، فـيرد علـيه أنّ عيسـى عليه السلام عـلى زعمه أعلى الموجـودات؛ لأنّـه ابـن الله فكـيف يكون الأعلى فداءً للأسفل، وكذلك أيضاً فـداء الـبريء للمذنـب، فـإنّ عيسـى عليه السلام بـريء مـن غـير إشـكال، والبشر مذنـبون، وكـيف يكـون عيسـى عليه السلام الّـذي هـو بـريء مـن الذّنـوب فِـداءً للمذنـبين؟ ولكنّ الرجل يخبط خبطاً عشوائياً لا يدري إلى أي جهة يتوجّه. ثمّ إنّـا قـد تركـنا ما بعد ذلك من العبارات؛ لأنّ ما فيها وعليها قد علم ممّا سبق مع أنّها تكرير.

الاستدلال على صحة الإنجيل والتوراة بالقرآن الكريم والجواب على ذلك:

قـال: قد شهد القرآن للنّصارى أنّهم أهل كتاب بقوله: ﴿ **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّىَ تُقِيمُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ**﴾[1]:

أقـول: هـذا إلـزام مـنه للمسـلمين بـأن التّوراة والانجيل صحيحان غير

(١) المائدة: ٦٨.

محـرّفين، إذ هو لا يقول بكون القرآن من عند الله، حتى يستدل به على مطلبه، وكـيف كان فلا دلالة في الآية الشريفة على ما أراد، بل هي على عكسه أدلّ، فـإنّ نسبة إضافتهم إلى الكتاب أعم من كون ما بأيديهم محرّفاً أو صحيحاً، مع أنّه من القريب أنّ نسبتهم لأجل التّبكيت[١] عليهم،

ثـمّ إنّ قولـه: ﴿لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾[٢] عموم نفي، وهو يشمل ما كان بـأيديهم ممّـا يسـمونه تـوراة أو انجـيلاً، فليسا هما المنزلين من عند الله تعالى، وكذلـك إقامتهما أعمّ من العمل بهما والمحافظة على ما أنزله الله سبحانه من ألفاظهمـا وعـباراتهما، ولم يثبت أنّهم أقاموهما على ما ينبغي وأقاموا ما أُنزل إليهم من ربّهم، بل الثّابت عدمه ومن ذلك يعلم الجواب في كلّ ما نسبوا في القرآن إلى الكتاب، وإنّ جعله إلزاماً للمسلمين كما قال في قولـه تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[٣] إذ ليس إلاّ النسبة الإضافيّة مـن الكتاب، وهي أعم كما تقدّم؛ بل لا يخفى أنّ الآية الشّريفة دليل على أنّ مـا بـأيدي أهـل الكـتاب باطل أو فيه الباطل كتاباً أو عمداً أو اعتقاداً، فنهى سبحانه أنْ يبطل المسلمون باطلهم بدليل باطل، بل يبطلوه بدليل حق.

---

(١) التبكيت كالتقريع والتعنيف. وبكته بالحجة، أي غلبه الصحاح ١: ٢٤٤، مادة (بكت).

(٢) المائدة: ٦٨.

(٣) العنكبوت: ٤٦.

الاستدلال بالقرآن على وقوع التحريف:

قال: ولم يقل - يعني الله سبحانه في قرآن محمّد ﷺ -: لماذا حرّفتموه بل حتى يقيموه..

أقول: لا ألومه لأنّه أجنبي عن معرفة فصاحة قرآن نبيّنا محمّد ﷺ وبلاغته، أو أنّه ينظر إليه بعين الاستقلال، أو أنّه لا يفهم حقائق المقال، ألم يعلم أنّ القيام هو الاستقامة والاعتدال على نهج الحق والصّواب وخلافهما هو الباطل، والزّبد المجتث الزّائل، وبالضّرورة أنّ تغيير كتابي الله تعالى التّوراة والإنجيل وتحريفهما عما أُنزلا من الباطل الّذي لا ينكره إلاّ الجاهل القاصر، فلو صرّح في القرآن بما قال لما حرّفتموه لرأيت ركاكة العبارة وخلاف وضع البلاغة، مع أنّ في قرآن نبيّنا ما هو نصّ صريح في تحريفهما، وهو قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[1].

وقال سبحانه في آية أخرى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاء ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْاْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾[2] وما بأيديهم من التّوراة والإنجيل قد صرّحا بأن عيسى ابن الله

---

(١) التوبة: ٣٠.

(٢) آل عمران: ١٨٧.

تعالى، وحكم قرآن نبيّنا بكفر قائله ومعتقده، كما في الآية الأولى، وكذلك الآية الثّانية من أخذ الميثاق عليهم بإظهار التوراة والإنجيل وعدم كتمانهما، فخالفوا ذلك الميثاق ونبذوهما وراء ظهورهم واشتروا بالتوراة والإنجيل النّازلين من عند الله تعالى إنجيلاً وتوراةً محرفين ثمّناً قليلاً.

وبالجملة فنحن معاشر المسلمين في غنية وعلى يقين من التّحريف والمهم إلزامهم به، وقد تقدّم ذلك بحيث لا ينكره إلاّ جاهل قاصر، أو معاند مكابر.

والعجب من هذا الرجل كيف يقول بأنّ تحريف التّوراة والإنجيل محال ولا يقول بمحاليّة عكوف قوم موسى على العجل والسّامري وتركهم لموسى وهارون عليهما السلام؟! وكيف يقول بمحاليّة تحريف الإنجيل، ولا يقول بمحاليّة قتل عيسى عليه السلام وصلبه؟! فإذا استخفّوا بأنبياء الله واستهزأوا بهم وآذوهم فأيّ مانع يحجزهم ويمنعهم عن الاستخفاف بكتابي الله تعالى وتحريفهما وتغييرهما إلى مرادهم وما سوّلت لهم به نفوسهم.

قوله: ((**إنّ القول بتحريف وتغيير كتاب الله لا محالة تكذيب لشهادة القرآن**)).

أقول: قد شهد القرآن كما سمعت والعقل والضّرورة بتحريف التّوراة والإنجيل، فلا يجوز قراءتهما واقتناؤهما إلاّ لإبطالهما ونقضهما.

قوله: ((**وما أسقم ادّعاء البعض بالاستغناء عنه وأنه للأمة الفلانيّة دون أمتّنا**)).

أقـول : نعـم مـا يقـول: إن الـتوراة والإنجـيل التي بأيديكم لمن يعتقد أنّ عزيـراً ابـن الله والمسـيح ابـن الله لا لـلموحّدين لله المـنزّهين لــه عن صفات مخلوقاته

الاستدلال على عدم التحريف والجواب على ذلك:

قــال: ((**في الفصـل الـثاني حاكياً تعجّـب بعـض واستشـكاله في أنـه كيـف تتحد التوراة والإنجيل على معنى، مع كونهما محرّفين أو تبطل اليهود دينهم بموافاتهم لديـن النصـارى؟ وكيـف يكونـان محـرّفين القـرآن شاهد على كونهما كتابي الله**)).

أقـول: امّـا اتحادهما على معنى فلا يدلّ على سلامتهما وعدم تحريفهما، إذ المعـنى الّـذي اتّحـدا فـيه أُلوهيّة عيسى وبنوّته لله وقتله وصلبه فداء للبشر ونحوه، وإذا كان إبليس هو دليلهم وقائدهم والملبّس عليهم أديانهم ومعلّمهم الكهانـة والسـحر فـلا يبعد عليهم أن يكتبوا في توراتهم ما يوافق النّصرانيّة قبل حصولها، وأنّهم يقولون: إنّ موسى عليه السلام نبي لله وعيسى عليه السلام ابن الله فلا مخالفة. ثمّ إنّ من المحتمل أن يكون المحرّف للتوراة بعض النّصارى بعد حدوث النّصـرانية وصـالحهم عـلى أن يكـون عزيـر ابن الله لليهود، وعيسى ابن الله للنّصارى. وأما قرآن نبيّنا صلى الله عليه وآله فلم يشهد قط بسلامة ما في أيديهم من التوراة والإنجـيل مـن الـتّحريف، إذ غايـة مـا يـتوهّم مـنه فـيه نسـبتهم بالإضافة إلى

الكتاب، ويكفي في صحّتها أدنى ملابسة كما قال الشّاعر:

إذا كوكب الخرقاء لاح بسحرة سهيل أذاعت غزلها في القرائب[١]

بل هو شاهد ودليل على التّحريف كما سمعت من الآيتين المارّتين وكما في قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـذَا مِنْ عِندِ الله لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾[٢]. ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[٣] فهل ترى أنّ المنفي من اليهوديّة والنّصرانية غير عقائدهم الفاسدة وأعمالهم الباطلة الّتي من جملتها اعتقاد أُلوهية عيسى عليه السلام وبنوته وبنوة عزير المكذوبة على الله سبحانه في توراتهم وإنجيلهم؟ فبيّن سبحانه بأنّ هذا الاعتقاد المذكور شرك بريء عنه نبيّه إبراهيم عليه السلام.

وقال سبحانه: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى الله إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ الله وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِالله وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا الله إِلَـهٌ

---

(١) شرح الرضي على الكافية ١: ٥٠٤، والقواعد والفوائد ٢: ٣٨٦.

(٢) البقرة: ٧٩.

(٣) آل عمران: ٦٧.

وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾[(١)] فبيّن سبحانه ما أثبتوه في توراتهم وإنجيلهم من الغلو الّذي هو ألوهية عيسى عليه السلام والشّركاء الّذين هم الأقانيم الثّلاثة، وهي كيان الله، وأنّ عزيراً وعيسى عليه السلام ولدان لله، فأيّ دلالة وأيّ شهادة على التّحريف أعظم من هذه؟ ومنها شهادة على تحريف التّوراة، وهو قوله سبحانه: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾[(٢)] فاظهروا الباطل المحرّف وأخفوا الحق، وقال سبحانه: ﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ﴾[(٣)] فقد شهدت الآية الشّريفة أنّ الولد الّذي أثبتوه في توراتهم وإنجليهم محرّف مكذوب على الله. وقال سبحانه: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾[(٤)] إلى أن قال سبحانه: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَل رَّفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ﴾[(٥)] فبيّنت الآية الشريفة وشهدت على أنّ صلب عيسى عليه السلام وقتله كذب وافتراء وقد أثبتوه في إنجيلهم فيكون محرّفاً.

---

(١) النساء: ١٧١.

(٢) الأنعام: ٩١.

(٣) الأنعام: ١٠١.

(٤) النساء: ١٥٧.

(٥) النساء: ١٥٧ ـ ١٥٨.

قولــه: «**قيل فيه أي في الأَصحاح الثالث والخمسين من توراة إشعياء**[١]: **ولكن أحزاننا حملها وأوجاعنا تحملّها، ونحن حسبناه مصاباً مضروباً من الله ومذلولاً وهو مجروح لأجل معاصينا مسحوق ولأجل آثامنا تأديب سلامنا عليه ويجبره شفينا كلنّا كغنم ظللنا**».

أقول: هذا من جملة أدلتهم وما بعده من العبارة.

[ ][٢]إن أمكن تطبيق هذه العبارة وأمثالها على ما لا يخالف العقل والضّرورة والوجدان والقرآن فهو، وإلاّ فتكون من المحرّف الّذي قد عرفت قيام الأربعة المذكورة عليه.

[ ][٣]إنّ المتكلم بهذه العبارة أوّلاً وبالذّات إمّا أن يكون هو الله سبحانه، أو اليهود، أو عيسى، والله سبحانه حاكٍ لكلامهما في الكتاب المذكور، ولا خفاء على ذي مسكة ومن له أدنى فهم ورويّة أنّ المتكلّم بها هم اليهود فتكون إمّا من المكذوب المحرّف المدسوس في الكتاب المذكور، أو إنّ الله

---

(١) كما في العهد الجديد: ٢٥٨، وفي المحيط في اللغة ٢: ١٠٠ شعيا: اسم نبي عليه السلام وهو آخر نبي من بني إسائيل وفي ص: ١١٥ سعياء: لُغَة في شعياء: اسم آخر نبيّ في بني إسرائيل وفي قصص الأنبياء: ٤٤٢ ورد باسم شعيا.

(٢) هنا بياض في المخطوط.

(٣) هنا بياض في المخطوط.

سبحانه حكى عنهم فيه، وكيف كان فيبطل الاستدلال والاستشهاد بها.

فـان قلـت: عـلى أنّه فرض حكاية الله سبحانه لها يكون راضياً بمعانيها محباً لها حيث أودعها في كتابه المنزل على نبيّه.

قلـت: لا خفـاء أيضـاً عـلى ذي مسكة ورويّة أنّه سبحانه يحكي في كتبه السّـماويّة المـنزلة عـلى أنبيائه أحوال مخلوقاته المرضيّة وغير المرضيّة، فكون ما حكـاه هـنا مرضـيّاً دعـوى تحتاج إلى دليل، فلا يكون المحكي دليلاً، مع أنّه إذا كـان مرضـيّاً لــه لا بـدّ أن يكون أصله مأخوذاً من أحد كتبه السّماويّة لا إلى التّوراة.

فـإن قلت: إنّ إشعياء هو الّذي كتبه ونقله عن موسى عليه السلام وإشعياء من البشر وقد أخذه من موسى عليه السلام فيكون دليلاً.

قلـت: نمنع كون هذه العبارة مما كتبها إشعياء عن موسى عليه السلام بلا زيادة ولا نقصان ولا تغيير ولا تبديل ولا تحريف، وان سلمنا ذلك قلت في الجواب: ولكـن أصـغ واسمع وافهم أنّ المحمول تارةً يكون ذات الشيء وثقله الجوهري، وتـارةً يكـون المحمول هو الاهتمام بالشّيء والتألم والتأذيّ من وقوعه، والمحمول لعيسى عليه السلام هو الثّاني لا الأوّل، بل ليس ذلك خاصّاً بعيسى، بل كلّ رئيس شفيق يتألم ويتأذى على ما يفعله تبعته ويقع بهم ممّا يضرّهم في دينهم ودنياهم وأمزجـتهم، بـل لـو لم يكن رئيساً كالقريب مع قريبه، والصّاحب مع صاحبه والصـديق مـع صـديقه، فكذلـك أيضـاً لا سيما إذا كان ذا إيمان ودين ورأى

عكوف غيره على الكفر والشرك وعصيان الله سبحانه، فإنه يمرض ويسقم ويتألّم ويتأذّى ويغضب لذلك، ويختلف ذلك على حسب قوّة الإيمان والقرب من الله سبحانه، وهذا مركوز في جبلاّت الناس، بل في جبلاّت البهائم، فإنّ الحيوان إذا رأى من يضرب ولده أو يذبحه ونحو ذلك يعتريه الانفعال والغضب والتّألّم، كما لا يخفى على المتأمل في أحوال الخلائق، وقد علمنا ذلك علماً ضرورياً من أحوال الأنبياء والأوصياء والأولياء، بل العبارة المذكورة [١] إذا تامّلتها تجدها دالّة على أنّ المحمول ما ذكرنا، فإنّ معنى تحمّل الأحزان والأوجاع والحسبان والسّحق لأجل الآثام لا ينطبق إلاّ على ما نقول.

فإن قلت: إنّ ما ذكرت معنى مجازي والمعنى الحقيقي هو الأوّل.

قلت: الأوّل متعذّر، ضرورة أنّ زيداً إذا قتل عمراً تحمل خالد ذلك القتل، ولم يكن خالد قاتلاً حقيقة، بل دعواها كذب وافتراء، فلا بدّ أن يكون التحمّل: إمّا للتألّم أو للتّأذّي كما ذكرنا، أو لعقوبة الّذنب، وكلاهما مجازيّان، والأوّل هو مدلول العبارة.

لكن قوله: ((**الربّ وضع عليه إثم جميعنا**)) يدلّ ظاهراً على الثاني، ويمكن أن يكون على وجه مجاز الحذف بعلاقة السببية والمسببيّة[٢]، أي تألّم أثم

---

(١) في نسخة بدل: المنقولة.

(٢) مجاز الحذف: ((ويعرف باسم المجاز في الإعراب، وهو نقل كلمة عن إعرابها الأصلي لها ←

جميعنا بقرينة العبارة الماضية، وأنّ معنى وضع الربّ الإثم عليه أمره لـه بسؤال العفو والشفاعة لمن له ذلك.

قال: ((ضرب من أجل ذنب شعبي)).

أقول: الضرب لا يدل على القتل كما لا يخفى.

قولـه: ((وجعل مع الأشرار قبره)).

أقـول: وجـه صـحّة هـذه العـبارة أن جعـل القـبر مع الأشرار لا يختص بعيسـى عليه السلام بل جميع الأنبياء والأوصياء والأولياء والصّالحين والأتقياء كذلك في حـياتهم الدنـيويّة، حيث إنّهم أماتوا نفوسهم عنها وعن زبرجها وزخرفها وزينـتها وغـرورها وصـرفوا نفوسـهم وجوارحهـم ومشـاعرهم في طاعـة الله سـبحانه العلمـيّة والعملـيّة، والقولـيّة والاعـتقاديّة، والتعليميّة، فهم أموات حقيقة في الله كما قال الشّاعر:

مـت قـبل مـوت فهـو الحـياة   مـا أهـون المـوت عـلى مـن مـاتوا

فالدنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر، والقبر هو منزل الميّت ومسكنه، فهم مع كونهم أمواتاً في الله سبحانه في هذه الدّنيا مع الأشرار التي كانت دار الدّنيا جنّتهم، وبهذا الموت في الله كان غناؤهم دائم الأبد عن مخلوقات الله بالله.

إلى إعراب غيره، بسبب حذف لفظ، أو زيادة آخر)) كقولـه: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾يوسف: ٨٢.

كما قال: ومع غني عند موته.

أقول: ليس لهم حاجة إلاّ إليه فهم الفقراء إلى الله من جميع الجهات لا إلى المخلوقات، وقس على ما ذكرنا جميع ما يرد عليك من العبارات الّتي يلبسون ويموهّون بها على كثير من النّاس مثل: ((تحمل ذنوبنا))، ((حمل ذنوبنا)) ((حمل أحزاننا))، ((ضرب))، ((مات))، ((أسكب الموت على نفسه فأدى)) ونحو ذلك من العبارات، وقد انتهى موضع الحاجة من عبارة الأصحاح.

قال صاحب الكتاب: **وشهادة القرآن للكتاب في القرن السّادس للتّاريخ المسيحي أن تقود الأُمّة المحمديّة لاعتبار سلامة التوراة من التحريف.**

أقول: أُنظر إلى كيفيّة المكر والخداع للمسلمين والجلب للمسلمين وميلهم إلى النصرانيّة وتركهم الإسلام؛ لأنّه إذا قادت شهادة القرآن أهل الإسلام إلى عدم تحريف التوراة والإنجيل اللّذين في يد اليهود والنّصارى الآن، وان كل فقرة وعبارة فيهما فمن الله من غير زيادة ولا نقصان؛ لزم المسلم أن يعتقد اعتقاد النّصارى، ويدين بدينهم من ألوهية عيسى عليه السلام وبنوّته لله ونحو ذلك من الخرافات الكفرية، والتديّن بذلك بعينه إبطال القرآن النّافي للألوهيّة والبنوّة، وإبطال لدين الإسلام كما لا يخفى، ولكنّك قد عرفت فيما سبق بطلان الشّهادة المذكورة، وأنّ القرآن الشريف شاهد على التحريف والتغّيير، وعلى بطلان اليهودية والنّصرانية وبيّن ذلك بأوضح بيان وأعظم برهان.

قال في الاستدلال على سلامة الإنجيل من التّحريف:

أوّلاً: نجاح الإنجيل في العالم وتغلّبه على عناصر قويّة جداً بدون مداخلة القوّة العالميّة والحكمة الإنسانية.

أقول: أمّا نجاح إنجيل عيسى عليه السلام فلا إشكال ولا كلام فيه، وإنّما الكلام في إنجيل النّصارى الذي في أيديهم. ومراده من التغلّب أنّ له خصوصيّات يدفع بها مضار الحيوانات والإنسان والجان وغير ذلك، كما أنّ له خصوصيّات يحصل بها بعض المنافع فيما ذكر.

ونقول: إن ثبت ذلك فنقول في الإنجيل الذي بيد النّصارى ما قلنا في التّوراة: إنّ فيه المحرّف؛ لا أنّ كله محرّف وما ذكر أثر غير المحرّف ومدخليّة القوّة العالميّة والحكمة الإنسانيّة فغير مستبعد بعد تعليم الله للحكمة وأخذها من مظانّها ومحالّها، كما ترى من القوي والأقوى، والضّعيف والأضعف، على اختلاف مراتب القوّة والضّعف. فالقوي يغلب على عناصر الضّعيف والأقوى يغلب على عناصر القوي، والقوي في المرتبة العليا يغلب الأقوى في المرتبة السّفلى ويقهره وهكذا، كما لا يخفى.

ثانياً: وجوده بلغات عديدة بأيدي أمم مختلفة العوائد والمذاهب، بدون فرق يعتريه في قضاياه الجوهريّة وغايته.

أقول: هذا دليله الثّاني على سلامة ما في يده من الإنجيل عن التحريف.

وأقول: إنّ آدم واحد، وقد توالد منه أُمم متعدّدة وكلّها متّحدة في النّوع

والنّخلة واحدة، وكذلك شجرة الرّمان وغيرها من بقية الأشجار، وقد توالد من كلّ واحدة ما شاء الله، فكيف يستبعد أن يكون كتاب إنجيل النّصارى واحداً مكذوباً محرّفاً قد نسخت عليه نسخ، وكتبت عليه كتب[١] متعدّدة متكثّرة بلغات متحدّة مختلفة كلّها موافقة للكتاب الأصلي في نوعيّة التحريف، بل هو كذلك كما عرفت البيان وقيام البرهان ينزّه عن ذلك إنجيل عيسى عليه السلام، ومن ذلك تعرف فساد دليله الثّالث.

وأمّا فساد دليله الرّابع فيعلم ممّا مر في صحّة تحريف التّوراة[٢].

دعوى موافقة القرآن للكتاب المقدس:

قال: إني أرى مقاربة كليّة بين الكتاب والقرآن ومن جهة المسيح... إلى أن قال: فالكتاب يدعوه ابن الله وكلمته، والقرآن يدعوه روح الله وكلمته.

أقول: أي مباينة أبين وأظهر وأوضح بين كون عيسى ابن الله، وبين كونه روح الله، وقد جرى لآدم عليه السلام في قرآن نبينا ما جرى لعيسى عليه السلام فيه بقوله: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾[٣] في شأن آدم؛ فإن كانت الروح هي

---

(١) في المخطوط: كتبا.

(٢) ليعلم عدم تعرض المصنف للدليل الثالث والرابع، واكتفى ببيان ضعفها مما تقدم. تقدم في صفحة ١٢٠ ــ ١٢٢ ــ ١٢٤.

(٣) الحجر: ٢٩، وص: ٧٢.

الولد فيلزم حينئذٍ إذا انفصل الولد من أبيه أن لا يكون فيه روح، وآدم قد خلق من روح بمقتضى نصّ القرآن، ومن أين كانت روح ثانية فخلق عيسى عليه السلام حتى يكون ولداً.؟

ولعلّهم يقولون: إنّه لما خلي من الرّوح في تولّد آدم خلق له روحاً ثانية لتولد عيسى، وروحاً ثالثة لتولّد عزيراً، وينكرون نص القرآن في آدم ويطلبون مذهب اليهود في عزير، ما أكثر هذه الخرافات والتّلاعب التّي يحرم النّظر إليها فضلا عن كتابتها والكتابة عليها، ولكن لّما نظرنا الخداع بعض النّاس بها، واغترارهم وميلهم، وجب اظهار تلك المفاسد، وإبطال تلك المعابد.

الاستدلال على أفضلية عيسى عليه السلام على جميع البشر:

قوله: ((**... يدلّ على سمو مسيح عيسى عليه السلام على البشر قاطبة، وإلاّ فما الدّاعي لولادته على نوع خارق ناموس الطّبيعة، ايفعل الله سبحانه شيئاً بدون داعٍ؟ حاشاً وكلاّ. أما يقود ذلك إلى الفكر بأنّ الذي ولد من البشر بدون أب فهو ابن الله، وأن الّذي أتى بمعجزات لم يسبقه إليها نبي هو سيّد الأنبياء والمرسلين وصفوة ربّ العالمين**))؟

أقول: لا إشكال في علوّ المسيح وارتفاع رتبته عند الله سبحانه على جملة من الأنبياء، فضلاً عن غيرهم من البشر، لكن لا على صفوة النبيّن وسيّد

المرسلين ورسول ربّ العالمين محمّد بن عبد الله حبيب الله وأشرف الخلائق أجمعين، كما قد أوضحناه وكشفنا عنه غطاءه[١] فيما سبق في المقام الثّاني[٢]، فراجعه هناك تجد شموساً مشرقة وكواكب مضيئة.

قوله: الدّاعي لولادته... إلى آخره.

أقول: الدّاعي سمو رتبته وعلو درجته، واقتران ولادته بمعجزة نبوّته.

ثمّ إنّ محصّل كلامه أن ولادة عيسى من غير أب على خلاف طبيعة الإنسان، وتسميته بروح الله وكلمته يوجب ذلك كونه ابن الله، وكونه ربّ العالمين.

أقول: إن كان كلّما يفعله الله سبحانه على خلاف طبيعة الشّيء معجزة لأنبيائه، يوجب كون ذي المعجزة ابناً، فجميع الأنبياء أبناء الله سبحانه، ولم خصصتم البنوّة بعيسى عليه السلام؟ ألم يسرِ البساط في الهواء لسليمان؟ وهو خلاف طبيعته، ألم تلقف عصا موسى عليه السلام عصيّ السحرة وحبالهم؟ وهو خلاف طبيعتها، ألم تكن الطّرق الاثنا عشر يابسة في البحر حين ضربه موسى بعصاه؟ وهو خلاف طبيعة الماء، ألم يكن الماء شبابيك وفرجاً بين كل طريقين في البحر؟ وهو خلاف طبيعته، ألم تكن النّار برداً وسلاماً على إبراهيم؟ وهو خلاف طبيعتها، وغير ذلك.

---

(١) في المخطوط: غطاه.

(٢) المقام الثاني في إثبات أفضلية رسول الله محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله على جميع البشر تقدم في صفحة ٦١.

وأمّا ولادة عيسى من غير أب وخلقه من الأُم لا غير فليس بأعظم من تكوّن آدم وخلقه من غير أب وأم؛ فإنه[١] تكوّن فاقد لأحدهما وآدم فاقد لهما معاً، وبالضّرورة أن الفاقد لهما معاً أقوى أُعجوبة وأشد ظهوراً للقدرة.

وأمّا تسمية عيسى روح الله فكذلك آدم في قوله تعالى: ﴿**فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي**﴾[٢] ومجرّد نسبة الرّوح إلى الله تعالى لا توجب الجزئيّة والتولّد؛ إذ هي نسبة مجازيّة يدلّ عليها العقل والضّرورة وأدلّة التّوحيد، وما ذكرنا في نسبة كون عيسى عليه السلام كلمة الله في المقام الرّابع[٣] جارٍ في أغلب القرآن في نسبة الرّوح إليه، فراجع هناك.

وبالجملة فيقيس نسبة الروح إلى الله سبحانه على نسبة الروح إليه، فيرى أنّ روح زيد جزء منه، فإذا انفصلت عنه كانت ولادة كما في عيسى ولكن نقول له في الجواب: إنّه هل يمكن أن يكون الواجب الحق مركبّاً ذا أجزاء أو أنّه مستحيل؟ وبيان الاستحالة مضاف إلى ما سبق أنه يكون الواجب جلّ وعلا[٤] فقيراً ليس بغني مطلقاً ضرورة احتياج الكل إلى أجزائه، واحتياج

---

(١) في المخطوط: فإن.

(٢) الحجر: ٢٩.

(٣) تقدم المقام الرابع في بيان عقيدة الثالوث الأقدس: ٩٩.

(٤) في المخطوط: على.

الأجزاء إلى الكلّ، واحتياج الأجزاء بعضها إلى بعض.

أمّا الأوّل فلأنّه لولا الأجزاء لم يتحقّق الكل ولم يحصل كما أنّ وصف الجزئيّة للأجزاء موقوف على وجود الكل وكذا وصف الجزئية بالجزئية موقوف على جزئيّة أخرى، ويكون الواجب أيضاً ناقصاً لأنّ من ينتظر الكمال بالتركّيب غير من يكون كاملاً بالفعل وهو البسيط.

وإن كنت ترضى لإلهك[١] بالفقر والنّقصان كما نطقت به التوراة والإنجيل المحرفان.

قلت: يكفينا اعترافك بفقر إلهك ونقصانه كما كانت أقوامك وأتباعك ترتضيه، ولا يرضى أحدكم أن يتسمّى بالنّقصان أو يتسمّى السلطان بالفقر فأشنع وأشنع، على أن المفاسد على هذه المقالة لا تضبطها الأقلام ولا تحصيها الأرقام.

والحاصل إذا دل العقل والنّقل والضّرورة والوجدان على استحالة كون نسبة الرّوح إلى الله سبحانه على حد نسبتها إلى زيد وجب لا محالة صرف النسبة إلى معنى مجازي، هو بعد كون المنسوب حادثاً مخلوقاً مربوباً ذا قرب ومحبّة وتشريف من خالقه، كما نسبت مواضع عبادة الله تعالى إليه، بحيث سمّيت بيوت الله، كما لو كان عندك صديق مخلص في الصّداقة والنّصح، فإنك

---

(١) في المخطوط: لا لاهك.

تسميّه روحك، وعلى ذلك جرى الاطلاقي في الاستعمال بأنّ كلّ من جمع الوصفين يسمّى روحاً أو كالروّح، فافهم لباب المقال ولا تكثر القيل والقال[١] فإن العلم نقطة كثّرها الجهّال.

الرد على ما جاء في الفصل الثالث من الباكورة

الدليل الأول : إثبات عدم وقوع التحريف مع بيان بطلانه:

قال في الفصل الثّالث ما محصّله: إن التوراة سالمة من التّحريف والتّغيير فإنّهما إمّا [أنْ] يقعا لغاية عقلائية أو لا لغائيّة وكلاهما ممنوعان؛ لعدم الغاية في الأوّل، وللعبثة الممنوعة في فعل العاقل في الثاني، وليس اليهود مجانين ولا معتوهين.

أقول: لا حاجة لنا إلى نقل القيل والقال ولكن نقول إنه: يتحرّف التّوراة لغاية شيطانيّة، وهي الاستنكاف والاستكبار عن العبودية والطّاعة لله سبحانه؛ فيحرّف على مقتضى شهوة نفسه بما يحصل له إطلاقه وتقييده بحدود الدّيانات، فيزيغ من تسمّى عاقلاً عن مقتضى عقله إلى ما سوّلت له نفسه الأمارة.

وههنا صورة رابعة لتحريف التّوراة، وهي قصور الإدراك وضعف

---

(١) في المخطوط: القلقال.

البصـيرة، فإنّهمـا قـد يوقعـان في الجهـل المركّب، بأن هذه المعاني الفلانية في التّوراة لا تليق أن تكون من عند الله سبحانه، وإنّما تليق كذا.

وههـنا صورة خامسة، وهو الاجتهاد والخطأ في معانيها، ويزيد فيها على مقتضى اجتهاده الباطل ما ليس منها حتى يتسمّى بالعالميّة والفيلسوفيّة.

وههـنا صـورة سادسـة، وهـي أنّ هـذه المرسـومات الكفريّة وما هو من قبيـلها ممّـا هـو خـلاف الدّيانـات الإلهـية قـد كـان مكتوباً مسطوراً في ظروف مصـاحبته للـتّوراة الأصـليّة، فجاءهـا الجـاهل بذلـك فاعتقدها منها ونسخها معها، حتى كانا كتاباً واحداً فانتشر هذا الانتشار واشتهر هذا الاشتهار؛ فلذا نسبت هذه المفاسد وهذه القبائح إلى التوراة.

وههـنا وجـه سابع تقدّمت الإشارة إليه، وسيأتي تفصيله إن شاء الله في بـيان معـاني آيـات الـتّوراة[1]، وهـذه الوجـوه السـتّة جارية أيضاً في الإنجيل، وبالجملة فقد عرفت أنّ الحصر المذكور غير حاصر.

الدليل الثاني على سلامة التوراة مع ردّه:

قال: إنّ الدّليل الفاصل القاطع كل ريب على سلامة التوراة عن التحريف والتغيّير هو عدم موافقتها في أمورٍ خطيرة لمن هي في يدهم، إذ هو الأمر مشهور أنّ

---

(١) سيأتي في صفحة ١٤٤ ــ ١٥٢.

اليهود قد سقطوا في عبادة الأصنام المنهي عنها في توراتهم بأقوى تشديد وأعظم تهديد، وأنكروا أبداً إرسالية عيسى المسيح من الله المنبئ عنه أوضح الإنباء، ومع ذلك لم يمدّوا إليها يد التحريف.

أقول: محصّل هذه العبارة وما بعدها أنّ أعمال اليهود وعقائدهم على خلاف ما في التّوراة، وهي معهم، فلم يجسروا أن يحرّفوها على مقتضى عقائدهم وأعمالهم الفاسدة.

أقول: ما أدري هل يدخل هذا الرّجل في سلك العلماء أم لا؟ ولكنّ النّظر في كلامه يقضي بأن عنده ملكة التّعبير لا غير، وإلاّ فلو زادت اليهود في التوراة جواز عبادة الأصنام، وأسقطت منها النّواهي المانعة عن عبادتها لكان محصّله أنّ موسى عليه السلام نبيّ ورسول من عند الأصنام، يأمر في التوراة بعبادتها، أو أن الله سبحانه عزل نفسه عن الأُلوهية وجعلها للأصنام، وكيف تجسر اليهود أن ترسم فيها مثل ذلك؟ لأنّهم يفتضحون باخبارات الأنبياء السّالفين فضلاً عن الأنبياء الموجودين وأوصيائهم.

وأمّا التحريف للأعمال الممنوع عنها فيها بتجويزها فيها أو تحريف المأمور به إلى الجائز والمحرّم، حتّى يوافق ما هم عليه من الأعمال فلا يمكن، إلاّ أن يكون اليهود شخصاً واحداً والتوراة نسخةً واحدةً، وهي محصورة عنده حتّى يحرّف على مقتضى ما يشتهي وتميل إليه نفسه من الأعمال، وليس كذلك في الزمان الواحد فضلاً عن الأزمنة المتعددة بالتوالد والتّناسل، مع أنّه

بـالوجدان والعـيان أنّ طبائع النّاس وأمزجتهم مختلفة في الشّهوات والميولات ولا يمكـن أن يحـرّف كـلّ واحدٍ من اليهود نساء ورجالاً عبيداً وأحراراً رؤساءً ورعايـا عـلى مقتضـى شـهوة نفسـه وميل طبيعته؛ لأنّه يخرج بذلك عن كونه كـتاب تـوراة فضـلاً عـن كونه كتاب موسى ومنزلاً من عند الله، بل على هذا يكـون كلّ واحدٍ لـه كتاب ولا يرد مثل ذلك في تحريفهم لألوهيّة وبنوّة عيسى عليه السلام؛ لأنّهـا مـن الاعـتقاديات الـتي يـبعد فـيها اختلاف الميولات والشهوات بخلاف الأفعال والأعمال كما لا يخفى.

قولـه: **إنّ الكنيسة الغربية حذفت في تآليفها الدينية... الخ.**

أقـول: حذف الوصيّة الثانية وتنصيف العاشرة مغيّر لوضع كتاب التّوراة وهيئـته وهمـا مخرجان عن التّسمية والنّسبة إلى الله سبحانه وإلى نبيّه فلا يكاد تقـبله جـل طبائع اليهود فلذلك وقع الإنكار وهجران الدّراسة بخلاف بعض النّسـب وبعض الكلمات مع بقاء هيئة الكتاب على ما هو عليه، نعم لا فرق في عدم القبول بين الصّورتين عند التّقي الورع المتديّن الفهيم العالم، وإن كان الأوّل أشنع وأفضع فظهر حينئذٍ أنّه تمويه دليل وزخرف قيل.

الدليل الثالث على سلامة التوراة مع رده:

قولــه: **((وبيان أنّ الرسول صلى الله عليه وآله قد أدرك الأمر تماماً، ولذلك شهد بوحي الله شـهادة مطلقـة مسـتوية بـأنّ الـيهود والنصـارى هـم أهـل الكـتاب، وأنهـا (أي**

التوراة) تماماً على الذي أحسن ونوراً وهدى».

أقول: ونحن نقول معاشر المسلمين: إنّ اليهود والنّصارى تبع[١] لنبينا ﷺ ووحي ربنا، إلاّ أن إضافة الأهل إلى الكتاب على ثلاث صور.

أ ـ أهل كتاب نقص منه.

ب ـ وأهل كتاب زيد فيه

ج ـ وأهل كتاب قد غيّر وبدّل بعض ما فيه بغيره.

وهناك صورة رابعة، وهي أهل كتاب على ما هو عليه كما أنزل.

فهل ترى أن الإضافة تصدق في الصّور الثلاث الأول أو تكذب؟ فإن قلت: إنّها باطلة؛ فقد كذبت وخالفت عقلك ووجدانك، وإن قلت: إنّها صادقة صحيحة؛ فشهادة نبينّا ووحي ربّنا بها لا تنفعك، بل تضرك وتبطل دينك وعقيدتك، وليست الشّهادة المذكورة للصّورة الرّابعة ضرورة نصّ القرآن بكفر ما أُثبت في التوراة والإنجيل من ألوهيّة عيسى وبنوّته لله جلّ وعلا، فكيف يشهد نبيّنا ﷺ بخلاف قرآنه ووحي ربّه، وشهادة نبيّنا ﷺ على التوراة بأنّها تمام ونور وهدىً تبعاً لوحي ربّه؟.

لا شك فيه ولا ريب ونحن معاشر المسلمين نشهد بهذه الشهادة، ولكن متعلّقها ومحلّها هي التّوراة الّتي نزلت من عند الله سبحانه على نبي الله

---

(١) في المخطوط: تبعا.

وكليمه موسى بن عمران عليه السلام لا التّوراة التي في يد اليهود الّتي قد شهد قرآن نبيّنا تحريفها في قوله تعالى: ﴿أأنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـهَيْنِ مِن دُونِ الله قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾(١) ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾(٢) ولم تكن له صاحبة، والقرآن مشحون بمثل ذلك الّذي خلافه مثبت في توراة اليهود وإنجيل النّصارى، لا في توراة(٣) موسى عليه السلام وانجيل عيسى عليه السلام، حاشاهما حاشاهما، وأيّ شهادة على التحريف أبين وأصرح ممّا ذكر، وأمثاله كثيرة في القرآن الشريف.

الآيات التوراتية الدالة على ألوهية عيسى عليه السلام:

ونحن نذكر ما ذكره في الفصل الثّالث من سطر آيات التّوراة وآيات الإنجيل الّتي استدل بها على ألوهيّة عيسى وكونه ابناً لله جلّ وعلا، ونجيب عنها واحدة واحدة إن شاء الله تعالى بما يصحو به الحق وتنكشف به الظّلم ويرتفع الغبار ويتعلّى النّهار، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر على تعصّب وعناد، وإظلال للعباد عن طريق الهداية والرّشاد.

---

(١) المائدة: ١١٦.

(٢) الاخلاص: ٣.

(٣) في المخطوط: توراته.

هذه آيات التوراة :

[الآية الأولى] «**ولكن يعطيكم السيّد نفسه آية لعذراء تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه عمانوئيل**».

أقول: يحتمل أنّ المراد بالسيد هو[1] عيسى عليه السلام ومعنى إعطائه نفسه هو الكناية عن ظهوره بين النّاس بالتولد آية من آيات الله سبحانه، ولا بعد في هذا الاستعمال، فإنّك تقول: أعطيت نفسي فلاناً والقوم الفلانّيين والمدينة الفلانية، كناية عن الظهور بعد الخفاء، والبروز بعد الاستتار في حجب الغيوب آية الله سبحانه على العالمين.

ويحتمل أنّ المراد بالسيّد هو الله سبحانه وتعالى، وتسمية عيسى عليه السلام نفساً لله تشريفاً له وتعظيماً، أي يعطيكم الله نفساً هي له عبودية رقيّة وطاعة حقيقيّة، حيث خلقه لذلك، ولا ضير ولا غضاضة في هذا الإطلاق، وهذا الاستعمال ضرورة أنّ الأصل الأوّلي كون المضاف غير المضاف إليه، وقد تقدّم في كون عيسى كلمة الله ما ينفع هنا فراجع[2].

وبالجملة؛ فأحد هذين الوجهين متعيّن ولا تفهم ما فهمه أهل

---

(١) في المخطوط: هي.

(٢) تقدم في المقام الرابع بيان عقيدة الثالوث الأقدس: ٩٩.

الاعوجاج ممّا يقبح التّصريح به، ولكن في مقام المناظرة والمماشاة، فإنّ هنا احتمالات ثلاثة، فتعيين أحدها لا بدّ له من دليل، فيبطل استدلالك بهذه الفقرة.

قوله: وتدعو اسمه عمانوئيل.

أقول: هو صحيح لا شاهد لهم به، بل هو شاهد ودليل عليهم، فإنّ عمانوئيل اسم من أسماء الله تعالى، فمحصّله بالعربيّة عبدالله، فعيسى عبد الله من غير شبهة، فافهم ولا تكن معوجّاً

الآية الثانية: لأنّه يُولِدُ لنا ولداً تكون الرئاسة على كتفه، ويدعى اسمه عجيباً مشيراً قديراً أباً أبديّاً رئيس السلام.

أقول: المتعارف في محاورات أهل اللسان أنّ القبيلة أو العشيرة أو المدينة إذا ولد فيها مولود صحّ لكلّ واحد أن يقول: ولد لنا مولود؛ لبيان الاختصاص والانتفاع بمنافعه ومصالحه وأفعاله وأقواله كلاًّ أو أكثرياً، ولكنّ المتكلّمين بهذه العبارة مختلفون؛ فالفقير يتكلّم بها ويريد المعاونة على سدّ فاقته وفقره، والضعيف لإعانته على ضعفه، والمرؤوس مع كون المولود من أهل بيت الرّئاسة كونه سيكون رئيساً إلى غير ذلك من الأحوال اجتماعاً وانفراداً يجدها المتتبّع عياناً، ويشاهدها وجداناً.

فإذا كان المتكلّم بهذه العبارة هو الله جلّ وعلا عمّا يقول الملحدون علواً كبيراً فالمراد: يولد لنا أي لطاعتنا وخدمتنا وإظهار قدرتنا وسلطنتنا وتنزيهنا عن صفات مخلوقاتنا، ولبيان أنّه ليس شيء يشبهنا أو يعرفنا أو يدرك

كنه ذاتنا أو يحيط بشؤوننا، وأنّه ليس معنا معين ولا وزير، ولا معاون في تدبير وتقدير، ولا شريك ولا مثيل ولا نظير، أحد متفرّد وسلطان متوحّد، لم يلد ولم يولد... إلى غير ذلك من صفات التّنزيه وصفات الجلال وصفات الكمال، وغيرها من الصّفات الّتي بعد اعتقاد عيسى عليه السلام لها يظهرها ويبينها لغيره تعليماً وتفهيما، حتى يدينوا دين الحق، ويسلّموا لله باتباع عيسى عليه السلام على اليقين والصّدق، وبهذا صحّ إطلاق كونه ولداً لنا.

قوله: **ويدعى... الخ.**

أقول: إمّا أن يكون كلاماً لله أصلياً أو حكاية لكلام الغير، فانه سبحانه يحكي في كتبه المنزلة على أنبيائه قصصاً عن الماضين وأخباراً عن أحوال الموجودين واللاّحقين، ومنها شرك المشركين وكفر الكافرين.

فعلى الثّاني: يكون حكاية عن اعتقاد النّصارى الفاسد من ألوهية عيسى عليه السلام وبنوّته لله جلّ وعلا، بل عبارته الآتية تدلّ على هذا المعنى حيث عبّر بـ(يدعى) المبني للمجهول الظاهر في نسبة الدّعوى إلى غير المتكلّم قرينة ثانية، وهي العدول من التكلّم في صدر الآية إلى الغيبة، وحينئذٍ يكون المعنى أنّ النّصارى قد ادّعوا في عيسى هذه الدّعاوي الكفريّة الّتي يتبرّأ منها عيسى عليه السلام وغيره من سائر أهل الأديان، فلا شاهد لهم على دعواهم.

وأمّا على الاحتمال الأول بأن يتصرّف في (يدعى) الخبري المبني للمجهول، بأن يراد منه الإنشاء الأمري، أي سمّوه وادعوه أمراً من الله سبحانه

للخلائق؛ فلا تزاحم ولا غضاضة في أن يكون من أسماء عيسى عليه السلام عجيب اسماً ووصفاً، وكذلك مشيراً أي يشير على النّاس بطاعة الله سبحانه وعبوديّته ووحدانيته، بخلع الأضداد والأنداد، والمشابه والمشاكل، والشريك والوزير والمعين والولد، وغير ذلك من صفات الحوادث. وهذا المعنى لا يختص لعيسى، بل هو وظيفة كلّ نبي ووصي وولي، إذ شأنهم الدّلالة على ما يقرّب الخلائق إلى الله سبحانه ويبعدّهم عن غضبه وانتقامه وسخطه، وأمّا وصف عيسى عليه السلام بأنّه أب، فلا بعد فيه، إذ كلّ نبي أب لأُمته[1] أي أبو ترقٍ وديانة كما قال سبحانه تعالى في قرآن نبينا صلى الله عليه وآله حكايةً عن لوط: ﴿هَـؤُلاء بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾[2] وقال سبحانه أيضاً مشيراً إلى هذا المعنى في شأن نبيّه محمّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله: ﴿وَأَزْوَاجُـهُ أُمَّهَـاتُهُمْ﴾[3] وأمّا قدير فهو وصف نسبي قابل لأن يوصف به كل من تلبّس بمبدئه، ويختلف باختلاف الحال، فيكون قديراً مطلقاً، أو قديراً نسبيّاً إضافيّاً. فعيسى بالنسبة إلى أمّته قدير على إظهار المعجزات والآيات البيّنات دون أمته

وأمّا الأبدي (بياء النسبة) أي منسوب إلى الأبد الذي هو الله سبحانه

---

(١) مجمع البيان ٨: ١٢٢، في تفسير سورة الأحزاب آية (٦)، وفيه قال مجاهد: وكل نبي أب لأُمته.

(٢) هود: ٧٨.

(٣) الأحزاب: ٦.

والأبد هو الّذي لا آخر له، وأي مشاحةٍ في نسبة عيسى إلى الله سبحانه تشريفاً له من غير دلالة على كون عيسى هو أبد؟

وأمّا «إلهاً» فيحتمل سقوط (ياء النسبة) منه، فإنّ سقوط حرف من الكلمة وزيادته سهواً كثيرٌ في الكتابات، ويكون من قبيل الأبدي، ويحتمل أن يكون بنزع الخافض المتعلّق بمشير، أي أن عيسى عليه السلام يشير إلى إله قدير ومعنى إشارته إليه الدّلالة عليه وتوصيفه بما يليق بعزّ جلاله وقدس كماله سبحانه وتعالى، وهذه المعاني الّتي ذكرناها قريبة من اللّفظ غير بعيدة عن الأذهان، ومأنوسة في الاستعمال، فترجيح ما أراده ذاكر الآيات عليها يتوقف على القرائن المفقودة إن لم تكن هي لنا موجودة، كيف وقد علمتها فيما مر.

واما السلام فهو اسم من أسماء الله سبحانه ووصف عيسى بالرئاسة من الله تعالى لا مشاحة فيها كما لا يخفى.

الآية الثالثة: **قال الرب لربيّ اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك.**

أقول: موضع استشهاده قال الربّ لربّي لاينسبك الكلام إذا كان القائل هو الله أو عيسى، إلاّ أن يكون بعض الأوصياء أو بعض الأنبياء حاكيا عن الله تعالى ويكون الربّ القائل هو الله سبحانه والمقول له عيسى عليه السلام وتسميته ربّا له هو محل الإشكال والشبهة.

ودفعهُ: إنّ الرب يستعمل بمعنى الصّاحب، كما يقال في المتعارف: رب البيت، وبمعنى المربّي، فيكون المحصّل أنّه سبحانه وتعالى قال لذلك الصّاحب

أو لذلك المربّي. وبقيّة الآية لا إشكال فيها، ووضع القدم عن اليمين كناية عن العلو، كما أن اليسار كناية عن السّفل، ولا تكن مؤفاً عن قبول ما ذكرنا وبيّنا إن خاصمت نفسك أو أنصفتها.

الآية الرّابعة: أما أنت يا بيت لحم أفرانه فمنك يخرج الذي يكون متسلّطاً على إسرائيل ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل[١].

أقول: شاهده في «منذ» إما على الأُلوهية أو على التولّد، ولكنّه استشهاد فاسد كاسد، ضرورة أن معنى العبارة وأن عيسى عليه السلام يخرج من عند الله.

فإن كانت لفظة «عند» حيثما ذكرت مضافة إلى الله سبحانه معناها الخروج من ذاته، فجميع الأشياء في ذات الله فإنّك تقول: ان الخلائق خارجة من عند الله سبحانه، ولا يختص ذلك بعيسى عليه السلام، والمراد بخروجها الكناية عند حدوثها بفعله سبحانه.

وإن كان «منذ» في معنى الوقت، أي أنّ مخارج عيسى عليه السلام في الوقت القديم وفي وقت الأزل؛ فإن القدم الذي هو مبدأ الاشتقاق؛ له معنى اضافي ومعنى حقيقي، فإنك تقول في الاضافي: إنّ فلاناً قديم بالنسبة إلى فلان والسلطان الفلاني قديم وقدماً ومتأخرون، وكذلك الأزل فلذا يصح أن تقول:

---

(١) العهد الجديد: ٤، الأصحاح الثاني من إنجيل متّى. وفيه: وأنت يابيت لحم أرض يهود... الى أن قال: يخرج مدَبِّر يرعى شعبي إسرائيل.

إن الله جـل وعـلا أزل الآزال، وكان هذا الرّجل فاقداً للعرفيّات مغمضاً عينيه على ما يلوح من مبادئ معاني العبارات.

ودعـوى كـون اللّفظـين ظاهـرين في الحقيقيين يصرفهما واضح البرهان ضـرورة تكـثّر القدماء والآزال المستلزم لتعدّد الآلهة المستلزم للشركة المستلزم للتّركيب المستلزم للحدوث والمستلزم لفساد العالم ﴿**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلا اللهُ لَفَسَـدَتَا**﴾[١]، ومستلزم للدّور أو التسلسل ﴿**لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لاَّبْتَغَوْاْ إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً**﴾[٢].

الآية الخامسة: **ويتبارك فيك وفي نسلك جميع قبائل أهل الأرض.**

أقـول: وكـيف مـا كان الخطاب لـه، فالنّسل الّذين هم أنبياء بركة ورحمة لأهل الأرض من غير إشكال، فالآية المذكورة أجنبيّة عمّا هو بصدده

الآيـة السّادسة: **ها أيّام تأتي يقول الربّ وأُقيم لداود غصن برّ فيملك ملك وينجع ويجري حقاً وعدلاً في الأرض، وهذا هو اسمه الّذي يدعونه الربّ.**

أقـول: المعهـود مـن أحـوال عيسـى عليه السلام أنّـه لـيس بملك وإنّما هو نّبي ورسول، إلاّ أن يراد ملك الرسالة في أوامر الله سبحانه ونواهيه، مع أنّ ظواهر العـبارة مـن كون الغصن لداود... الخ أنّه نبي الله سليمان، ولا تقول النّصارى

(١) الأنبياء: ٢٢.

(٢) الإسراء: ٤٢.

بكونه ربّا أو ابناً لله جلّ وعلا، وعلى كلّ حال فمورد استشهاده باسم الإشارة وما بعده.

وجوابه: إن اسم الإشارة المذكورة يحتمل أن يشار به إلى الرّب القائل ((وأقيم لداود... الخ)) أي أنّ الاسم الذي يدعى به بيا وأي، وغيرهما من أدوات النّداء هو الرّب فيقال: يا ربّنا، أي ربّنا، يا ربّي، أي ربّي ونحو ذلك، وهو الله سبحانه وتعالى الذي يدعى بأسمائه اللفظيّة وغيرهما.

ويحتمل أنّ رجع اسم الإشارة إلى الغصن أو غيره من المخلوقات ان يكون حكايةً عن اعتقاد النّصارى ونحوهم ممّن يدّعي ربوبيّة بعض المخلوقات تبكيتاً عليهم لشركهم وكفرهم بالله، والقرينة على العدول من البناء للفاعل في صدر العبارة إلى بناء ((يدعى)) للمفعول، وعلى كل حال فيبطل الاستشهاد بما ذكر.

الآية السّابعة: أجنبيّة فلا تحتاج إلى الجواب كما لا يخفى.

الآية الثامنة: ومع العظماء يقسم غنيمة من أجل أنه سكب للموت نفسه، وأحصي مع إثمه وهو حمل خطيئة كثيرين وشفع في المذنبين.

أقول: موضع الاستشهاد سكب الموت وحمل الخطيئة، وجوابه قد علم ممّا سبق في تفسير بعض الآيات من معنى القتل أو الموت وحمل الخطيئة، فلا

يحتاج[١] للإعادة في الإفادة إلاّ التكرّير.

الآية التّاسعة: **قد أحاطت بي كلاب جماعة من الأشرار اكتنفتني ثقبوا يدي ورجلي أحصي كلّ عظامي وهم يتفرّسون فيَّ.**

أقول: ظاهر استشهاده بما ذكر للقتل وكيفيتّه ولكن أقول: إنّ عيسى تكلّم بهذا قبل موته أو بعده؟ فإن كان قبل الموت بما ذكر فيقتضي أن يعبّر بما يدلّ على الاستقبال حاكياً عمّا يقع في المثال، لا بالماضي الدّال على الوقوع والانفصال، وإن كان التّكلم بعد الموت والقتل وإن أمكن ذلك معجزةً لعيسى عليه السلام إلاّ أن سوق العبارة خلافه.

نعم يمكن أن يكون الكلام بعد الوقوع وبعد الموت، مع أنّ الظّاهر أيضاً أنّ العمل المذكور للكلاب لا لجماعة الأشرار، ولا يستلزم السّكب للموت.

والحاصل: لا دلالة فيه على ما يزعمون.

الآية العاشرة: أجنبية كما لا يخفى.

الآيات الإنجيلية الدالة على ألوهية عيسى عليه السلام:

آيات الإنجيل [الآية] الأولى: **هو ذو العذراء تحبل وتلد ابناً ويدعون اسمه**

---

(١) في نسخة بدل: حاجة.

عمّانوئيل الذي تفسيره الله معنا(١).

أقول: هذا الكلام قبل الولادة أو بعدها؟.

فإن كان قبلها فيلزمه أنّ الإنجيل قد نزل على غير عيسى عليه السلام فلم يكن(٢) الإنجيل إنجيله ولا كتابه، ويكشف عن ذلك التعبير بالمستقبل.

وان كان هذا الكلام بعد الولادة فهو عبث؛ لأنّه تحصيل للحاصل وبيان للبيّن، مع أنّ المناسب التعبير بالماضي كما لا يخفى، وفيه أيضاً بعض الاختلالات المؤذنة بالتحريف والتغيير.

وأما قوله: ويدعون اسمه... الخ.

فقد عرفت فيما سبق أنه إخبار عن اعتقاد النّصارى لكفرهم بالله جلّ وعلا وشركهم، حيث جعلوا معه إلهاً آخر بدعواهم الباطلة العاطلة ألوهية عيسى عليه السلام، بل قد عرفت فيما مرّ أنّ معنى عمّانو عبد بالعربيّة وأنّ إيل مرادف للفظ الله فيكون مركبّاً من المضاف والمضاف إليه، عبد الله كجبرئيل وميكائيل ونحوهما وضمير تفسيره يعود إلى إيل، فيكون محصّله: أن عيسى عبد إله، معناً أي عبد الله.

الآية الثانية: لا تخافي يا مريم؛ لأنّك قد وجدت نعمةً عند الله، وها أنت

---

(١) العهد الجديد: ٤، ذيل الأصحاح الأول من إنجيل متّى.

(٢) في المخطوط: تكن.

ستحبلين وتلدين ابناً وتسميه يسوع. فقالت مريم للملاك: كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلاً؟ فأجاب الملاك وقال لها: الروّح القدس يحل عليك، وقوّة العلّي تظلّك فلذلك، أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله(١).

أقول: الرّوح القدس جبرئيل، ومعنى ((يحلّ عليك)) يحل ما أشكل على العباد، وحيّر الزّهاد، واضطربت لأجله البلاد ممّا وقع عليك الحمل بلا فحل والولد بلا أب بإظهار معاجزه بالوحي إليه من الله سبحانه، بتكلمه في المهد صبيّاً بأنّه عبد الله ورسوله، وينشر حجّته ببراءة أمّه ممّا قيل فيها، هذا إذا كان يحل بمعنى (فك) المشكل ورفع المعضل.

ويحتمل أن يكون بمعنى الحلول على الشيء تشبيهاً لحلول جبرئيل بحلول الطّير من حيث المواجهة بغتةً والنزول من أعلى مع الطيران، بل يجري هذا المعنى أيضاً مع عدم الطّيران، فيقال: فلان حلّ علينا ونحن جلوس، وجهة الشبهة معلومة، وذلك أنّه لمّا استعظمت مريم ما قال لها الملك لكونه خلاف المعتاد في تخلّق الأولاد؛ أجابها بما يهوّن ذلك الاستعظام، ويرفع ذلك الاستبعاد، فذكر بعضاً، وهو أنّ روح القدس يحلّ عليك، وطوى تمامه، فينفخ فيك بأمر الله من روحه كآدم حين سواه سبحانه صورةً نفخ فيه من روحه.

ويحتمل أنّ المراد بروح القدس هو عقل عيسى عليه السلام، يعني أنّ عقل

---

(١) العهد الجديد: ٩٠ الأصحاح الأول من إنجيل لوقا.

عيسى عليه السلام يحلّ عليك بعدما صوره الله سبحانه في بطنك، وهذه المعاني الثلاثة كلّها صحيحة مطابقة للمنقول عن الوحي الإلهي وممكنة وغير ممنوعة الوقوع في نظر العقل.

وأمّا أنّ الروح القدس هو الله جلّ وعلا فلم يرد به الشرع، والعقل يحيله في المقام كما لا يخفى على ذوي البصائر والأفهام، والكلام في تسمية عيسى ابن الله، كما مر من كونه اعتباراً عن الاعتقاد الفاسد، وبتأويل أُشير إليه فيما سبق، مع أنّه لم يسمع من أهل هذه الدّعوى الفاسدة، ولم ينقل عنهم في توراتهم ولا إنجيلهم المحرفين بأن الله سبحانه خاطب عيسى عليه السلام بيا ولدي أو يا ابني ونحوهما من أدوات النّداء، وكذلك لم يناد عيسى ربّه بيا أبي أو يا والدي، بل كلّما ذكر فيه ابن الله فهو بلفظ يدعى أو يسمّى الكاشف عن كونه من غير الله لا من الله سبحانه، وهذه الدّعوى الفاسدة ليست بعجيبة مستبعدة من ضعفاء العقول، ومعوجي السليقة، وفاقدي البصيرة لما رأوا من عيسى عليه السلام معاجز النّبوة وآيات الرسالة من إحياء الموتى وأنّة يبرئ الأكمه والأبرص ونحو ذلك؛ قالوا ما قد سمعت، وقد وقع نظير ذاك في المسلمين من أقوام يقال لهم الغلاة لعنهم الله، لّما رأوا من سيّدنا ومولانا علي بن أبي طالب عليه السلام من تكليم الموتى وإحيائهم، وتكليم البهائم ونحوها من

المعجـزات قـالوا فـيه: إنّـه الله جلّ وعلا[١]، فتبرأ عليه السلام من اعتقادهم وقتلهم غير مرّة، فلم يرتدعوا بل قالوا: إنّك تقتلنا وتحيينا.

وبالجملـة: فـالقول بأن الله جلّ وعلا قد اتّخذ ولداً أو كان معه إله آخر شـبهة في مقابلـة البديهة، لا تليق أن تسطر في الدّفاتر وتضيّع فيها المحابر، أو أن يصـرف فـيها زمـان، أو أن يوقـف لأجـلها في مكـان، أو يجري ذكرها على لسـان، ولكنّ الابتلاء ببغام النّاس وأنعامهم حيث مالوا إلى ذلك، وصبوا إلى مـا هـنالك؛ هو الدّاعي ليصرف برهة من الزّمان لإيضاح ذلك الفساد وقمع مادة ذلك الاعتقاد، وعلى الله سبحانه التّوفيق للهداية والرّشاد.

الآيـة الثالـثة: **في البدء كان الكلمة والكلمة، كان عند الله، وكان الكلمة الله، والكلمة صارت جسداً وحل بنبينا**[٢].

أقـول: كـان الكـلمة أي كانـت الكلمة أي كونّها الله سبحانه من العدم

---

(١) الملـل والـنحل ١: ١٧٣ ـ ١٧٥، الفـرقة الغالـية، وهـم الذيـن غلـوا في حـق أئمـتهم حتى أخرجوهم من حدود الخليقية، ومن أقسام هذه الفرقة السبئية، وهم أصحاب عبدالله بن سبأ الـذي قـال لعلـي عليه السلام: أنـت، أنت، يعني أنت الإله، وينقل الكشي رواية عن الإمام الباقر عليه السلام أن عـبد الله بـن سـبأ كـان يدّعـي النـبوة ويزعم أنّ أمير المؤمنين عليه السلام هو الله، موسوعة الفرق الإسلامية: ٢٧٧.

(٢) العهد الجديد: ١٤٥، الأصحاح الأول من إنجيل يوحنا.

بعد أن لم تكن، فخلقها اختراعاً وابتدعها ابتداعاً لا من شيء، وهي بعد خلقها عنده في ملكه، كما تقول: إنّ دراهمك عندك، أي في ملكك وتحت سلطنتك، و((كان)) الثالثة بكاف التشبيه الدّاخلة على أن الّتي هي من نواسخ المبتدأ والخبر تنصب الأوّل وترفع الثّاني، ووجه التشبيه أنّه لمّا أظهر الله سبحانه آثار ربوبيّته بهذه الكلمة توهّم عوام النّاس جهة للشبه بين الله سبحانه وبين عيسى عليه السلام فخاطب سبحانه بهذا الخطاب وتكلّم به على مقتضى فهم عوام النّاس، وإلاّ فهو أجلّ من أن يشبهه شيء أو يشبه شيئاً.

وقد عرفت فيما سبق معنى كون عيسى كلمة الله سبحانه، ولا إشكال في ذلك، وأنّها قد لبست لباس الجسديّة في العالم الدّنيوي ولا ضير فيه ولا شاهد لهم به.

الآية الرّابعة: **هو قبل كلّ شيء وفيه يقوم الكل**(١).

أقول: إن كان ضمير ((هو)) يعود إلى الله سبحانه فلا شك أنه قبل كل شيء وفي بمعنى الباء، أي وبالله سبحانه يقوم الكل قيام صدور ولا شك فيه وأمّا بقاؤها على الظّرفية ففيه المفاسد البيّنة غير الخفية(٢) من كون الله سبحانه ظرفاً أو محلاً للحوادث أو متغيّر الأحوال وغيرها، وإن عاد الضّمير إلى عيسى

---

(١) العهد الجديد: ١٤٥، الأصحاح الأول مثله.

(٢) في المخطوط: الغير الخفية.

عليه السلام فهو قبل كل شيء قبلية إضافيّة لا قبلية حقيقية، ضرورة أنّه مسبوق في الوجود عن من هو أشرف منه وأعلى، ولا بدّ أيضاً أن تكون (في) بمعنى الباء أي بعيسى عليه السلام يقوم الكل ممّن تبعه واقتفى أثره في أديانهم، واعتقادهم فيقومون به قيام استقامة واعتدال في الأقوال والأفعال، والاعتقاد بوحدانيّة الله سبحانه، وأنّه لا يشبهه شيء ولا يماثله شيء، ولا يضادّه شيء، ولا ينادّه ولا يساويه شيء، أحد متوحدّ، وأزل متفرّد، خلق ما خلق من غير شريك ولا وزير، ولا يعاون في تدبير صوّر فابتدع على غير مثال ولا تكلّف ولا احتيال بل أنشأها فكانت، وبراها فبانت، سبحان من انحطّت الأفهام عن إدراكه وعجزت العقول عن كنه معرفته، من غير فرق بين عيسى وغيره من أنبيائه ورسله وملائكته، والكل قاصر عاجز بالضّرورة البديهيّة أنّ الشيء لا يتجاوز مبدأه، إذ الشيء لو تجاوز مبدأه لم يكن المبدئ مبدئاً كما لا يخفى، وغير الله سبحانه جلّ وعلا إمكان أو في الإمكان، ولا يكون شيء منه في الأزل من غير فرق بين عيسى عليه السلام وغيره، والأزل أزلاً وأبداً، ولا يكون شيء منه في الإمكان ضرورة استحالة انقلاب الحقائق، فكيف يكون له ولد(١)، وإلاّ لكان موروثاً هالكاً أو يكون معه إله، وإلاّ ﴿**لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهِ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى**

---

(١) في المخطوط: ولداً.

بَعْضٍ﴾[١].

الآية الخامسة: **ونعلم أنّ ابن الله قد جاء وأعطانا بصيرةً لنعرف الحق.**

أقـول: المتكـلم بهذا الكلام إما الله جلّ وعلا أو عيسى عليه السلام أو غيرهما من تبعة عيسى، كأوصيائه أو غيرهم ممنّ يتسمّى بالتبعيّة، ولم يكن كذلك.

أمّـا الأوّل: فبـيّن الفسـاد، ضرورة أنّ الحق عند الله[٢] فكيف يحتاج جلّ وعـلا إلى غـيره في معـرفة مـا هو عنده ومن عنده؟! إن هو إلاّ وسواس شيطان نعوذ بالله منه.

وأمّـا الـثاني: فـيلزمه ارتفـاع المغايـرة بـين المعطـي (بالكسر) والمعطى (بالفـتح) والـتغاير بينهما ضروري، فلو ارتفعت المغايرة لكان التكلّم به لغواً عبثياً، يجلّ رسول الله عيسى عليه السلام عن مثله.

وأمّـا الثّالـث: فهـو وإن أمكـن إلاّ أنّ الغلط وسهو القلم والغفلة غير مسـتبعد في لفظـة «ابن» بدل «نبي» فسقوط الياء وتقديم الباء على النون مع زيـادة الهمـزة، والأصل: «ونعلم أنّ نبي الله» والغلط في مثل ذلك مأنوس غير مستبشـع، فـلمّا رآه من لا بصيرة لـه؛ توهمّه ما ذكر، بل هو كثير الوجود في النّسخ، فتكون أصل النسخة مغلطة وينسخ عليها نسخ متعدّدة كذلك ولذلك

---

(١) المؤمنون: ٩١.

(٢) في نسخة: من عند الله.

ترى كثيراً من النسخ المطبوعة من هذا القبيل، ولا ينكر ذلك إلاّ من لا خبرة له.

وأمّا الرّابع فلا عبرة بهم فضلاً عن أقوالهم واعتقاداتهم .

الآية السادسة: **ولهم الآباء، ومنهم المسيح حسب الجسد الكائن على الكل إلهاً مباركاً إلى الأبد.**

أقول: أي أنّ الله جلّ وعلا خلق لهم الآباء ومنهم المسيح، ويجوز أن يكون حسب الجسد تابعاً للآباء أي خلق لهم الآباء حسب الجسد، وذلك لأن ما سوى الجسد؛ من المجردّات أو ليست متولّدة من هذه الآباء المعهودة الجسدانيّة، وان كانت لهما من جنسها فأبو[١] العقل الجزئي؛ العقلي الكلّي، وأبو[٢] الرّوح الجزئية، الروح الكليّة، وكذلك النّفس والطبيعة والمادّة والمثال والجسم، وذكر عيسى عليه السلام بالخصوص لرفع توهمّ كونه ليس ذا أب مخلوق، والكائن صفته لفاعل ((خلق)) الّذي هو الله سبحانه، ولا شك أنّ الله سبحانه كائن إلهاً على الكل إلى الأبد، فعلى هذا التفسير القريب لا تكون في الآية شهادة على شيء ممّا يقولون.

الآية السّابعة: **انتم أبناء الأنبياء والعهد الّذي عاهد الله به آباءنا قائلاً لإبراهيم عليه السلام : وبنسلك تبارك جميع قبائل إليكم إذا قام الله يسوع أرسله**

---

(١) في المخطوط: فأب.

(٢) في المخطوط: وأب.

ليباركڪم.

أقـول: خلـو هـذه الآيـة مـن الاستشـهاد بيّن ظاهر، ولا شك أنّه بنسل إبراهـيم عليه السلام يتـبارك جمـيع قبائل الأرض، بل جميع المخلوقات، كيف لا ومن نسله سيد الكائنات ورئيس المخلوقات وصفوة إله الأرضين والسماوات محمد صلى الله عليه وآله بـن عـبد الله بن عبد المطلّب بن هاشم؟ نبي الرحمة وسراج الظلّمة منبع العلـوم والأسـرار، ومدمّـر الكفّـار، شمـس الوجـود، وبـاب الله إلى الخلـق في الغيوب والشّهود، صاحب المعجزات والآيات البيّنات، الّذي جنوده وأعوانه وخدمـه ملائكـة السـماوات صلى الله عليه وآله عـدد السّـاعات، نعـم تحصيل بركة جزئية إضـافية في عيسى عليه السلام ومثله غيره أيضاً من الأنبياء، وأمّا عموم البركة الكليّة فهي كما عرفت لصاحب الدلائل الكليّة والمظاهر الرّبانية.

الآية الثامنة: أجنبيّة إلاّ قولـه: فيها تسود على الأمم ويكون رجاء الأمم.

أقـول: والسـيّادة لعيسـى عليه السلام وكونـه رجـاءً للأمـم صـحيح، لكـنّهما إضافيات، كما يدل عليه البيان والبرهان.

الآيـة التّاسـعة: فحينئذٍ أخـذ بيلاطس يسـوع وجلـده وظفـر العسكر إكليلاً من شوك، ووضعوه على رأسه[1].

أقول: الجلد لا يستلزم القتل، ولا وضع الشوك للموت به، كمالا يخفى.

---

(١) العهد الجديد: ١٨٣، الأصحاح التاسع عشر.

الآيـة العاشـرة: **وصلبوا معه لصّين، واحدٌ عن يمنيه والآخر عن يساره، فتم الكتاب القائل، وأحصى مع اثمه، فكانت السّاعة الثّالثة فصلبوه**[١].

أقـول: الصّلب لا يستلزم الموت بـه، وهـذا كلـه مجاراة ومماشاة معهم [لـيس] إلاّ ففـي الواقـع ونفـس الأمـر أن عيسى عليه السلام لم يصلب ولم يمت به، وإنّمـا أُلقـي شـبهه عـلى شـاب غيره، فصلب ومات بالصّلب كما حكاه الله سـبحانه في قـرآن نبيّنا محمّد ﷺ، ومنه تعلم نفيه في قولـه تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾[٢] الآية، وذلك أنّ المروي بأنّ عيسى عليه السلام، وعد أصـحابه لـيلة رفعـه الله تعـالى إلـيه، فاجتمعوا[٣] عليه السلام عند المساء، وهم اثنا عشـر رجـلاً فأدخلهم بيتاً ثمّ خرج عليهم من زاوية البيت[٤] وهو ينفض من رأسـه المـاء فقال إن الله سبحانه أوحى إليّ أنّه رافعي في هذه السّاعة ومطهّري مـن الـيهود فـأيّكم يلقى عليه شبحي فيقتل ويصلب ويكون معي في درجتي؟ فقـال شـاب مـنهم: أنا يا روح الله، فقال عيسى عليه السلام أنت هو، ثمّ قال عيسى

---

(١) العهد الجديد: ١٨٤، الأصحاح التاسع عشر.

(٢) النساء: ١٥٧.

(٣) في المصدر: إليه.

(٤) في المصدر: من عين في زاوية البيت.

لهم بعد كلام له في الإخبار بالمغيبات[1]: أما إنّكم ستفترقون بعدي على ثلاث فرق، فرقتين مفتريتين على الله سبحانه في النّار، وفرقة تتبع شمعون صادقة على الله سبحانه في الجنة، ثمّ رفع الله تعالى عيسى إليه من زاوية البيت، وهم ينظرون إليه، ثمّ جاءت اليهود في طلب عيسى عليه السلام من ليلتهم فأخذوا الرجّل الّذي قال له عيسى عليه السلام[2]... الخ، وأخذوا الشّاب الّذي ألقي عليه شبح عيسى فقتل وصلب... الخ.

اختلاف اليهود في أمر عيسى عليه السلام:

أقول: يدلّ على ذلك غيره من إخبارات أهل الحقّ والصدق، بل ومن صدّق بنبوّة محمّد بن عبد الله ورسالته وقرآنه الّذي أنزل الله عليه، لا يمكنه إلاّ اعتقاد كذب صلب عيسى عليه السلام وقتله، بل الواجب اعتقاد أنّه قد مات ورفعه الله إليه إلى درجته، ومنزله مع النبيّين في الجنّة، كما نطقت به بآية أخرى من قرآن نبيّنا محمد صلى الله عليه وسلم، وهي قوله تعالى: **﴿يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ﴾**[3] الخ.

---

(١) في المخطوط: بالمغايبات.

(٢) تفسير القمي ١: ١٠٣، في تفسير سورة آل عمران.

(٣) آل عمران: ٤٧.

وقد أقمنا في السّابق البراهين العقلية والشواهد الوجدانيّة بحقيّة نبوّة محمّد ﷺ، وأنّ شريعته ناسخة لشريعة عيسى، فلا عذر لليهود ولا للنّصارى في ترك التّدين بدينه وشريعته، مع أنّ اليهود في أنفسهم اختلفوا في شأن عيسى عليه السلام، فبعضهم يقول: صلب وقتل تعويلاً على ذلك، وقال بعضهم: إن كان المقتول عيسى عليه السلام فأين صاحبنا؟ وقال بعضهم: الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا، وقال قوم: إنّه رفع إلى السّماء، وقال قوم: صلب النّاسوت وصعد اللاّهوت، وتردّد فيه قوم آخرون، فإذا كانت اليهود اختلفوا كما سمعت، وكان بعضهم منكرين وبعضهم متردّدين وبعضهم قائلين: إنّ الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا الذي هو المشتبه بعيسى، كما حكاه الله سبحانه في قرآن نبيّنا ﷺ، فكيف لا تصرف آية الإنجيل إلى ذلك كما لا يخفى؟

الآيات القرآنية الدالة على بشرية عيسى عليه السلام :

والعجب ممّن يفهم من الآيات القرآنية المذكورة في الجدول ألوهيّة عيسى وكونه ابناً لله جلّ وعلا، مع أنّها خالية من الإشارة والإشعار، فضلاً عن الدلالة حتى تحتاج إلى التّأويل، وثمّ يذكر منه ما كان دالاً على حدوث عيسى عليه السلام بالدلالة الصّريحة، كما في قوله تعالى حكاية عن مريم: ﴿أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاء إِذَا قَضَى أَمْرًا

﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾(١) وأيّ دلالة أصرح وأبين على الحدوث منها ـ وبعد هذا ـ من الآية المذكورة حكاية عن عيسى: ﴿إِنَّ الله رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَـذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ * فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى الله قَالَ الْحَوَارِيُّونَ﴾(٢) الخ؟ فانظر كيف حكم عيسى بأنّ الرب هو الله لا غير، وحكم أيضاً بكفرهم لخلافهم ذلك، وقال الله تعالى بعد ذلك: ﴿يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾(٣) فحكم الله أيضاً بكفرهم لخلافهم له، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ الله كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾(٤) وأيّ دلالة على الحدوث لعيسى عليه السلام ونفي الرّبوبيّة عنه أصرح وأبين من ذلك؟

وقال تعالى أيضاً بعد ذلك: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ الله وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ الله﴾(٥).

---

(١) آل عمران: ٤٧.

(٢) آل عمران: ٥١ ـ ٥٢.

(٣) آل عمران: ٥٥.

(٤) آل عمران: ٥٩.

(٥) آل عمران: ٦٤.

وهـل يمكن لأحدٍ إنكار دلالتها على اختصاص الرّبوبيّة والعبوديّة بالله ﴿يَـا أَهْـلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾، و﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِـمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ * وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْـلِ الْكِـتَابِ آمِـنُواْ بِـالَّذِيَ أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُواْ آخِرَهُ لَعَلَّهُـمْ يَرْجِعُونَ﴾[١]، و﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[٢]، و ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَاللهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ * قُلْ يَا أَهْلَ الْكِـتَابِ لِـمَ تَصُـدُّونَ عَـن سَبِيلِ اللهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَاء وَمَا اللهُ بِغَـافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِـتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾[٣] إلى آخر ما بعدها من الآيات الأربع ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم﴾[٤]، ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاء ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْاْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾[٥]، ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ

---

(١) آل عمران: ٧٠ ـ ٧٢.

(٢) آل عمران: ٧٥.

(٣) آل عمران: ٩٨ ـ ١٠٠.

(٤) آل عمران: ١١٠.

(٥) آل عمران: ١٨٧.

وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلّهِ لاَ يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَـئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾(١) ودلالتها بالمفهوم، أي أنّ البعض الآخر لا يؤمن كذلك، فيكون ذلك البعض كفّاراً.

وبالجملة فقرآن نبينا محمّد ﷺ ينادي بأعلى صوته يسمعه كلّ مستيقظ بأنّ اليهود والنّصارى كفّار مشركون على الإطلاق، وبعض آياته مبيّنة لجهة شركهم وكفرهم من حيث اعتقادهم ألوهيّة عيسى عليه السلام وربوبيّته، وأنّه ابن الله جلّ وعلا، فمن صدّق بنبوّة محمّد ﷺ وقرآنه لا يمكنه اعتقاد ما عليه اليهود والنّصارى من كفرهم وشركهم البيّن الصّريح الواضح.

وقد أقمنا فيما سبق من البراهين العقلية والشواهد الوجدانيّة العيانيّة المعيّنة لنبوّة محمد ﷺ ورسالته المطلقتين ما يقصم ظهر المعاند، ويعمي عيني الحاسد، ويكمد الحاقد ويرد الشاك والمرتاب إلى الحق الثابت الراكد الخالد، وكلّ ميسرّ لما خلق له.

وبالجملة فإن أنصف الخصم ورضي بما سطرناه من تفسير التّوراة والانجيل فهو، وإلاّ فالتحريف والتّبديل فيها لا محيص عنه **﴿ولات حين مناص﴾**(٢)، لما مر من الضّرورة والبداهة العقليّة على بطلان تلك التوهمات

---

(١) آل عمران: ١٩٩.

(٢) ص: ٣.

وفساد تلك الاعتقادات الّتي هي وساوس الشيطان وعمارة النّيران.

فإياك ثمّ إياك أيّها المسلم المعتقد بنبوّة محمّد ﷺ ورسالته وقرآنه أن تسمع تلك الزّخارف والتّمويهات الّتي غرضهم أن يخدعوك بها ويردّوك كافراً، إذ قد عرفت فيما سطّرناه من آيات قرآن نبينّا ﷺ مباينتها لما ذكروا من آيات التوراة والإنجيل، وإلاّ فهم لا يعتقدون نبوّة محمد ﷺ ولا يدينون بدينه، فكيف يعتقدون قرآنه ويجعلونه دليلاً، وإنّما الغرض خداعك وإضلالك عن دينك فاحذر كل الحذر من أهل الحيل والمكر والغدر. فإن كنت رجلاً وانكشفت لك الاستار والأدبار، وتعلّى عندك النّهار فهو، وإلاّ فنمحو عنك ظلمة اللّيل والاعوجاج والانحراف بطلوع صبح الحق الثّابت القار فنقول:

أنّ تولد عيسى من الله جلّ وعلا هل هو كمال الله أو نقص فيه؟ فإن قلت: إنه كمال فلِمَ اقتصر على مولود واحد ولم يتولّد منه أكثر منه؟

فإن قلت: انّ الاقتصار على الولد الواحد أكمل، قلت لك: يكفّ بك الوجدان بأن تكثّر الأولاد أكمل من الاتّحاد، مع أنّ عيسى لم يكن له نسل ولا أولاد، وهو نقص آخر أيضاً في الله سبحانه وتعالى حيث انقطع نسله وخفي ذكره.

فإن قلت: إنّه عجز عن تكثّر الأولاد والنّسل.

قلت لك: العاجز لا يكون ربّا ويا بئسه من ربّ عاجز.

فإن قلت: إنّه يكفي في الربّوبّية مسمّى الكمال بتولّد الواحد لا غير.

قلت لك: مع أن الكفاية دعوى خالية عن البرهان، كما ترى أنّ القوي يقهر الضّعيف من حيث القوّة، والكثير يغلب من حيث الكثرة، والمستمر المتّصل يستولي على الفاني المنقطع، أنّ الأكثر دواماً والأقوى اتّصالاً والأشد استمراراً أكمل من قليل الدّوام وضعيف الاتّصال ومنقطع الاستقرار، والتعدّد أكثر في العزّة والامتناع من الاتّحاد في المخلوق.

فإن قلت: بالنّقص الّذي هو الشق الثّاني، قلت لك: قد خصمت نفسك، إذ رضيت فاعترفت أن ربكّ ناقص.

فإن قلت: إنّا لا نعرف الكمال ولا النّقص ولا يدرك ذلك عقلنا، وإنّما نقول بما نطق به الوحي في التّوراة والانجيل من التولّد، كما سمعته في آياتهما المتقدّمة.

قلتُ لك: إنّ تلك الآيات مكذوبة محرّفه كما مرّ بيانه واتّضح برهانه، مع أنّك لا تقدر على إنكار احتمال التّحريف، ولا تستطيع أنت وجميع من تبعك على سدّ بابه ومنع إمكانه، فإذا جاء الاحتمال والامكان للتّحريف لزمك عقلاً بمقتضى صناعة الاستدلال إن كنت من أهله أن تقيم البراهين القطعيّة اليقينّية على كون تلك الألفاظ هي منطوق الوحي الإلهي من غير زيادة ولا نقصان حتّى تكون من توراة موسى وإنجيل عيسى على نبينا وآله وعليهما الصّلاة والسلام، وأن تقيم أيضاً البراهين القطعيّة اليقينية على انّ مفاد تلك الألفاظ وما يفهم منها هو مراد الله جلّ وعلا لا غير، الذي أفاد ذلك الغير ومصاديقه كثيرة، كأن تكون رمزاً إلى شيء أو إشارة إلى شيء أو

كناية عن شيء أو متأوّلا بها إلى شيء، إلى غير ذلك من المرادات الّتي يقصدها المتكلّم من كلامه، ولا يمكنك أن تسد هذا الباب وتمنع هذا الاحتمال إلاّ بمثل ما ذكر من البراهين.

فإن قلت: إنّ الحكم بمدلولات ظواهر الألفاظ وإلغاء خلافها ممّا لا يتناكر ولا يتدافع وقد جرت عليه طريقة أهل اللسان في جميع اللّغات من البدء وإلى الختم.

قلت: هو كذلك لا مطلقاً، بل إذا لم يحكم عليها ما هو أقوى منها من دلالة عقلية تعيينيّة أو ضرورة أو قرائن نطقيّة أو حاليّة، ومع وجود أحدها ترفع اليد عن وجود تلك الظّواهر إلى الأقوى المذكور، وهذا هو الّذي جرت عليه السيّرة والطّريقة من العقلاء وأهل اللسن كلا وطرّاً.

ومع الجهالة بوجود الحكم في الاحتمال يتوقّف بالنّسبة إلى الواقع ويتعبّد بمدلولات الظّواهر الظنّية في الموارد الّتي يصح بها التعبّد، لا مثل ذات الله جلّ وعلا وتنزيهه وتوصيفه، فلا يركن ولا يصار إلى عقل بديهي أو ضرورة أو يقين حيث إنّ ذلك من العقائد الّتي لا تكون دلالتها إلاّ كذلك، فالمواد الظنيّة والوهمية والشكيّة لا مسرح لها ولا مجرى في العقائد الأصليّة الدينية، أترى أنّك لو ركنت إليها واتخذتها ترضى أن تقول: أنا في شكّ من ديني أو على وهم أو ظن، أو يقال فيك كذلك؟ فأنت حينئذٍ على غير يقين من دين النصرانيّة، فإذا كنت على غير يقين من دينك فكيف تعارض من هو

على يقين، بل على ضرورة بديهيّة من صحّة دين الإسلام وبطلان دين النّصرانيّة؟

فإن قلت: إنّك على يقين من صحّة دين النّصرانيّة، فأين براهينك اليقينيّة، وإن هي إلاّ ظواهر ما زعمته من التوراة والإنجيل؛ وقد أريناك عياناً وكشفنا لك وجداناً حال ظواهر الألفاظ وسوانحها وعوارضها إنّها في نفسها من حيث نفسها لا تكون إلاّ ظنيّة، وكيف تكون المقدمات ظنيّة والنتائج يقينيّة؟ إن هو إلاّ جزاف واعتساف، ثمّ أنّ جميع ما ذكر على تولّد عيسى عليه السلام من الله تعالى من النّقض والحل جارٍ في ألوهية عيسى حرفاً بحرف.

ونزيد هنا أيضاً بياناً للفساد فنقول:

إنّ ألوهيّة عيسى عين ألوهية الله جلّ وعلا أو غيرها؟ فإن كانت عينها فليس هناك إله ثانٍ، وإنّما هو سرد ألفاظ بلا معانٍ، وإن كانت غيرها؛ فأرنا مملكة الإله الثّاني ومألوهه.

فإن قلت: إنّه بلا مألوه، وملك بلا مملوك ولا مملكة.

قلت: قد أخرجت نفسك من ديوان العقلاء فضلاً عن العلماء، حيث التزمت بانفراد أحد المتضايفين(١) بالوجود دون الآخر، فيوجد الابن دون

---

(١) المتضايفان: الاثنان إن كانا وجوديين فإن كان تعقل كلّ منهما بالقياس إلى الآخر ☜

الأب وبالعكس والعلّة بدون المعلول وبالعكس، واللاّزم بدون الملزوم وبالعكس.

فإن قلت: إنّما يكون التّضايف في ألوهيّة الإله الثّاني وربوبيته الفعليتين دون ما إذا كانتا له بالقوّة والشأنيّة.

قلت: قد خرجت عن مفروض المسألة من العينيّة إلى الغيريّة، ضرورة أن الشّأنيّة والقوّة غير ما بالفعل.

فإن قلت: إنّ لكلّ من الإلهين شأنيّة وفعليّة، فإن كانت الألوهيّة الفعليّة للإله الثّاني كانت الألوهيّة الشّأنية للأوّل، وإن كانت الفعليّة للأوّل كانت الشّأنيّة للثّاني، فشأنيّة الأوّل عين شأنيّة الثّاني وبالعكس، وفعليّة الأوّل عين فعليّة الثّاني وبالعكس.

قلت: فعلى هذا تكون الألوهيّة بمعنييها كالثّوب لزيد يلبسه فيخلعه فيلبسه عمرو، فإذا خلع الإله الأوّل تلك الألوهيّة المنكوسة ولبسها الثّاني كان

فهما المتضايفان. شرح حكمة العين: ١٢٦، وشرح المصطلحات الفلسفية: ٣١٥.

وبعبارة الشيخ المظفر ﵀ الوجوديان اللذان يتعقلان معاً ولا يجتمعان في موضوع واحد من جهة واحدة ويجوز أن يرتفعا. كالتقابل بين الأب والابن والفوق والتحت... المنطق للشيخ محمد رضا المظفر: ٥٣.

الإلـه الأوّل مألوهاً ومربوباً للإله الثّاني وبالعكس، ولكن هل كانت الرّبوبيّة قد خلعها بنفسه أو خلعها الإله الآخر؟ فإن كانت قد خلعها بنفسه أو خلعها الآخر برضاه؛ فكيف يمكن أن يرضى أن يكون مألوهاً ومربوباً بعد أن كان إلهاً وربّـا؟ وكذلـك في العكـس، وإن كان الخلع لعجز القيام فالعاجز لا يكون ربّا أبداً.

ثـم إن كان الإلهان قديمين والألوهيّة كذلك فقد تعدّدت القدماء والآزال فتخصـيص أحدهمـا بالألوهـيّة تشهٍ[١] وترجيح من غير مرجحٍ، وإن كان كل منهما إلهاً، بطلت العينيّة المفروضة وجاءت الغيريّة.

فإن قلت: الألوهيّة عينيّة منبسطة فيهما، كالشمس المنبسطة على إناءين أو شيئين.

قلت: فهي حينئذٍ جزءان، ضرورة تقوّم الحال بالمحل وتقيّده به، كما ترى أنّ الشـمس في المـثال قـد امتازت وتقيّدت بمحلّيها، وإن دخلك وهم في ذلك فانظـر إلى نور الشّمس المشرق على الأحمر والأصفر والأخضر، كيف اختلفت أجزاؤها وانفعلت بمحالّها، فكانت حينئذٍ الألوهيّة الّتي تزعمها منفعلة متغيّرة بمحالّها، ويا بئسها من ألوهيّة وربوبيّة متغيّرة منفعلة.

---

(١) في المخطوط: تشهي.

فإن قلت: إنّ الألوهية لله جلّ وعلا مغايرة لألوهية عيسى عليه السلام.

قلت: قد اشتركا في صفة الألوهيّة وحقيقتها، وإنّ الألوهيتين حقيقتان متباينتان؛ فعلى الأوّل تكون الألوهية كليّة توجد في فردين، فهي من حيث الحقيقة غيرهما.

فإن قلت: فلم يكن هذا على كلّ من الفردين إلهاً حقيقيّاً، وإنّما كل واحد منهما فرد من الإله، فيكون ثلاثة الفردان والألوهيّة. وحينئذٍ فنقول: هل الفردان مخلوقان لتلك الألوهية أو قديمان أزليّان؟ فإن كانا قديمين أزليّين فليسا ربيّن ولا إلهين، بل ولا قديمين ولا أزليين، إذ كلّ صفة ذاتيّة للإله فهي منفيّة عنهما؛ لأنّ ذات الشيء لا تنفك[1] عنه ولا توجد في غيره، وإلا لم يكن ذاتيّاً. والألوهيّة والرّبوبيّة والقدم الوجوبي والأزليّة كلّها صفات ذاتية عينيّة للإله تغايرت لفظاً لا مصداقاً، و[لا] مفهوماً، بل كلّ منهما يكون عين الآخر في المقامين. لدليل التمانع والفرجة والتركيب الذي كلّ من الثّلاثة نافٍ للتعدّد، كما لا يخفى.

فإذا انتفت عنهما تلك الصّفات فلا مناص عن كونهما مخلوقين مربوبين، أي أوجدهما الله جلّ وعلا وخلقهما بعد أن لم يكونا شيئاً أصلاً

---

(١) في المخطوط: لا ينفك عنه، ولا يوجد في غيره.

فإذا كانا حادثين ممكنين فالعقل البديهي يحيل كون الحادث فرداً للقديم الواجب فلا يكونا[١] مصداقاً أصلاً، ضرورة أنّ فرد الشيء ومصداقه هو عين ذلك الكلّي مع زيادة التّشخص، ومفاسده لا تخفى كاقتران الحادث بالقديم وتغيّر القديم إذ لم يكن له في القدم فرد ولا مصداق، فكان له ذلك بعد خلقهما، وكون القديم جزء الفرد لتركبّه من كلّيه والتشخّص، وكإنقلاب الحقائق من نزول الواجب إلى الممكن أو صعود الممكن إلى الوجوب، وتحديد الإله بحدود التشخّص، وتناهي إله بتلك الحدود وغير ذلك من صفات العجز والاحتياج والنّقصان المنزّه عنها خالقها وباريها.

هذا كلّه على تقدير اشتراك الألوهيّتين في الحقيقة، وأمّا على تقدير تباينهما وتخصيص الاشتراك في اللّفظ، فاللاّزم الّذي لا ينفك عن المتباينين عدم احتياج أحدهما للآخر، وعدم تبعيّة احدهما كذلك واتّحاد الصّقع من حيث التّباين، وأنت هل ترضى من نفسك أو يرشدك وهمك إلى أن ألوهيّة عيسى عليه السلام غير محتاجة إلى الله عزّ وجلّ ولا مفتقرة إليه ولا مملوكة له ملكيّة رقيّة وملكيّة طاعة؟ مع أنّه يكذبك أيضاً ما سطر من المزخرفات في التّوراة والإنجيل، وحينئذٍ فدعوى الألوهيّة لعيسى عليه السلام إفك وبهتان، ويجري هنا أيضاً

---

(١) في المخطوط: فلا يكونان.

بعض المفاسد المارّة على الاشتراك المعنوي.

وممّا ذكرنا أيضاً على اشتراك الألوهيّة معنى بين الله جلّ وعلا وعيسى عليه السلام ومع التّباين كلّه يتمشّى في الصّفات الأخرى من القدم والأزليّة والربوبيّة، وغيرها كما لا يخفى، فإلى متى وكم ومتى وقد تعالى الصّبح وتعلّى النّهار، وانكشفت الأستار وانكمدت الأغيار، بشروق شمس الحق الثّابت، القار بوحدانيّة الملك الجبّار وتفرّده بالألوهيّة والرّبوبيّة والأزليّة وغيرها من صفاته الذاتيّة والكماليّة والجلاليّة والتنزيهية ذاتاً ووصفاً وأفعالاً ومعبوديّة.

وكذا قد تربّع قمر نبوّة النبيّ المختار ﷺ وملأت أنوار رسالته جميع الأقطار، وجرت ينابيع معجزات نبوّته وآيات رسالته في البراري والقرى والأمصار، وأينعت ثمار دينه وفواكه شريعته في نابتات الإنسان فيما مضى من الأوان، وما استقبل من الزمان، فلم يبق لدين النّصرانيّة محل ولا مكان، ولا لغيره من سائر الأديان، وسيحكم الله سبحانه، وهو العدل الّذي لا يجور، وإليه تصير الأمور.

الرد على ما جاء في الفصل العاشر من الباكورة :

وقال أيضاً في الفصل العاشر ما حاصله:

إنّ القرآن يطابق ما في التوراة والإنجيل من كون عيسى عليه السلام جوهراً من جوهر الله جلّ وعلا، وذاتا من ذاته، حيث عبّر عن البشارة به ﴿بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾ و﴿بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ على غير نمط البشارة بغيره من الأنبياء كما لا يخفى، وما ذاك

إلاّ لكون عيسى أحد كيان الله، وأنّه مولود من الله تعالى هذه خلاصة قوله.

أقول: قد ذكرنا فيما سبق شرائط استخراج مرادات المتكلمين عن كلامه، فلا حاجة في الإعادة، والنّكتة في التّغاير بين متعلّق البشارتين، إذ عبّر في عيسى بالرّوح والكلمة، وفي غيره باسمه أو وصفه أو كونه رسولاً أو نبيّاً، إنّ غير عيسى عليه السلام سيولد على المعتاد ولا غرابة في الاستيلاد ولا جهالة، وإنّما الغرابة والجهالة في الأوصاف والنّبوة والرسالة، ولذلك بشّرت سارة بأصل التولّد، حيث كان خلاف المعتاد، لكبرها وخروجها عن زيّ الحمل، وكذلك إبراهيم كما ترى أنّه لمّا قال تعالى: ﴿**فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِن وَرَاء إِسْحَقَ يَعْقُوبَ * قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَاْ عَجُوزٌ وَهَـذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَـذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ**﴾(١).

ولمّا كان تولّد عيسى عليه السلام على خلاف المعتاد من التولّد من الآباء والأمّهات عبّر عنه بالرّوح والكلمة، أي أنّه روح من عند الله، وكلمة من عند الله، ولا غضاضة ولا استبشاع في مثل ذلك التّعبير، فإنّك تقول رزقي من الله، وقوتي من الله، وحياتي من الله، وولدي من الله، وغير ذلك من النّعماء والآلاء، أي من عطائه وإيجاده وإحداثه، وقد تقدّم معنى كون عيسى عليه السلام

(١) هود: ٧١ ـ ٧٢.

كلمة الله وروحه، فراجع[١].

وبالجملـة فقـد ظهر فساد كون عيسى عليه السلام جوهراً من جوهر الله وذاتاً من ذاته كما هو جليّ واضح.

الاستدلال على أفضلية عيسى عليه السلام على جميع الأنبياء عليهم السلام:

وقـال أيضـاً صاحب الكتاب في الفصل المذكور: إنّ عيسى عليه السلام أفضل من غيره من جميع الأنبياء محمد صلى الله عليه وآله وغيره.

واستدلّ على ذلك بستة أدلة: أربع من القرآن واثنين من الحديث.

الأولى: إنّه يدعو عيسى المسيح كلمة الله وروحاً منه، ومحمداً صلى الله عليه وآله رسولا من الله تعالى، وعلى كلّ حال روح الشّخص أفضل من رسوله بما لا يقاس.

أقـول: والجـواب عـنه يعـلم ممّا في الصفحة اليسرى من هذه الورقة من النّكتة في التعبيرين فلا نعيده[٢].

قال: البينة الثانية ولادته على خلاف الطبيعة... الخ.

أقـول: قـد مرّ في المقام الرّابع[٣] ممّا قبل الفصل الثّالث ما هو صريح في

---

(١) تقدم في المقام الرابع: بيان عقيدة الثالوث الأقدس: ٩٩.

(٢) تقدم تحت عنوان (الرد على ما جاء في الفصل العاشر) ص١٧٧ وتقدم في المقام الرابع: ٩٩.

(٣) تقدم في صفحة: ٩٩ فما بعد.

الجواب ونصّ في الرّد عند أُولي الالباب.

قال: الثالثة عمله معجزات لم يسبقه فيها قبله ولا خلفه نبيّ أو مرسل.

أقول: إنكاره ونفيه للمعجزات عن الأنبياء والرسل غير عيسى عليه السلام إمّا على جهة العموم والإطلاق، أي لم يقع ولم يصدر شيء من المعجزات لا واحدة ولا أكثر منها من غير عيسى عليه السلام، أو أنّ النّفي والإنكار لخصوص بعض المعجزات، بمعنى أنّ المعجزة الّتي أتى بها عيسى عليه السلام لم تقع ولا وقعت من غيره.

وعلى الأوّل يكون اعتقاد هذا الرّجل ومذهبه تصديق مدّعي النبوّة والرسالة من غير معجزة يأتي بها على تصديق دعواه، فلو ادّعى اليوم النبوّة والرسالة من غير معجزة يصدّقه في دعواه، بل لو ادّعى اكثر من واحد لعدم الفرق بين الزّمان الماضي وهذا الزمان، وان المراد الشقّ الثّاني، أي أن المعجزة الّتي أتى بها عيسى عليه السلام لم يأت بها غيره، فكذلك أيضاً غيره من الأنبياء أتى بمعجزات لم يأت بها عيسى عليه السلام.

ألم تكن العصا في يد موسى عليه السلام ثعباناً؟ ألم تلقف عِصيَّ سحرة آل فرعون وحبالهم؟ ألم ترجع بعد ذلك عصا كحالها الأولى؟ وعيسى عليه السلام لم يأت بشيء من ذلك، وأيضاً ألم يضرب موسى البحر بعصاه، فكان طريقا يبساً بين

أساسين من ماء؟ ألم يكن[١] الأساسان اللّذان من الماء شبابيك حتى ترى كل قبيلة مرت في الطريق القبيلة الأخرى، ولم يأت عيسى عليه السلام بمثل ذلك، ألم يسر بساط سليمان عليه السلام وعيسى عليه السلام لم يأت بمثله؟

ألم تكن نار نمرود على إبراهيم عليه السلام برداً وسلاماً، ولم يأت عيسى بمثل ذلك؟ وغير ذلك من معجزات الأنبياء.

وأمّا معجزات نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله الدّالة على نبوّته فهو ينكر أصل النبوّة، فكيف يعترف بالمعجزة، ولو فتح عينيه لرآها أوضح من الشّمس، وأبين من الامس؛ كانشقاق القمر[٢] وحنين جذع النّخلة[٣]، وتسبيح الحصى[٤] في كفّه وإطعامه الخلق الكثير من الطعام القليل[٥]، وغيرها من معجزاته صلى الله عليه وآله الّتي تواتر نقلها في جميع الطّبقات يداً عن يد؛ كوجود مكّة المشرّفة والهند عند من لم يرهما.

فظهر حينئذٍ بطلان قوله: ((**لم يسبقه ولا خلفه فيها نبيّ أو مرسل**)).

---

(١) في المخطوط: تكن.

(٢) مناقب آل أبي طالب ١: ١٠٦، فصل في معجزات أفعاله صلى الله عليه وآله.

(٣) مناقب آل أبي طالب ١: ٨٠، فصل في نطق الجمادات.

(٤) مناقب آل أبي طالب ١: ٨٠، فصل في نطق الجمادات.

(٥) مناقب آل أبي طالب ١: ١١٤، فصل في إعجازه صلى الله عليه وآله، وص: ٨٩، فصل في تكثير الطعام والشراب.

الـرّابعة: عدم التّصريح والتّلميح بأنّ المسيح آثم في شيء ما، ومع أنّ القرآن يذكـر اسـتغفار أعـاظم الأنبـياء كـنوح عليه السلام وإبراهـيم عليه السلام وموسـى عليه السلام وسليمان عليه السلام وغفـران الله لهم وغفـرانه لمحمّد صلى الله عليه وسلم مـا تقدّم مـن ذنبه وما تأخّر ووضـع عـنه وزره الّـذي انقـض ظهـره في سـورة الفـتح، وفي سـورة ألم نشـرح، ولم يذكـر قـط أنّ المسـيح اسـتغفر ربّـه استغفاراً مـا، أو أنّ ربّـه غفـر لـه، فيتضـح مـن ذلـك أنّ المسيح عليه السلام شخص متفرّد لا محالة عن الأنبياء كافّة بالذّات والكمال وأفضلهم جميعاً.

أقـول في الجـواب: إنّ عـدم وجدان التّصريح والتّلميح لا يدل على [عدم] وجـوده؛ لمعلومـيّة أنّ عدم الوجدان لا يلزم منه عدم الوجود في الواقع، إلاّ أنْ يكـون المدّعـي للعـدم، النّافي للوجود واقفاً على باب فوّارة الوجود، بحيث لم يخرج منها للغيب والشّهود إلاّ بواسطته، فيتأتى له النّفي المذكور.

بيان عصمة الأنبياء عليهم السلام:

وأمّـا استغفار الأنبياء فلا يلزم منه كونه عن مخالفة أوامر الله سبحانه أو ارتكـاب نواهـيه حـتى يحصـل الإثم، بل إنّما كان استغفارهم لتركهم الأولى الجائـز، وبيان ذلك من شاهد لا يجهل أنّ التّابعين للسّلطان مختلفون متفاوتون في القـرب والأقربـيّة، وليسـت الأقربـيّة إلاّ بأقوائـيّة الخدمـة وجامعيتها باطناً وظاهـراً أقوالاً وأفعالاً واعتقاداً فإذا كان شخص جامعاً لجميع جهات الأقربيّة فهـو أهـل ومحـل الاختصـاص، فيتّخذه السّلطان خاصة لـه وخالصة لـه دون

القريب، وان كان خاصة في الجملة بالنّسبة إلى من دونه؛ لكنّه ليس بتلك الدّرجة ولا بتلك المنزلة الّتي حازها واختّص بها الأقرب التي هي الوزارة المطلقة، فإذا فعل الأقرب الّذي هو صاحب مثل خدمة القريب كان تاركاً لمقتضى درجته ورتبته فهو فاعل الخلاف الأولى في الخدمة، وإن جاز له فهو يعتذر ويستغفر السّلطان من سلوكه واشتغاله بخلاف مقتضى درجته ورتبته، كما أنّ الوزير المطلق للسّلطان إذا ترك تدبير المملكة وتعديل أحوال الرّعايا يوماً من الأيام أو ساعة من الساعات واشتغل بخياطة ثوب للسلطان، أو صنع مأكوله يكون ناقصاً في تلك الحالة بالنّسبة إلى الحالة الأولى، تاركاً للأولى من رتبته ومنصبه، مع أنّه في تلك الحالة في خدمة السّلطان وفي طاعته ليس مخالفاً ولا آثماً.

وكذلك الأنبياء والرّسل إذا اشتغلوا في أحوال معاشهم ومأكولهم وملبوسهم ونومهم ونحو ذلك ممّا يقويهم على طاعة الله تعالى وعلى خدمته فإنّهم يعدّون هذه الحالة ذنباً ونقصاً فيهم بالنسبة إلى حالة الخدمة والطاعة، بل الطّاعات متفاوتة في الأهمية عند الله سبحانه، فغير الأهم من الطاعات إذا اشتغلوا به وتركوا الأهم يكون بالنسبة إلى الأهم نقصاً ويعدّونه ذنباً يستغفرون الله منه، ولا قبح في ذلك ولا عيب فيه؛ لأنّ الأنبياء لّما رأوا وعلموا أنّ الله سبحانه أهل للطّاعة والعبادة والخدمة كانت وظيفتهم ومقتضى درجتهم ومنزلتهم الاشتغال في جميع آناتهم وأوقاتهم وأصعبها وأشقّها على

نفوسهم، فهم يستغفرونه ويتوبون إليه إذا اشتغلوا عن ذلك بغير الأَشق وغير الأصعب، وهذا شيء يعلم بأدنى التفاوت في أحوال التّابعين مع المتبوعين.

فإن قلت: إن حقيقة الاستغفار هو طلب المغفرة، وحقيقة المغفرة أن تكون عن الذّنب الحقيقي الّذي هو مخالفة أوامر الله وارتكاب نواهيه؛ وما ذكرت من الوجهين معنى تأويلي مجازي، لا يصار إليه إلاّ بدليل يصرف عن الحقيقة إليه.

قلت: إنّ صدور الذّنب الحقيقي من الأنبياء يوجب عدم الفرق بينهم وبين رعاياهم، فإذا صدرت الذّنوب من كلّ من الأنبياء والرّعايا، فبم[١] يمتاز كلّ من الأنبياء عن الرّعايا؟! إذ تخصيص الأنبياء والرّسل بالنّبوة والرّسالة تشهٍّ[٢] وترجيح من الحكيم العليم المطلق بلا مرجّح، فلا يكون حكيماً، إذ الحكمة هي وضع الأشياء في محالها، أو أنّه جاهل بمحلّ النبوّة والرسالة، إذ الكلام على فرض صدور الذّنوب والمعاصي من الأنبياء ورعاياهم.

فإن قلت: بالفرق بين الأنبياء والرّسل.

قلت: «الفرق بين النبوة والرسالة والمرسل وبين رعاياهم بكثرة

---

(١) في المخطوط: فبما.

(٢) في المخطوط: تشهي.

الذنوب والمعاصي في الرعايا وقلّتها في الأنبياء والرّسل».

قلت: النبوّة والرسالة نور وأمانة من الله سبحانه وتعالى، وكيف يمكن أو يعقل أنّ الله سبحانه العالم الحكيم يجعل أمانته عند من يضيّعها أو يلغيها؟ لأنّ الأمين إذا فعل الذّنب والمعصية فقد خالف أوامر المؤتمن ونواهيه، فتضيع الأمانة، فجعْلُه أمينا يكون عبثاً ينزّه عنه فعل الحكيم العليم ولو فيما عصي به، وأيضاً المعصية والذّنب نجاسة باطنيّة، ولا يمكن أن يضيّع الحكيم المطلق العالم المطلق بنبوّته[١] ورسالته اللذين هما نورٌ مطلق في آنية نجسة.

فإن قلت: إن الله سبحانه وتعالى يعلم أنّه لا يخلو أحد من البشر من ذنب ومعصية، ولاحتياج النّاس إلى الأنبياء والرّسل يجعل الله سبحانه أقلّهم معصية نبياً ورسولاً، وجزاء ذلك غفران ما يفعله من المعصية القليلة.

قلت: فهل يقدر الله سبحانه وتعالى أن يسدّد بعض النّاس ويؤيده، حتى لا يهمّ بمعصية فضلاً عن حصولها لأجل حصول غرضه من الطّاعة والانقياد، فيجعل ذلك البعض أنبياء ورسلاً أو لا؟

وإن أطلت الكلام في هذا المقام وقلت: إنّه يرجع إلى التشّهي والتّخصيص والتّرجيح بلا مخصّص ولا مرّجح.

---

(١) في نسخة بدل: نبوته.

قلت: قاعدة إمكان الأشرف واستحالة الطّفرة في الوجود هما المرجحان والمخصّصان، فيرتفع التشهي ويكون كون النبوّة والرسالة مع التّأييد والتّسديد على مقتضى العلم والحكمة، ولعلّك تحتاج إلى بيان قاعدة إمكان الأشرف واستحالة الطّفرة، ولكّني انبهّك على ما تعلمه ولا تقدر على إنكاره؛ وهو أنّه ليس هنا أجسام مضيئة صافية وأجسام مظلمة غاسقة كالبلّور والحجر مع اشتراكهما في الجسميّة وكالسماء والأرض مع اشتراكهما أيضاً في الجسميّة، وكالكواكب والجبال مع اشتراكهما في الجسميّة، وكالنّور والظّلمة، وكالمجرّدات مثل العقل والروّح والنّفس، وكالماديّات مع الاشتراك في المخلوقية، وكالملائكة والشياطين، وكالجنة والنار، وكالماء العذب الفرات والماء المالح الأُجاج، وغير ذلك، فهل تقول: إنّه قد خلق الله سبحانه هذه الأشياء تشهيّاً وترجيحاً من غير مرّجح؟ أو إنّه خلقها على مقتضى الحكمة من المزيّة الذّاتية في المتقدّم، المفقودة في المتأخّر، بحيث يعطي سبحانه كلاّ من الكمال وضدّه، والصّفاء وضده والتقدّم والحسن والقوّة والاختصاص به ونحو ذلك وأضداد ما ذكر على مقتضى قابليّة الشيء وأهليّته، حتى لا يكون لمحتج حجّة ولا لقائل مقالة، والناس من هذا القبيل فيهم الأنبياء وفيهم الرّعايا.

ولنضرب لذلك مثلاً من الأمثلة المتقدّمة ونقول: عقل الإنسان وجسده، فترى الصّفاء في العقل والقوّة والفهم والمتبوعيّة للجسد وغير ذلك من الصّفات الذاتية الحسنة والفعلية، كذلك وترقيّاته منازل ودرجات عند الله سبحانه بأعماله الحسنّة بما لا يناله الجسد ولا يبلغه، ويكفيك أنّه تحت

سلطنته يتصرّف فيه بما يشاء ويحب، وما في الجسد من الأوساخ والكدورات يجلّ عنها العقل وينزّه عنها، وليس ذلك إلاّ من جهة قاعدة إمكان الأشرف واستحالة الطّفرة في الوجود والعقل مثال الأنبياء، والجسد مثال الرّعايا؛ فالأنبياء قد جمعت جميع الصّفات الكماليّة الذّاتية والفعليّة من الطّاعة والانقياد لله سبحانه، والكرم والسخاء والعفّة، والتقى والورع ونحو ذلك من الأخلاق والأوصاف الحسنة الجميلة المحمودة بما يمكن أن يكون عليها نوع الإنسان طاهرون مطهّرون من الأدناس الباطنيّة والظاهرية عرضيّة أو ذاتيّة في غيبهم وشهادتهم، ومن الأخلاق الذميمة الّتي عليها رعاياهم كلاّ أو بعضاً، فجاهدوا أنفسهم لله وخالفوا أهواءهم لله سبحانه، وشغلوا أوقاتهم في طاعة الله وعبادته، فهم مع رعاياهم بأجسادهم في عرصة المكان وسفينة الزّمان، وأرواحهم معلّقة بالمحلّ الأعلى صعوداً وعلواً، وبذلك اختصّهم الله سبحانه لنفسه، واصطفاهم للنبوّة واجتباهم للرّسالة على علم منه بذلك، فيرتفع التشهّي والتّرجيح والتّخصيص من غير مرجّح ولا مخصّص كما ترى.

ثمّ إنّك إذا قلت بصدور الذّنب والمعصية من الأنبياء أو كان ذلك جائزاً عليهم فيمتنع عليك وعلى جميع رعاياهم التّديّن بدينهم، أو تصديقهم فيما يحكونه عن إلهم ضرورة عدم الفرق بين ذنب مخالفة أوامر الله سبحانه ونواهيه، وبين ذنب الكذب والافتراء على الله فيما يحكونه عنه، وذنب كذب

التدّين بأنّه دين الله سبحانه الذي أراده من أنبيائه. فتجويز القدح في الأنبياء بذلك إبطال للأديان وإبطال(١) للشّرائع، فالنّاس على هذا بهائم لا تكليف عليهم كما لا يخفى.

على أنّه لو صدرت الذنّوب فلا يخلو إمّا أن يكون حالهم كحال رعاياهم بالنسبة إلى الذّنوب الصادرة عنهم، أو إن حالهم مغاير لرعاياهم.

وعلى الأول فمن ولي تأديب الأنبياء وتعزيرهم؟ ومن ولي إقامة الحدّ عليهم؟ فإن كان الولي بعض الرّعايا الذي لم يأت بمثل ذلك الذّنب حتى يكون وليّاً على الأنبياء بالنّسبة إلى ذنبهم، وعلى المذنبين من الرّعايا بمثل ذنب الأنبياء؛ لم تكن النبوّة رئاسة عامة للدّين والدّنيا، بل هي رئاسة في الجملة، ولذلك الرّجل الذي من الرّعايا رئاسة في الجملة، فالنّبي مرؤوس في الجملة، فيعود الكلام حينئذٍ إلى العبثيّة والتشهي في فعل الحكيم، حيث اختّص بعضاً بالنبوة وبعضاً بالتبعيّة للنبي ﷺ.

وأمّا أنّ الحكيم لا يسأل عمّا يفعل فهو صحيح؛ لمعلوميته(٢) أنه لا يفعل إلاّ على وجه الحكمة الّتي هي وضع الأشياء من الأعراض والجواهر في محالّها، مع أنّه قد يذنب ذلك الرجل المذكور ذنباً مماثلاً لذنب النبيّ ﷺ، فيكون

---

(١) في نسخة بدل: إنكار.

(٢) لمعلومية/ ظ.

الولـي علـيهما رجلاً آخر من الرّعايا لم يقع منه مثل ذلك، وهكذا بأن يذنب الرجلان المذكوران ذنباً مماثلاً لذنب ثالث من النبيّ ﷺ فيكون الولي عليهم رجـلاً ثالـثاً مـن الـرّعايا لم يقـع منه مثل ذلك الذّنب، وهكذا رابع وخامس وسـادس مـن الـرّعايا وهلم جرّاً، حتى يكون الرعايا كلّهم أولياء على النبيّ، فهـل تـرى أنّـه يرضى أو يحتمل الرّضا بذلك من فاهم عاقل فضلاً عن العالم الحكـيم، مـع أنّـه لا شكّ ولا ريب أن الذنب والمعصية منكر؟ فمن يجب عليه الـنهي عـن ذلـك المـنكر الّذي فعله ذلك النبيّ ﷺ على زعمك، وليس إلاّ رعايـا ذلـك الـنّبي؟ وحينـئذ إذا وجب عليهم النّهي المذكور وجب على ذلك الـنبيّ ﷺ طاعـتهم فـيكون مرؤوسـاً بعـد أن كان رئيساً، وتابعاً بعد أن كان متبوعاً.

وأمّـا على الثّاني، أي أنّ حال الأنبياء في ذنوبهم ومعاصيهم مغاير لحال الـرّعايا بـأن يكـون جـزاء نبوتهم العفو عن ذنوبهم ومعاصيهم، أو أن العفو عـن ذلـك من باب التفضّل والتكرّم عليهم بالخصوص لا من جهة الجزائيّة، فنقول حينئذٍ في الجواب:

إنّ فعـل الطّاعـة وتـرك المعصـية من القادر المختار إمّا أن يكون لغرض محمـود محـبوب عند العقل والعقلاء أو لا لغرض أصلاً، أو لغرض غير محمود ولا محبوب عندهما، أو لغرض مذموم مبغوض عندهما.

أمّـا الأخير فهو مستحيل؛ ضرورة حصول المدح على فعل الطاعة وترك

المعصـية عـند العقـل والعقـلاء لا مـثل فعـل المعصـية وتـرك الطّاعة المترتّب عليهما الذّم والمبغوضيّة المذكوران.

وأمّـا الّـذي قَبـيله فهـو من فعل البهائم والمجانين دون العقلاء البالغين المخـتارين، بل إذا كان الغرض غير مذموم ولا مبغوض ولا محمود عند العقل والعقـلاء يكـون لا لغرض أصلاً، فيكون من القسم الثّاني الّذي هو من فعل العبث واللهو واللّعب، بل فعل الطّاعة وترك المعصية إذا لم يقصد بهما جهة راجعة إلى المولى لم تكن الطّاعة طاعة بالفعل ولا طاعة بترك المعصية. كما ترى أنّ الفـاعل لصـورة الطّاعـة ذهـولاً ونسـياناً لا يدخـل في عـداد المطـيعين بالضرورة، ومنه تعرف الجواب عن الثّاني، فيتعيّن الأوّل هذا بالنّسبة إلى فعل الطّاعة وترك المعصية.

وأمّـا بالنسـبة إلى فعل المعصية سواء كان بترك الواجب أو بفعل الحرام ومحصـلّه التّكلـيف بـه مـن الله سـبحانه؛ لأنـه يقول لنبيّه: قد أوجبت عليك الشـيء الفلانـي، وحرّمـت علـيك الشيء الفلاني، وإذا عصيتني وخالفتني يا نبـيّ في ذلـك بـأن تركـت مـا أوجبـته عليك، وفعلت ما حرّمته عليك؛ فقد عفـوت عـنك ولم أعاقـبك عـلى ذلك، أو أنّه لا يخبره بالعفو، ولكنّه سبحانه وتعـالى عالم به علماً مقارناً لإيجاب ذلك الواجب وتحريم ذلك الحرام، وحينئذٍ

فنقول: إنّ هذا جار في جميع تكاليف الأنبياء أو في بعضها غير[١] المعيّن عند الأنبياء مع كونه معيّنا عند الله، أو غير معيّن عنده تعالى أيضاً، أو معيّن عنده غير معيّن عند الأنبياء، أو معيّن عنده وعند الأنبياء،

ويرد جميع الصّور المذكورة ويبطلها أنّه يلزم بأنّه سبحانه قد رضي من الأنبياء بترك الخدمة له وعدم عبوديتهم له في الكل والبعض والضرورة يكون حالهم على هذا أسوأ من حال الرّعايا إن كان الرّضا المذكور، من حيث عدم أهليتهم وعدم قابليتهم للخدمة والعبوديّة كالبهائم والأطفال والمجانين، وإن كان الرّضا المذكور لارتفاع درجتهم ومنزلتهم على درجة الخدمة والعبودية، فيرده:

أولاً: إنّهم لم يكونوا مخلوقين لله تعالى ولا مربوبين له ضرورة أنّ كل مخلوق ومربوب له في درجة الخدمة والعبوديّة وإن اختلفت وتفاوتت مراتبها في أعلاها وأدناها، فإذا لم يكونوا مخلوقين ولا مربوبين فيكونوا قدماء أزليّين وإذا كانوا كذلك لم يكونوا مكلّفين ولا مأمورين لله سبحانه ولا منهيّين، فلا ذنب منهم ولا معصية، فلا موضع للعفو عنهم أجمعين، بل ولا طاعة منهم لله سبحانه ولا ثواب لهم عليه، لكون الطّاعة فرض التّكليف المنفي.

---

(١) في المخطوط: الغير.

وثانياً: إن جميع الخطابات المتوجّهة إليهم من الله تعالى بالتكاليف الوجوبيّة والتّحريميّة وإخوتهما[١] تكون عبثاً[٢]، لعدم إرادته سبحانه وتعالى لمداليلها الحقيقيّة والمجازيّة.

فإن قلت: إنهم مخلوقون مربوبون لله وفي درجة التكليف أيضاً، ولكن تكليفهم خاص منفرد عن تكليف الرّعايا، وهو خصوص وجوب التّبليغ لأحكام الله إلى الرّعايا ولا تكليف على الأنبياء بها وإن شملهم عموم الخطابات بها؛ لأنّه صوري لأجل توطين الرّعايا، على العمل بها، وعملهم ببعضها أو كلّها لأجل التّوطين أيضاً.

قلت: إنّ هذا وهم وسواسي واحتمالي شيطاني تنفيه وتبطله ضرورة أهل الملل، وبداهة أهل الأديان، من كون الأنبياء مكلفين ومأمورين ومنهيّين من الله سبحانه وتعالى كرعاياهم، ولذلك يستحقوّن الثواب بفعل الطّاعة باعتراف الخصم، وكذا بترك المعصية، فلا ينبغي أن يذكر هذا الاحتمال في كتاب، ولا يتعرّض له بجواب.

وثالثاً[٣]: إنّ هذه التّكاليف الثّابتة على الرّعايا هل هي مقرّبة إلى الله

---

(١) أي الاستحباب والكراهة.

(٢) في نسخة بدل: عبثية.

(٣) في المخطوط: وثانيا.

سبحانه أو مبعّده عنه، فإن كانت مقرّبة فلا يمكن أن يبخل بها الله سبحانه على أنبيائه، وإن كانت مبعّدة فكيف يكلّف بها الرّعايا.

فإن قلت: إنا نتمسّك بصدور الذّنوب والمعاصي من الأنبياء بالأدلّة اللّفظيّة المصرّحة باستغفارهم وعفو الله سبحانه عنهم ونحوها ممّا يفيد ذلك.

قلت: لا شك أنّ خلقة الأنبياء وخلقهم واعتدال طبيعتهم وصفاء عقولهم توجب مشاهدة البصر والبصيرة منهم كون معصية الله سبحانه ناراً محرقة، وهل تجد أحداً ذا بصر يرى النار الدّنيويّة، فيلقي نفسه فيها إذا كان عاقلاً؟ فالأنبياء حالهم بالنّسبة إلى الذنوب والمعاصي كحال أحدنا بالنسبة إلى النّار الدّنيويّة، والأدلّة اللفظيّة المذكورة مؤوّلة مصروفة عن حقائقها الظّاهرية بالأدلّة المارّة العقليّة، والشواهد البديهيّة إلى مثل ما تقدّم من ترك الأولى أو غيره ممّا لم نذكره، وهو وجوه متعدّدة كلها صحيحة، ولسنا بصدد ذكرها وتفصيلها[1]. وكم من لفظ صرف عن ظاهره إذا وجدت القرائن على عدم إرادته، وأمّا أنّ الله سبحانه وتعالى أهل للتكرّم بالعفو عن الذّنوب، والمجازي بالعفو فهو صحيح، لكن فيما نحن بصدده كما عرفت.

---

(١) كثير من الكتب ألفت حول عصمة الأنبياء عليهم السلام وتطرقت لما يتوهم منافاته من الآيات القرآنية لذلك من أهمها: تنزيه الأنبياء للشريف المرتضى.

الاستدلال بالروايات على أفضلية عيسى عليه السلام على جميع الأنبياء عليهم السلام :

قال: **وأمّا الحديث الأوّل: ما جاء به في كتاب الحديث للإمام مسلم في الجزء الخامس عن محمّد صلى الله عليه وسلم أنّه قال يوماً لعائشة: ما من مولود يولد لابن آدم إلاّ نخسه الشيطان عند ولادته، فيستهل صارخاً من نخسة الشّيطان، إلاّ ابن مريم وأمّه**(١).

أقول: إنّ هذا الحديث: قاصر الدّلالة عن المدّعى؛ لأنّ ((يولد)) فعل استقبالي وحقيقة وقوع مدلوله في حال النّطق وما بعده، والمتكلّم به نبيّنا محمّد صلى الله عليه وسلم، وليس في زمانه ولا فيما بعده أحد من الأنبياء، وعلى هذا فمعنى الحديث أنّه من حين تكلّم نبيّنا صلى الله عليه وسلم به إلى ما بعده يكون النّخس المذكور للمولود، ووقت ولادة نبيّنا محمد صلى الله عليه وسلم، وولادة جميع الأنبياء سابق متقدّم عليه، فلو أراد العموم لعبّر بمثل ((ولد)) أو ((لم يولد)) أو ((ولد)) ((ويولد)) كما هو واضح، وليس في ألفاظ الحديث ما يفيد العموم غير الاستثناء الدال بحقيقية على الاخراج بعد الدخول، وهو وإن كان لابن مريم وأمّه انصراف إطلاقي للنبي عيسى عليه السلام وأمّه مريم بنت عمران، لكنّه ليس بحاقيّ حقيقي فيهما حتّى يحصل التّعارض بينه وبين الفعل الاستقبالي.

---

(١) صحيح مسلم ٤: ١٨٣٨، ب (٤٠)، فضائل عيسى عليه السلام، ورد الحديث عن أبي هريرة، ح ٢٣٦٦.

ويحتمل أن يكون ابن مريم وأمّه سيولدان بعد ذلك، على أنّه لو سلّمنا العموم، فالنّخس المذكور لا يلزم منه صدور الذّنوب من الأنبياء؛ لأن حال الولادة الدّنيويّة لم تتوجّه إليهم التّكاليف المولوية الإلزاميّة، وكذا لا يلزم كون عيسى بن مريم وأمه أشرف من غيره من الأنبياء لتعدد النّسبة قبل الاستثناء وهي ثلاث: النخس والاستهلال والصّراخ؛ لوقوع الخلاف في مرجع الاستثناء، هل هو الجميع أو الأخيرة أو الأولى؟ لأنّه في قوّة قولك: إنّ كلّ مولود ينخسه الشيطان عند الولادة، وكلّ مولود يستهل، وكلّ مولود يصرخ عند الولادة. فلعلّ ما أن الاستثناء راجع إلى خصوص الأخيرة، أي إلاّ ابن مريم وأمّة فإنّهما لم يصرخا.

وإن أبيت عن ذلك فالقرآن الشريف مصرّح بأنّ الشيطان لا سبيل له على الأنبياء كما في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ**﴾(١) وقال تعالى حكاية عنه: ﴿**لاغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ**﴾(٢) ولا شكّ أن الأنبياء من المخلصين والذين لا سلطان له عليهم، بل الآيتان دليلان [على] عدم صدور الذّنوب والمعاصي من الأنبياء، بل على بعض احتمالات الحديث، وهو رجوع الاستثناء إلى الاستهلال يفيد

---

(١) الحجر: ٤٢.

(٢) ص: ٨٢ ـ ٨٣.

كـون غير عيسى وأمّه من الأنبياء أشرف منه، أي أنّ غير عيسى وأمّه إذا نخسه الشّيطان كبر الله سبحانه حتى يطرده، وعيسى وأمّه ليس كذلك، فتأمّل.

مـع أنـه يحـتمل أنّ نخس أي نحس بالحاء المهملة، يعني أنّ مولوداً ينحسه الشّـيطان أي يعاديه، فيتحصّن عنها بالتكبير لله جلّ وعلا صارخاً إليه، إذ هو سـبحانه الملـتجأ للأقـرب إليه والقريب والقريب لا يستغني عند أحد إلاّ ابن مريم وأمّه مع استهلالهما بالتكبير لـه لم يكن على وجه الصّراخ الّذي هو رفع للصّـوت، بـل صوت أخفض من ذلك؛ فالفرق بينهما وبين غيرهما في كيفيّة الاستهلال.

فإن قلت: إنّ رفع الصّوت بالاستهلال أبلغ في الالتجاء إلى الله سبحانه، فكيف يتركه نبي الله عيسى عليه السلام؟!

قلـت: الاشـتراك في الالـتجاء واقع من الجميع، ولا يلزم من المبالغة فيه بـرفع الصّـوت لـبعض عدمهـا من جهة أُخرى لبعض آخر[١] وإن لم تذكر في الحديـث، إذ لعلّهمـا أتيا بكيفيّة أُخرى للمبالغة في الالتجاء إلى الله سبحانه لم يـتعرّض لهـا الحديـث المذكـور، مـع أنّ المعـروف من محاورات أهل اللّسان في النّسـب الخـبريّة والإنشـائية عـدم شمولهـا للمتكلّمين بها، فلا يشمل الحديث

(١) في المخطوط: الآخر.

المذكور نبيّنا محمداً ﷺ، فيبطل الاستدلال به على أفضليّة عيسى عليه السلام عليه.

قال: الثانية: ما روي في كتاب الإمام الغزالي (الجزء الثالث) في وجه كذا أنه لمّا ولد عيسى بن مريم أتت الشياطين إلى إبليس فقالت: قد أصبحت الأصنام منكسة الرؤوس، فقال حادث قد حدث مكانكم، فطار حتى أتى خافقي الأرض فلم يجد شيئاً ثمّ وجد عيسى عليه السلام قد ولد، وإذا بالملائكة حافّين به، فرجع إليهم فقال: إنّ نبياً قد ولد البارحة ما حملت أنثى قط ولا وضعت إلاّ وأنا حاضرها إلاّ هذا، فأيسوا أن تُعبد الأصنام بعد هذه اللّيلة ولكن ائتوا بني آدم من قبل العجلة والخفّة (١) .

أقول: هذه الحكاية لإبليس وشياطينه وما أدري هل الإمام الغزالي سمعها من أحدهما أو نقلها إليه أحد الأنبياء عن أحدهم؟ وعلى كلّ حال فإن كان إبليس صادقاً فيما يقول؛ فالوجدان مكذّب له، ضرورة أنّ وجود عبادة الأصنام في زمان عيسى عليه السلام وما بعده إلى زمان نبينا محمد ﷺ الذي نفاها لشياطينه بقوله: فأيسوا أن تعبد الأصنام، وإن كان كاذباً فلا يصح الاستشهاد بكلامه، على أن تنكّس الأصنام عند ولادته ليس مختصّاً به، وكم من نبيّ تنكست الأصنام عند ولادته، ولكنّها ﴿**لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ**

---

(١) إحياء علوم الدين ٣: ٢٨، في بيان تفصيل مداخل الشيطان إلى القلب.

الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾(١).

وبالجملة فهذا الرّجل بترويج باطله كتشبث الغرقان بأذيال الضّفادع. على أنّا قد أقمنا البراهين المارة على أفضليّة نبينا محمّد ﷺ على جميع الأنبياء، عيسى وغيره، مع أنّ هذا الرّجل يتوهّم أنه بإنكاره استغفار عيسى لله دون غيره من الأنبياء قد رفع درجته مستعلياً على جميع النبيين حتى نبيّنا محمّد ﷺ، ولكنّه في الحقيقة يتنقّص له، بل قدح فيه يفهمه ذو البصيرة وأهل البصائر.

عدم الاستغفار لا يثبت الأفضلية:

وبيان ذلك: إنّه هل يمكن لعاقل فاهم حكيم أن يقول: إنّ عيسى عليه السلام قد أتى الله تعالى بحقيقة العبوديّة وقام لله سبحانه بحقيقة الخدمة الأوّليّة بحيث قد خدمه وعبده كما هو أهله.

وبيان ذلك: إنّ نعم الله سبحانه والآءه الظّاهريّة والباطنيّة لعيسى عليه السلام الابتدائية والاستمراريّة والتجديديّة ممّا لا تنهض خدمة عيسى عليه السلام لله بجزائها، فهل ترى أنّ عيسى عليه السلام يقدر أن يقول لله سبحانه: قد خدمتك وعبدتك جزاءً بقدر إنعامك وآلائك عليّ، بحيث لم يكن لك عليّ زيادة فضل

---

(١) الحج: ٤٦.

ولا صنع تكرّم ولا مسامحة عفو وصفح، حاشا وكلاّ أن يخطر ذلك ببال عيسى عليه السلام، فضلاً أن يتفوّه به، إذ من هيأ له أسباب الخدمة، ومن المالك لتلك الأسباب وأعطاه آلتها؟ ومن أعانه على الخدمة؟ ومن دفع عنه موانعها؟ ومن رفع عنه الشّواغل عنها؟ ومن دلّه عليها؟ ومن أعطاه القوّة عليها من ابتدائها إلى انتهائها؟ ومن حفظه وكلاه من ابتدائه في الخدمة إلى منتهاه؟ ومن حفظ الخدمة وكلاها من ابتدائها إلى منتهاها؟ وكذا في أجناسها وأنواعها وفصولها، قريبها وبعيدها، وأصنافها وأشخاصها، ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا﴾[١] مع أنّ جميع ما ذكر يجري لكلّ فعل من أفعال عيسى عليه السلام الظّاهريّة والباطنيّة والقوليّة، كما أنّ أصل تكوّنه كذلك، فلا يستقل ولا يستغني عن الله سبحانه طرفة عين في جوهره وأعراضه وأعراض أعراضه[٢] إلى منتهى وجوداته، وكلّه تفضّل وتكرّم عليه من الله سبحانه وتعالى وامتنان، فلا شكّ أنّه يرى نفسه قاصراً عن القيام بالجزاء، ولا بدّ أن يطلب من الله سبحانه وتعالى العفو والصفح على الدّوام والاستمرار بلسان الحال والقابلية، ولسان المقال كغيره من الأنبياء، وليس ذلك نقصاً فيه ولا فيهم بل هو كمال وترقٍّ في الكمال، وشرف وافتخار، وعلو في الشرف والافتخار، وانقطاع إلى الملك الجبّار في الاعتراف بحقيقة الافتقار، ولا ينكره إلاّ الجاهل القاصر الذي يعود معه الكلام

---

(١) إبراهيم : ٣٤.

(٢) في المخطوط: واعراض واعراضه.

إلى الفضول والنّقص في العقول.

قال: فهذه القضايا السّت في صفحتكم الدّينيّة جدير بها أن ترفع عيسى عليه السلام درجات فوق محمّد صلى الله عليه وآله ... الخ.

أقول: قد عرفت مفصّلاً أنّ هذه القضايا السّت لا تجدي طائلاً ولا تغني سائلاً، والمسلمون غير محتاجين إلى أن يعلّمهم نسبة نبيّهم محمد صلى الله عليه وآله إلى عيسى عليه السلام في الأفضلّية والأشرفية، إذ قد علم من ضرورة مذهب الإسلام وبداهة دينه، وتواتر الرّوايات عن النبيّ صلى الله عليه وآله محمد أنّه سيّد النّبيين وصفوة المرسلين، وحبيب ربّ العالمين، وخيرة الله من جميع المخلوقين والمصطفى من جميع البريّة أجمعين، وأقرب الموجودات إلى الله عزّ وجلّ، وقد أعطاه الله سبحانه وتعالى الولاية الكبرى والسلطنة العظمى على جميع من سواه من جميع العوالم، ممّا قبل الّدنيا وفي الدّنيا وفي الآخرة، ونبي الله عيسى عليه السلام وزير من جملة وزرائه، وليس المقام ممّا يناسب بسط البرهان، وقد سبقت إليه الإشارة لذوي الافهام والاذهان(١).

بيان منزلة الأنبياء عليهم السلام:

ثمّ إنّ النّجوم رجوم للشّياطين تطردهم بأنوارها عن استراق السمع من الملائكة المقرّبين، مع أنّ النّجوم لمعة من لمعات نور سيد النبيّين محمّد صلى الله عليه وآله الّذي هو العبد الحقيقي لإله العالمين، وأيضاً نبينّا محمّد صلى الله عليه وآله نور خالص من

---

(١) تقدم ذلك في المقام الثاني/٧١.

شوب الظلمة في جميع أحواله واكداره وأدواره وأطواره، والشياطين ظلمة خالصة من شوب النّور ولا يمكن اجتماع الضّدين في محلّ واحد(١)، وأيضاً نبيّنا محمد ﷺ حق والشّياطين باطل، وإذا جاء الحقّ زهق الباطل(٢).

وأيضاً نبيّنا محمد ﷺ من أعلى علّيين، وأرفع المنازل والدّرجات والشّياطين من دركات سجّين أسفل سافلين، ولا يمكن ان يحوم الأسفل حول الأعلى، فضلاً [عن] أن يصل إليه.

وأيضاً نبيّنا محمّد ﷺ حزب الله سبحانه وإبليس وجنوده أعداء الله عزّ وجلّ، وحزب الله هم الغالبون(٣)، وحزب الله هم المفلحون(٤).

وأيضاً نبيّنا محمّد ﷺ مقبل إلى الله من بدئه إلى منتهاه، وإبليس والشياطين مدبرة عن الله سبحانه من البدء وإلى الختم، ولا يمكن أن يجتمع المقبل مع المدبر وأيضاً نبيّنا محمّد ﷺ قد أسكنه الله في حرمه الآمن من بدئه

---

(١) الضدان: أن يكون كلّ واحد منهما يبطل الآخر إذا التقيا أو اجتمعا، أوهما: أمران وجوديان يتعاقبان على موضوع واحد وبينهما غاية الخلاف ويكونان داخلين تحت جنس قريب. شرح المصطلحات الفلسفية: ١٨٦.

(٢) إشارة الى قوله تعالى: ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل﴾. الإسراء: ٨١.

(٣) إشارة الى قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ الله هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ . المائدة: ٥٦.

(٤) إشارة الى قوله تعالى: ﴿إِنَّ حِزْبَ الله هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ . المجادلة: ٢٢.

إلى منتهاه[١] وإبليس ـ لعنه الله ـ وشياطينه قد طردهم وأبعدهم من البدء وإلى الختم عن حرمه وعن جواره، فلا يقدرون أن يدخلوا ذلك الحرم أو يصلوا إلى ذلك الجوار.

وجميع ما ذكرنا لنبيّنا محمّد ﷺ جارٍ لكلّ أحد[٢] من الأنبياء، فلا يقدر الشيطان وجنوده أحداً منهم بدنسه وزبرجه وغروره، فلا يهّم أحد منهم بمعصية أصلاً فضلاً عن أن يفعلها؛ لأنّ اللاّزم الّذي لا ينفكّ عن مقتضى ما هم عليه ممّا ذكر أن يروا المعصية ناراً حقيقة محرقة بالفعل، وقد انكشف لهم ذلك عياناً بعين البصر والبصيرة، وشاهدوها وجداناً لصفاء[٣] عقولهم وشدّة نوريّتها بالإقبال والانقطاع والالتجاء إلى الله سبحانه، وخلوصها من شوب كدورة الإدبار وظلمة الاعتكار، فيرون الغائب كالحاضر، والمستقبل كالمشاهد والمستور كالمتكشف، ويقرأون حروف الحقيقة، فبصرنا يشاهد النّار الدّنيويّة وعقولهم ترى النّار البرزخيّة والأخرويّة، ولا تجد ولم تجد أحداً يلقي نفسه في نار الدّنيا إذا كان مميّزاً عاقلاً مختاراً، فالأنبياء عليهم السلام في مشاهدة المعصية لله عزّ وجلّ ناراً حقيقية كمشاهدتنا للنّار الدّنيويّة، والقدرة والاختيار

---

(١) وفي جواره/ ط.

(٢) في نسخة بدل: واحد.

(٣) في المخطوط: لصفي.

موجودان في المقامين.

عدم الفرق عند الأنبياء عليهم السلام لملاحظة أثر المعصية:

فـإن قلـت: بالفـرق بـين المقـامين من حيث حصول الدّواعي وميولات النّفس في فعل المعصية والتلذّذ والاستيناس الظّاهريّين، وتأخّر الأثر الّذي هو العقوبـة مع الاعتماد والاتّكال على وعد الله عزّ وجلّ بالتّكرم بالعفو والتّوبة وفقد جميع ما ذكر في الالقاء في النّار الدّنيويّة.

قلـت: الفـرق المذكور إنّما يتم في غير الأنبياء إذا فعل أحدهم المعصية لله عزّ وجلّ، فيفرّق بين فعله للمعصية وبين إلقاء نفسه في النّار الدنيويّة وأمّا بالنّسبة إلى الأنبياء الّذين قد انكشفت لهم الحقائق، فيرون الدّواعي والميولات طرقاً موصلة إلى الهلاك، ويشاهدونها مطايا توصلهم إلى نار الجحيم الّتي [هي] نـار المعصـية والـتلذذات والاسـتيناس، يـرونها مـنافرات مؤذيـات مؤلمـات ويشـاهدونها كذلـك، كما أنهم يرون المعصية ويشاهدونها ناراً حقيقية فحال المعصية بالنسبة إلى الأنبياء كحال النار الدنيويّة بالنسبة إلى غيرهم.

فـإن قلـت: إنا نمنع كون الأنبياء يرون المعصيّة ويشاهدونها ناراً حقيقيّة كمشاهدة غيرهـم للنّار الدّنيويّة، بل حالهم فيها كحال غيرهـم فيها.

قلـت: الـذي يشـاهد الـنّار الدّنـيويّة ويدركهـا ويمـيزها هل هو البصر الظّاهـري مـن حيـث هو، أو أنّ البصر الظّاهري آلة صرفة والتمييز والإدراك والمعـرفة لغـيره الـذي هـو آلـة لـه، والأول يكذّبـه الوجدان حيث إنّ الطّفل

الرّضيع ذو بصر، وهو فاقد للتّمييز والإدراك والمعرفة، فتبيّن أنّ الثّلاثة أوصاف لذي الآلة لا للآلة وهو العقل، ولكن كلمّا كبر الصبي قوي عقله وكلّما قوي عقله قوي تميزه وادراكه ومعرفته، حتى يرى النّار الدّنيوية ويشاهدها ناراً محرقة، بل أبناء القرية الواحدة مختلفون في قوّة التّمييز والإدراك والشّعور، بل الاخوان للأبوين متفاوتون في ذلك أيضاً، وسبب التّفاوت والاختلاف شدة نوريّة العقل وصفائه، بل معالجاته بما هو من جنسه توجب زيادة القّوة وزيادة الصّفاء والنوريّة، فيقوى التّمييز والفهم والإدراك والمعرفة.

وهكذا كلمّا كثرت المعالجة حصل التّرقيّ، ولذلك تجد عقول الفدانين[1] ونحوهم ناقصة، وعقول العلماء والحكماء أقوى منهم، والعلماء والحكماء متفاوتون أيضاً في الأقوائيّة، بسبب تفاوت العلوم التي تعالج بها في الشرف والأشرفيّة، وهذا أمر يراه كلّ مستيقظ، وحينئذٍ فما ظنكّ بعقول الأنبياء وهم أعلم العلماء وأحكم الحكماء، مع أنّه قد كانت أغذية عقولهم

---

(١) كذا في المخطوط، ولم يعرف لي معناه ويحتمل أراد المصنف طبقة الفلاحين من المجتمع والفَدَان، والفَدّان يجمع على فُدُن وأفْدِنة وفدادين: الثوران يقرن بينهما للحرث وقيل: الفدّان الثور الذي يحرث به، والفدّان في المساحة: أربعمئة قصبة مربّعة (سريانية)، وفدّان الأرض عند الفلاحين: ما يحرثه الفدان في يوم واحد، المنجد في اللغة: ٥٧٢، ولسان العرب ١٣: ٣٢١، مادة (فدن).

وتربيتها بالوحي الإلهي والإلهام الرّباني والخطاب الشّفاهي؛ فهل تقدر أن تقول: إنّ في عقولهم قصوراً عن الصّفاء والكمال والاستقامة والاعتدال، ونقصاً في الاستضاءة بنور ذي الجلال؟ حاشا وكلاّ أن يتمكّن أحد من المقال إلاّ من هو منحرف الأحوال؛ وحينئذٍ إذا كانت عقولهم على ما ذكروا أعظم وأعظم وتبعتها مشاعرهم الباطنيّة؛ فقد قويت أيضاً مشاعرهم الظّاهرية، فيرون المعصية ناراً شهوديّة، والنّار الأُخرويّة حضوريّة.

الأنبياء عليهم السلام يدركون أثر الذنوب في الحياة الدنيا:

فإن قلت: إنّ عقول الأنبياء وإن كان على ما ذكرت، وهي على ما وصفت؛ إلاّ أنّها ترى كون الذّنوب والمعاصي ناراً حقيقيّة محرقة في الآخرة لا في الدّنيا؛ لأنّها في هذه الدّنيا مستورة مغطاة، كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾(١) والشمس في اللّيل تحت الأرض ومستورة بها، فهل تقول: إنّ الأنبياء يرونها ويشاهدونها كما لو كانت في النّهار فوق؟

قلت: إن عدم رؤية الأنبياء ومشاهدتهم للغائب حاضراً، والمستور منكشفاً إما لضعف في المقتضي وآلاته من المشاعر الباطنيّة والظّاهريّة، أو

---

(١) طه: ١٥.

لوجود المانع.

أما المقتضي الّذي هو عقل الأنبياء؛ فقد عرفت قيام البراهين على قوّته، وأمّا المانع فجاعله في محل وجوده هو الله سبحانه وتعالى العالم بمصلحة من يجعله الله سبحانه مانعاً بالنسبة إليه، إذ لو سلّمنا وجوده كذلك بالنّسبة إلى الأنبياء في بعض الموارد؛ فلا نسلّم وجوده في المعصية بالنسبة إليهم لوجوه:

الأول: إن انكشافه(١) أدعى وأتم لظهور السّلطنة وعموم القدرة لله سبحانه من إخفائها.

الثاني: إن انكشاف حقيقتها أكمل وأظهر في حصول الانزجار والفرار عن مخالفة أوامر الله تعالى ونواهيه.

الثّالث: إنّ انكشاف حقيقتها يوجب قوّة الخوف من الله سبحانه حتى يتوسّط قلب النبيّ ﷺ بينه وبين الرّجاء؛ لأنّ المؤمن هو الّذي يتوسط قلبه بين إصبعين: الخوف والرّجاء.

الرّابع: ما في قرآن نبيّنا ﷺ من قوله تعالى: ﴿**كلاّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ**﴾(٢) والأنبياء إذا لم يعلموا علم اليقين، فمن يعلمه

(١) في المخطوط: انكشاف.

(٢) التكاثر: ٥ ـ ٦.

غيرهـم؟ وكذا قولـه تعالى: ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾[١] فإذا كان النّاس ليسوا بغائـبين في الدّنـيا عن النّار، فمشاعر الأنبياء الباطنيّة والظّاهريّة، ومداركهم؛ أقوى منها بمراتب فرؤيتهم لها وانكشافها لديهم أقوى من العكس.

نعـم هـذه الوجـوه المذكـورة لا تجـري في غـير الأنبـياء ومن هو مثلهم لضـعف المقتضـي، وعـدم وصـوله في الاعـتدال والاستقامة إلى درجة الكمال فتبـيّن كالـنّهار، وكالشـمس المشـرقة في جمـيع الأقطـار وعـند ذوي العقـول والأبصـار؛ أنّ الأنبـياء لا يفعلـون شـيئاً مـن الذّنوب والمعاصي لا صغيرة ولا كـبيرة، ولا يهمّون بشيء منها، ولا يقربهم الشّيطان في حال من الأحوال لا في الأقوال ولا في الأفعال ولا في الأعمال ولا في الاعتقاد[٢].

قـال صـاحب الكـتاب: ومـن ثمّ للسؤال العادل لماذا يا ترى خصّ ابن مريم بهذه الامتـيازات الغريـبة؟ ومـا السّـر في تسـميته كـلمة الله وروحـه؟ ومـا هـذه النسـبة الإلهـية؟ ومـا علّـة ولادتـه مـن غـير أب بشـري وإحفافـه بجـيش مـن الملائكـة لله سـبحانه كـي لا يدنـو مـنه الرّجـيم؟ ومـا سـبب عصـمته مـن الخطـأ والإثـم دون جمـيع البشـر؟ هـل يسـلّم العقـل أنّ هـذه الأمـور بـلا طـائل.... إلى ان قـال: فـنحن ممنونون لمحمّد ﷺ على هذه الشهادة الثّمينة .

---

(١) الانفطار: ١٦.

(٢) هذا نهاية بحث عصمة الأنبياء عليهم السلام وقد أطال المصنف رحمه الله حول هذه النقطة لأهميتها.

أقـول: مراده أنّ محمّداً ﷺ شهد في قرآنه وسنّته في القضايا الست الّتي ذكـرها عـلى حقيقة ما عليه النّصارى من اعتقادهم الفاسد الّذي صرّحت به أناجيلهم المحرّفة المكذوبة.

القرآن الكريم يبطل عقيدة النصارى في عيسى عليه السلام :

أقـول: مـا المانع لهذا النّصراني أن يدّعي الشهادة من نبيّنا محمّد ﷺ في قرآنه ﷺ على دعواه في ألوهيّة عيسى عليه السلام وكونه ابناً لله جلّ وعلا، وأنّه قد قـتل وصـلب بقولـــه تعـالى فيه: ﴿وَإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـهَيْنِ مِن دُونِ اللهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَـا لَـيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِـكَ إِنَّـكَ أَنـتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُواْ اللهَ رَبِّـي وَرَبَّكُـمْ﴾[1] وقال تعالى في آية أخرى حكايةً عن النّصارى قالوا: ﴿إِنَّ اللهَ ثَالِـثُ ثَلاَثَـةٍ وَمَـا مِـنْ إِلَـــهٍ إِلاَّ إِلَـهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِيـنَ كَفَـرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2]، وقال تعالى حكاية عن عيسى: ﴿ إِنَّ اللهَ رَبِّـي وَرَبُّكُـمْ فَاعْـبُدُوهُ هَـذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ

---

(١) المائدة: ١١٦ ـ ١١٧.

(٢) المائدة: ٧٣.

(٣) آل عمران: ٥١.

يُولَدْ ﴾(١)، وقال أيضاً: ﴿ **وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ الله ذَلِكَ قولهم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ** ﴾(٢)، وقال تعالى حكاية عن مريم: ﴿ **أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ الله يَخْلُقُ مَا يَشَاء إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ** ﴾(٣)، وقال تعالى أيضاً: ﴿ **إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ الله كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ**﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿ **يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ**﴾(٥)، وقال تعالى: ﴿ **وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ** ﴾(٦)، ونحو ذلك من الآيات القرآنيّة والرّوايات النّبويّة، إلاّ أنه لّما رآها شاهدة على كفر النصرانيّة وشركهم بالله تركها خشية الفضيحة بمنكرات وتحريف الإنجيل والتّوراة، وركن إلى آيات متشابهات الدلالة حتّى يكون مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ **فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ** ﴾(٧)، وقد بيّنا بحمد الله وببركة

---

(١) الاخلاص: ٣.

(٢) التوبة: ٣٠.

(٣) آل عمران: ٤٧.

(٤) آل عمران: ٥٩.

(٥) آل عمران: ٥٥.

(٦) النساء: ١٥٧.

(٧) آل عمران: ٧.

من أنزلت عليه حالها، وكشفنا قناعها، فراجع ما قدّمناه وتبصر ولا تغتر بما سمعته من أهل التمويه والتشبيه.

وأمّا السّر في تسمية عيسى كلمة الله وروحه وولادته من غير أب فقد قدّمنا بيانه واتّضح برهانه[١].

وأمّا إحفافه بجيش من الملائكة فليس خاصّاً به دون غيره من الأنبياء حتى تحصل به المزيّة له عليهم؛ إذ هو جار لجميع الأنبياء، فهل ترى أنّ العاقل يقول: إنّ السّلطان يضمُّ[٢] بعض جنوده وعساكره إلى من يجعله والياً على قطر من أقطاره ليعينوه على دفع عدوّه، ويترك الله سبحانه أحداً من أنبيائه لا يحفه بملائكة ويؤيدّه بهم من بدئه إلى منتهاه؛ حتى لا يقربه عدّوه الشّيطان أو أحد شياطينه؟ ولا يختص ذلك بعيسى عليه السلام، فإن كان فعل السّلطان جارياً على جادة العقلاء ومستحسناً فكيف يمكن أن يأمر الله سبحانه بالعدل والإحسان ويتركه ولا يفعله؟! وإن كان فعل السّلطان خالياً من الغرض العقلائي في المستحسن فلم لا يسفهّه العقلاء ويخطّئونه؟! وقد مرّ بيان منع صدور الخطايا والآثام من الأنبياء جميعاً، بل لا يهمّون بشيء منها، من غير اختصاص في ذلك بعيسى عليه السلام.

---

(١) تقدم في المقام الرابع صفحة ٩٩ فما بعد.

(٢) في المخطوط: بضم وما أثبتناه هو الصحيح.

ثمّ إنّ قوله: دون جميع البشر كلام مستدرك، إذ لا يقول أحد بخلو جميع البشر من الذّنوب والمعاصي والآثام والمقابلة، إنّما هي بين عيسى وغيره من الأنبياء، فكان عليه أن يقول: دون جميع الأنبياء.

القرآن يبطل قول اليهود والنصارى:

والحاصل: إنّ الواجب على كلّ من يتدين بدين الإسلام، ويعتقد حقيقة ما جاء به سيّد الأنام ورسول الملك العلاّم محمّد بن عبد الله ﷺ بن عبد المطلّب بن هاشم بن عبد مناف المنزل عليه القرآن المصرّح بكفر ما خالفه من سائر الأديان[1]، الدّال بنصوصه وحقائقهِ على تحريم توراة اليهود وإنجيل النّصارى، لا توراة موسى وإنجيل عيسى؛ فلا يلتفت إلى هذه المزخرفات.

كما ترى أنّ كتاب الطّائفتين قالوا بإلهيّة عيسى وأنّه ابن الله وأنّه قد قتل وصلب، وقرآن نبيّنا محمد ﷺ ينفي ألوهيّة عيسى وأمّه كما في الآية الأولى، ويحكي عن طائفة النّصارى [قولهم]: ﴿إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾[2]

---

(١) إشارة الى قوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾. آل عمران: ٨٥، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلَامُ ﴾. آل عمران: ١٩.

(٢) المائدة: ٧٣.

ويبطلها بتكذيبهم في قوله تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلاَّ إِلَـهٌ وَاحِدٌ ﴾[١]، وفي الآية الثّانية[٢]، وقال تعالى في الآية الثّالثة حكاية [عن] اعتقاد عيسى عليه السلام: ﴿إِنَّ اللهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾[٣]، وقبلها آية أخرى وفيها: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾[٤] وقال في الآية الرابعة: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾[٥] وحكم بكفر النّصارى إذ قالوا المسيح ابن الله[٦]، وقال تعالى في الآية السّادسة[٧] والسّابعة[٨] انّ عيسى مخلوق حادث مثل آدم، وقال في الآية

(١) المائدة: ٧٣.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿أَنِ اعْبُدُواْ اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾، الآية الواردة في ص: ٢٠١.

(٣) آل عمران: ٥١.

(٤) المائدة: ١٧.

(٥) الاخلاص: ٣.

(٦) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ ذَلِكَ قولهم....﴾ الآية الواردة في ص: ٢٠٢.

(٧) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاء إِذَا قَضَى أَمْرًا...﴾ الآية الواردة في ص٢٠٢.

(٨) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ الآية الواردة في ص: ٢٠٢.

الثّامنة(١) ان عيسى قد مات ورفعه الله إليه وكذّب الذين قالوا: إنّه قتل وصلب.

أفليست هذه الآيات الشريفة دالّة بالنّصوصيّة على تحريف التوراة والإنجيل؟! فإذا لم يكن هذا تحريفاً فما التحريف غيره؟! وقال تعالى في قرآن نبينا في شأن عيسى عليه السلام وأمّه: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَن مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلامًا زَكِيًّا * قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا * قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ﴾(٢).

انظر في دلالتها على المرسول وفي دلالتها أنّه غير المرسل الّذي هو الله وسمّاه المرسل الّذي هو الله روحه، وفي دلالتها على ما جاء فيه الرّسول الّذي سمّاه الله تعالى روحنا، أليست هذه الآية الشّريفة مفسّرة مبينّة موضحة لما يراد من آية الإنجيل التي تصول بها النّصارى على دعواهم الفاسدة على فرض كونها من إنجيل عيسى عليه السلام، وهي أن روح القدس يحلّ عليك وقدرة العلّي تظللكّ، فتعين كون المراد منها ما ذكرنا سابقاً في تأوليها.

بل صرّح أيضاً قرآن نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله في قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الآية الواردة في ص: ٢٠٢.

(٢) مريم: ١٧ ـ ٢١.

مَـرْيَمَ الْبَيِّـنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾(١) ، وكون إطلاق الرّوح لله سبحانه أو مـن روحـه قاضـياً بكونـه ابـناً مولوداً لـه باطل، كما اتّضح في الآية الشريفة ومثـلها أيضـاً آيـة في سورة السجدة ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الإنسَانِ مِن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلالَةٍ مِّن مَّاء مَّهِينٍ * ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ﴾(٢) ، وقال تعالى في شأن آدم: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾(٣) ، مع أنّ بعض آيات قرآن نبيّنا محمّد ﷺ صريحة في تحريف الكتابين، كقولـه تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَـذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِيـنَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاء ظُهُورِهِـمْ وَاشْتَرَوْاْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾(٤)، وقال أيضاً في آية أُخـرى: ﴿مِّـنَ الَّذِيـنَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾(٥) فهما بحقيقتهما دالّـتان على التحريف، وتأويلهما والتجوّز بهما إلى غير ظاهرهما فرع وجود الصّارف المفقـود عـلى الـيقين، وغـير ذلـك من الآيات القرآنيّة الدالّة على تحـريف الـتوراة والإنجيل بطرق من الدّلالة، بل سبر ما سطرناه سابقاً والتأمّل

---

(١) البقرة: ٨٧.

(٢) السجدة: ٧ ـ ٩.

(٣) الحجر: ٢٩.

(٤) آل عمران: ١٨٧.

(٥) النساء: ٤٦.

فـيما كتبـناه يوصـل إلى اليقين الحق وحق اليقين بتحريف التّوراة والإنجيل إنْ جانبت العصبية والعناد، وسلكت منهج الهداية والرّشاد.

وقولـه هنا من تلبساته وتمويهاته: **إنّ التحريف لا بدّ أن يكون لغرض، وإنه هل هو بعد مجيء محمد ﷺ أو قبله؟**

نقـول في جوابـه: إنّ الـتّحريف لغـرض، وقد فصّلناه وبيّنّاه في الفصل الثّالث فراجع[1]، وهو أيضاً قبل زمان محمّد ﷺ فلا حاجة في الإعادة.

الرد على ما جاء في الفصل الحادي عشر من إنكار نبوة نبينا محمد ﷺ:

قـال صاحب الكتاب في الفصل الحادي عشر من القدح في نبيّنا محمّد ﷺ وانكـار نـبوّته بما محصّل: **الأوّل: إنّه قد كذب في قرآنه ما عند اليهود من التوراة وما عند النصارى من الإنجيل**، ومحصّل الثّاني: **إن شرط نبوّة النبيّ ﷺ الإتيان بالآيات والمعجزات، وقد نطق قرآنه بعدم الإتيان بشيء منها.**

أقـول: لا شـك ولا ريب أنّ نبيّنا محمداً ﷺ وقرآنه قد كذّبا ما في توراة الـيهود وإنجـيل النّصـارى مـن ألوهية عيسى وكونه ابناً مولوداً لله جلّ وعلا، وكذلـك دعواهـم أنّ عيسـى عليه السلام قتل وصلب، ونحن معاشر المسلمين نعتقد

---

(١) تقدم في المقام الثالث: ٧٥، وقد تعرض المصنف لمسألة التحريف في موارد منها ما في صفحة: ٧٨، ٨١، ٩١، وغيرها.

ذلـك تـبعاً لنبينا محمّد ﷺ وقرآن ربّنا، وهذا هو الّذي نقول بأنّ محمّداً ﷺ وقـرآنه قـد شـهدا عـلى تحـريف مـا في أيـدي الـيهود والنّصـارى من التّوراة والإنجـيل، ولـيس يعيب محمّداً إذا أظهر الحق وأمات الباطل بعد أن قرن ذلك بـالدّلائل السّـاطعة والـبراهين اللاّمعة، وهذا هو الذي أنكره محمّد ﷺ من الـتوراة والإنجيل لا التوراة والإنجيل اللّذين أنزلهما الله تعالى على موسى عليه السلام وعيسـى عليه السلام، فـإنّ محمـداً ﷺ قـد صـدّقهما، وصـرّح قـرآنه أيضاً بأنّه كان مصـدّقاً بمـا بـين يديه من التوراة والإنجيل، كيف لا وقد نطق القرآن الشّريف بأنّ:

﴿التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ﴾(١) .

وأمّـا [جواب] الثّاني، وهو دعوى أنّ قرآن محمّد ﷺ مصرّح بأنّ محمّداً ﷺ لم يـأت بآيـات ولا معجـزات دالّة على صدقه في دعوى النّبوة والرّسالة، فهـو زور وبهـتان وكذب على القرآن الشّريف، وتمويه وتدليس وتلبيس على المسـلمين كـي يعدلوا بهم عن الّدين القويم والصّراط المستقيم دين الإسلام الّـذي هـو أشرف الأديان الخاصّة للرّحمن، وبيان كون القرآن الشريف مصرّحاً

---

(١) المائدة: ٤٤، وقد ورد في المخطوطة قولـه: بأن التوراة والإنجيل نور وهدى يحكم بها النبيون... الخ والصحيح ما أثبتناه في المتن.

بالآيات والمعجزات الدّالة على نبوة محمّد ﷺ سيد البرّيات محمّد بن عبد الله نبيّ الرحمة وسراج الظلّمة، وهي في عدّة مقامات منها:

شهادة القرآن بمعاجز الرسول الأعظم ﷺ:

الأوّل من المقامات: في سورة القمر[1]، وهي قوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾[2].

وبيانه: إنّ انشقاق القمر فوق طوق البشر وغير مقدور لهم، ولا يقدر[3] أحد على إنكاره أو يدعي له بشقّه ثانية، وليس لأحدٍ من الكفّار المنكرين لنبوّة النّبي المختار إلاّ التشبث بأذيال كونه سحراً، كما حكاه الله سبحانه عنهم، أي أنّ انشقاق القمر سحر قد سحر به محمّد ﷺ القمر حتى انشقّ وتنصّف نصفين، أو أن محمّداً ﷺ قد سحر قلوبنا وأبصارنا حتى رأينا القمر قد انشق نصفين، فقال لهم بعض من حضر: إن كان قد سحركم محمّد ﷺ فلم يسحر جميع النّاس[4].

---

(١) في المخطوط: سورة اقترب.

(٢) القمر: ١ ـ ٢.

(٣) في نسخة: يسع.

(٤) مناقب آل أبي طالب ١: ١٠٦، فصل في معجزات أفعاله ﷺ.

فإن قلت: إنّ اقتران الإخبار باقتراب السّاعة بالإخبار بانشقاق القمر وقد تقدّم الإخبار باقترابها العلّةُ يوهن الاستدلال المذكور، ويصرف الانشقاق إلى ما قبل قيام السّاعة بالقبليّة العرفيّة الّتي هي القيامة الكبرى، وهي حشر الخلائق من الأوّلين والآخرين للحساب، فإنّه منصرف إطلاق السّاعة.

قلت: لعلهُ المراد بالسّاعة هي وقت الوعد الّذي واعد نبيّنا محمّد ﷺ الكفّار بإتيان ما اقترحوا عليه من شقّ القمر آية لنبوّته ومعجزة لرسالته، بل تعقيب الإخبار بالانشقاق وما بعده من كونه آية، وإعراضهم وقولهم: إنّه سحر؛ قرائن لفظيّة لإبطال الاحتمال المذكور ضرورة؛ لأنّه لا يسع أحد في ذلك اليوم يوم القيامة الكبرى إلاّ الاعتراف بالحق، ولا يمكن أن يقول أحد في ذلك اليوم للآية إنّها ليست بآية أو إنّها سحر أو إنّ فلاناً صاحب الآية ساحر. وإن أبيت عن هذا فنقول:

إنّ استدلالنا صحيح، وإنْ كان المراد من السّاعة هي القيامة الكبرى فبيان ذلك أنّ الحكم باقتراب السّاعة لا يمكن إلاّ لله سبحانه، لكون الماضي عنا والحاضر لدينا والمستقبل عندنا كلّها حاضرة عند الله سبحانه في ملكه، لا يعزب منها شيء عن علمه، إذ هو العالم بالغائب عنا، والقادر القاهر، وليس بمنتظر الشيء من ملكه، ولا فاقد لشيء منه، ضرورة أنّ من يعزب عنه شيء جاهل، وغير القادر على شيء عاجز، والمنتظر الفاقد ناقص، ينزه عنها جناب الحقّ ويتعالى عن الاتّصاف بشيء منها، ضرورة أنّهما سمات الفقر وعلائم الاحتياج وحقائق الحدوث، وحينئذ فيحسن التّعبير من الله تعالى عن المستقبل

عندنا بما يعبّر عنه به عن الحاضر والقريب منه، وقد عبّر الله سبحانه عن المستقبل بما يعبّر به عن الماضي في بعض الآيات القرآنيّة، كقوله تعالى: ﴿**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ**﴾(١)، وقال تعالى خطاباً لنبيّه محمّد وسيّد رسله: ﴿**وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تكون قَرِيباً**﴾(٢) وقال تعالى: ﴿**إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا * وَنَرَاهُ قَرِيبًا**﴾(٣)، ولا تصح هذه الخطابات من غيره سبحانه.

فإذا عرفت ذلك علمت أن كلاً من الجملتين الخبريتين دالة على معناها، مفيدة لحقيقتها، من غير مزاحمة بينهما ولا ركاكة ولا استبشاع فيهما بل التعبير المذكور مركز البلاغة ومنبع الفصاحة، فالآية الشريفة القرآنيّة نصّ في معجزة النبويّة المحمّدية، كما هو الجلي الواضح.

الثاني من المقامات(٤): **قوله تعالى**: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى**﴾(٥) الذي هو بيت المقدس في الشام

---

(١) الزمر: ٦٨.

(٢) الأحزاب: ٦٣.

(٣) المعارج: ٦ ـ ٧.

(٤) في المخطوط: من الآيات القرآنية.

(٥) الإسراء: ١.

والمسجد الحرام هو مكّة المشرّفة المعظّمة، ويعد[١] ما بينها من المسافة معلوم ولا يمكن قطعها بالسيّر إلاّ في عدد كثير من الأيام والليالي، وقد قطعها نبينا محمد ﷺ في ليلة واحدة، وهي ليلة سبع وعشرين من شهر رجب ورجع إلى مكة المشرّفة قبل طلوع فجر[٢] تلك الليلة [٣]، وهذه آية لنبوّته ومعجزة لرسالته، قد نطق بها قرآنه الكريم، وشاع خبرها في كل إقليم، فلما رجع إلى مكّة المشرفة أخبر قريشاً بما رأى من آيات الله سبحانه، وما رأى في المسجد الأقصى، وما رأى في طريقه، وما أمكن كفّار قريش ولا وسعهم التكذيب، ولكن دعاهم عتوّهم واستكبارهم إلى أن يقولوا بالسّحر، والسّاحر لا يبعد عليه شيء من الأرض ولا يخفى عليه شيء، كما رمى فرعون موسى وأخاه هارون بالسّحر لمّا رأى آيات النبوة ومعجزات الرّسالة [٤].

الثالث من المقامات[٥]: [في] قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ**

---

(١) في المخطوط: بعد.

(٢) في المخطوط: الفجر.

(٣) مناقب آل أبي طالب ١: ١٥٣ ـ ١٥٦ فصل في معراجه ﷺ.

(٤) إشارة الى قوله تعالى: ﴿ **قَالُوا إِنْ هَـٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا** ﴾. طه: ٦٣.

(٥) في المخطوط: من الآيات القرآنية.

أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاَثَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُنزَلِينَ * بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَـذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾[(١)].

أترى أنّه يقدر أحد أو يمكنه أن يستنزل الملائكة من عند الله سبحانه لنصرته، وهو غير صادق في دعواه النبوّة والرّسالة من الله سبحانه؟ أوليس استنزالهم معجزة يعجز عنها البشر لسيّد البشر وآية لنبوّته وعلامة لرسالته ؟!

الرابع من المقامات[(٢)] **[في] قوله تعالى**: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾[(٣)] .

وجه دلالة الآية على معجزة النّبي سيّد النّبيين أن تحتم غلبة قدر عشر الكفّار من أصحاب نبيّنا محمّد ﷺ بإمدادهم من الله سبحانه القوة التي يغلبون بها الكفّار، وهم قدرهم عشر مرات من خوارق العادات، كيفما بلغ[(٤)] الكفّار في الشّجاعة والقوّة، وكيف ما بلغ أصحاب النبيّ ﷺ في الجبن

---

(١) آل عمران: ١٢٣ ـ ١٢٥.

(٢) في المخطوط: الرابع من الآيات القرآنية.

(٣) الأنفال: ٦٥.

(٤) في المخطوط: بلغوا.

والضعف فالنّصر والغلب على هذا الوجه من آيات نبيّنا محمّد ﷺ ومن معجزات رسالته.

الخامس من المقامات(١): قوله تعالى في سورة الفتح: ﴿ **لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا**﴾(٢).

وجه الدّلالة على المعجزة أنّه لّما بايعوا النّبي ﷺ علم الله منهم ضعف العزم وتزلزل الاعتقاد عن الوفاء بما بايعوا عليه النبيّ ﷺ، فأنزل الله سبحانه السّكينة عليهم وهي الطّمأنينة والاستقرار والثبات على ما بايعوا النبيّ ﷺ عليه.

وجه الدلالة على المعجزة لنّبينا محمّد ﷺ أنّه لا يمكن أن يقع ذلك إلاّ لكون المبايع نبيّاً مرسلاً من الله سبحانه؛ فيثبت قلوب أصحابه على طاعته والوفاء ببيعته، وهذا ظاهر، ومثل هذه الآية الشّريفة آيات أخرى(٣) بهذا المضمون.

(١) في المخطوط: الآية الخامسة.

(٢) الفتح: ١٨.

(٣) في المخطوط: أخر.

السادس من المقامات[١]: **[في] قوله تعالى**: ﴿وَعَدَكُمُ اللهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾[٢] .

وجه الدّلالة على صدق ودعوى محمد ﷺ النّبوّة والرّسالة من الله سبحانه أنّه أخبر أصحابه عن الله سبحانه أنه قد واعده أن يغنم أصحابه غنائم كثيرة معجلة قبل وقوعها؛ فأوفاه الله سبحانه بما وعده به. وهذا شيء خارج عن قدرة البشر، لا يمكن أن يقع إلاّ من مقرّب من الله سبحانه، رسول مبعوث إلى غيره كما لا يخفى، مع أنه قد نصت[٣] آخر الآية بأنّ ذلك ليكون آية للمؤمنين، أي معجزة لأمين الله على وحيه[٤] سيد النّبيين، يرونها المؤمنون عياناً ويشاهدونها وجداناً.

السابع من المقامات[٥]: **[في] قوله تعالى**: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاء اللهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ

---

(١) في المخطوط: الآية السادسة القرآنية.

(٢) الفتح: ٢٠.

(٣) في قوله تعالى: ﴿وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾.

(٤) في المخطوط: وجه.

(٥) في المخطوط: الآية السابعة القرآنية.

وَمُقَصِّرِينَ لا تَخَافُونَ﴾(١)

وجـه الدّلالـة أنّـه لّمـا توازرت قريش وتعاهدت على حرب محمّد ﷺ، وأنـه لا يدخل مكّة المشرفة لا هو ولا من يتبعه في دينه، رأى في منامه الشّريف هـذه الـرّؤيا المذكـورة، ورؤيـا الـنبيّ ﷺ وحـي إلهي، فأخبر بها أصحابه قبل الدّخـول. فـلمّا يسّر الله سبحانه لـه فتح مكّة، ونصره على أهلها نزلت الآية الشريفة كما سمعت.

والحاصـل أنّ تصديق الله سبحانه لنبيّه في رؤياه وإخبار قومه قبل وقوعه لا يمكن أن يقع إلاّ من نبيّ مرسول من الله سبحانه آية ومعجزة غير ممكنة لغيره.

الثامن من المقامات(٢): **[في] قولـه تعالى**: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَـاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ﴾(٣).

وجه الدلالة أنّ رحمة الله الخاصّة قد كتبها الله لمن صدق بآيات نبوّة محمّد ومعجـزاته، وآمـن بهـا متّبعاً لـه، وفي الآية الشريفة [الثانية] أيضاً دلالة على

---

(١) الفتح: ٢٧.

(٢) في المخطوط: الآية الثامنة القرآنية.

(٣) الأعراف: ١٥٦ ـ ١٥٧.

تحـريف التّوراة والإنجيل حيث أخفوا منهما[١] اليهود والنّصارى صفات محمّد النبيّ ﷺ التي قد كتبت فيهما، كما قال تعالى في القرآن: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾[٢]، ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ﴾[٣] وفيهما أيضاً دلالة على مجيء محمّد ﷺ بالآيات والمعجزات.

التاسع من المقامات[٤]: **[في] قوله تعالى**: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيرًا﴾[٥].

وجه الدلالة تبين الهدى لا يكون إلاّ بالآيات والمعجزات القاطعة للعذر، ضرورة أن التبيّن لا يحصل بمجرد الإخبار عن الله سبحانه بمجرد دعوى النبوّة الرسالة، إلاّ إذا اقترن بآيات ومعجزات لا يقدر عليها غير النّبي.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلاَّ

---

(١) في المخطوط: منها، والأصح ما أثبتناه أي من التوراة والانجيل.

(٢) المائدة: ١٥.

(٣) المائدة: ١٩.

(٤) في المخطوط: الآية التاسعة القرآنية.

(٥) النساء: ١١٥.

الْفَاسِقُونَ﴾(١)

ومنها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * فَإِن زَلَلْتُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُواْ أَنَّ الله عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(٢).

وغير ذلك من الآيات القرآنية الّتي لم نذكرها ويكفيك معلومية رمي الكفار لمحمّد ﷺ بالسّحر، كما حكى الله سبحانه ذلك عنهم في القرآن الشريف في مقامات عديدة، ولا يشبه السّحر إلاّ المعجزات والآيات البيّنات، ولكنّها حيث تقترن بالدّعوى مصدّقة لها تكون آية النبوة ومعجزة الرّسالة، بخلاف السّحر، فإنّه لو أتى به السّاحر تصديقاً للدّعوى الباطلة وجب على الله سبحانه إبطاله وعدم تأثيره كيلا يقع النّاس في الجهالة و الضلالة.

وأيضاً من جملة الآيات القرآنية الدالّة على كون القرآن الشريف معجزة من معاجز نبيّنا محمّد ﷺ مستمرّة إلى آخر الأبد قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ الله إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن

(١) البقرة: ٩٩.

(٢) البقرة: ٢٠٨ ـ ٢٠٩.

(٣) البقرة: ٢٣.

يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾(١) فتبين من جميع ذلك أنّ القرآن الشّريف ناطق مصرّح بآيات النّبوة لسيد النبيّين ومعاجز أفضل المرسلين محمّد ﷺ خيرة رب العالمين، ولا يسع المسلم إنكار واحدة من تلك المعاجز، والتشكيك فيما هنالك وتشبّث صاحب الكتاب للمنع ببعض آيات القرآن باطل وزبد مجتث زائل.

ما يوهم من الآيات القرآنية بعدم وجود معجزات للنبي الأعظم ﷺ:

والحاصل أنّه قد تشبّث لإنكار كون محمد ﷺ قد جاء بآيات ومعجزات دالة على نبوّته بقوله تعالى في سورة الرّعد: **﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللهَ يُضِلُّ مَن يَشَاء وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾**(٢).

وخلاصة استدلاله أنّ «لولا» للطّلب ولم يحصل جوابه بإنزال الآية، وإنّما أجاب بغير ذلك، وهو قوله تعالى: **﴿قُلْ إِنَّ اللهَ يُضِلُّ مَن يَشَاء وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾**(٣) والجواب عن هذا الوهم أنّه لا إشكال في كون «لولا» طلبيّة إمّا تحضيضيّه، وهو طلب بحث وانزعاج، أو عرضية وهو الطّلب بلين، أو استفهامية، وجواب الطّلب قد يكون بالدّلالة الصريحة المنطوقية، وقد يكون

---

(١) الإسراء: ٨٨.

(٢ ، ٣) الرعد: ٢٧.

يكـون بالدّلالـة اللّزومـية[١]، وهـي أبلـغ من الأولى، وقد أجاب بها سبحانه وتعـالى، ضـرورة أن إضـلال الله وهدايته لو لم يرد بهما السبب لكان سبحانه وتعـالى فاعلاً للقبيح من ترجيح بعض بالإضلال والبعض الآخر بالهداية من غير مـرجّح، فإنـه يكـون لمـن أضـله حجة عليه، بل يدخل في الجبر أيضاً [فيلغى][٢] الثواب ويقبح العقاب.

فهـذه الشـواهد العقلـية، والأحكـام الحاليّة قد صرفت الدلالة اللفظية الظاهـرية إلى تعـيّن مـرادات لزومية، وهي إيجاد الله تعالى لأسباب الهداية التي هـي اعـتقاد نـبوّة محمـد ﷺ بـإحداث المعجـزات الخارقات للعادات وإتيان الآيـات البيّـنات الشاهدة لنبوّة سيد البريّات، وهي أيضاً من حيث الإعراض عـنها والاسـتكبار سبب للضّلال، وبهذا تصح نسبة الهداية والإضلال إلى الله

---

(١) الدلالة المنطوقية وهي المعبر عنها بالمنطوق عند الاصوليين (أو الدلالة المطابقية): وهو ما يدل عليه اللفظ في حد ذاته على وجه يكون اللفظ المنطوق حاملاً لذلك المعنى وقالباً له.

وبكلمة أخرى هو مدلول ذات اللفظ بالدلالة المطابقية. معجم المصطلحات الاصولية: ١٦١.

والدلالة اللزومية وهي المفهوم (أو الدلالة الالتزامية) والمراد به هو ما يقابل المنطوق ويقصد به المدلولات للجمل التركيبية سواء كانت انشائية أو اخبارية، أو هو حكم دلّ عليه اللفظ لا في محل النطق. المصدر السابق: ١٥١.

(٢) في المخطوط: فيلغ، والصحيح ما أثبتناه.

جلّ وعلا باعتبار إيجاده للسبب الّذي هو الآيات والمعجزات، وحينئذٍ فالآية الشريفة القرآنيّة لنا لا علينا، وقد فتحت لك باب الجواب عمّا ربّما يتشبّث به ممّا يكون من هذا القبيل، كقوله تعالى: ﴿قَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾[1] فهل ترى أن العاقل المنصف يرضى أنْ يكون المنذر المبين بدون إيضاح الحال بمعجزات الصدّق وآيات الرسالة وعلائم النّبوة.

وههنا جواب آخر عن الآيتين ونظائرهما، وهو أنّه لمّا جاء نبيّنا محمد ﷺ بآية النبوة ومعجزة الرسالة ولم يركنوا، وأعرضوا واستكبروا وطلبوا منه مثلها مرةً أو مرات، وهو يأتيهم بما طلبوا من الآيات والمعجزات فلم يزدادوا إلاّ عتواً ونفوراً واستكباراً، فكانوا بعد هذا بطلبهم للآية داخلين في عداد اللاّعبين المستهزئين.

ومن المعلوم أنّ الجواب لمثل هؤلاء ما أنزله الله تعالى في الآيتين، كما لا يخفى، وقد أمر الله بمثل ذلك بقوله تعالى: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾[2] .

وأمّا أنّ الآيات عند الله سبحانه كما في الآية الثانية، وأنها بإذنه كما في

---

(١) العنكبوت: ٥٠.

(٢) فاطر: ٨.

قولـه تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلا بِإِذْنِ اللهِ﴾[١] .

فهو معلوم بالضرورة، كما أنه لا تعرض فيه للوجود أو العدم كما لا يخفى.

من الأدلة القرآنية على عدم وجود المعجزة للنبي الأعظم:

وقد استدل صاحب الكتاب أيضاً على أنّ قرآن محمّد ﷺ دال على أنه لم يأت بآية دالة على نبوّته ورسالته بقوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ﴾[٢] .

أقـول في الجـواب عـن هـذه الآيـة الشريفة: إنّ الآيات إمّا أن يراد منها العموم الأفرادي، فتكون الألف واللاّم للاستغراق، أو يراد من الألف واللاّم الجنس، أو أنْ يراد منها العهد، وهو على الأوّل في قوّة أن يقال: «وما منعنا أن نرسـل بكلّ آية آية» ولا شك ولا ريب أن آية صدق النبي ومعجزة رسالته أمر غـير مقـدور إلاّ لله جل وعلا ولا شكّ ولا ريب أنّ تحويل النّخلة إنساناً ماشياً ناطقـاً مدركـاً ذا يديـن ورجلـين وأربعة أكف بأصابعها العشرين مع جامعيّة جمـيع أجـزاء الإنسـان كالوجـه والأنف والعينين والأُذنين والرأس والفم، مع جمـيع الأجـزاء الظّاهرية للإنسان والصّورة، وهو في هذه الحالة يخرج من رأسه

---

(١) الرعد: ٣٨.

(٢) الاسراء: ٥٩.

متدلّياً على رقبته ثمرٌ ذو بسر ورطب، كما كان في النخلة قبل أن تتحوّل إليه، وهو في هذه الحالة ينكح النساء ويولد لـه الأولاد ويجني منه البسر والرّطب.

وكذلك لو كانت الخيل والبغال والحمير والإبل حمولةً للأثقال ماشية في البراري وطيوراً في البحار والأنهار، ويولد من الإبل الخيل ومن الخيل الإبل ويولد منهما الإنسان، أو يولدان منه ونحو ذلك ممّا لم يقع، أو وقع ولم تره عين ولم تسمعه أُذن؛ فإن جميع ذلك من الممكن المقدور لله بضرورة أهل الأديان والعقول مع شهادة الأنبياء والرسل والكتب السّماويّة بذلك.

وبالضرورة أيضاً أنّه لو جاء أحد الأنبياء بأحد الأمثلة المتقدمة، كالنخلة المتحوّلة إنساناً على الوجه المتقدّم آية لنبوّته ومعجزةً لرسالته لكان حقّاً، وحكمت الضرورة العقليّة بصدقه ووجوب طاعته واتّباعه؛ مع أنّه ليس لها ذكر في الوقوع ولا لنظائرها لا في قديم الزّمان ولا متأخّره، وبذلك يبطل العموم الاستغراقي، حيث إنّ مدلوله إرسال كلّ آية لكلّ واحدٍ من الأنبياء غير محمّد ﷺ، بل يبطل العموم أيضاً قوله تعالى: ﴿كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ﴾[1] إذ كيف يكذّبون بما لم يقع، من أن ﴿الأَوَّلُونَ﴾ جمع معرّف بالألف واللاّم، فلو أريد منه العموم الاستغراقي؛ لزم أنه لم يصدّق أحد من الأوّلين بشيء من آيات أحد من الأنبياء، وهو باطل بالضرورة، فظهر من ذلك كله أنّ العموم

---

(١) الإسراء: ٥٩.

الاستغراقي غير مراد جزماً.

وأمّا احتمال الجنسية فهو ساقط باطل أيضاً، لوجود القرائن اللفظيّة الصّارفة عن إرادتها، وهي الإرسال الممنوع والتّكذيب؛ لكونهما من خصوص أحكام الآحاد لا من أحكام الجنس، كما ترى أنّه لو قيل: أرسلت القوم أو الرّجال أو لم أرسلهم أو كذّبوا لم يصح أن تصرف النّسب إلى الجنس إلاّ على جهة التجوّز باعتبار الآحاد، مع أنّ ضمير ((بها)) راجع إلى الآحاد لا إلى الجنس، وإلاّ لذكّر ولم يؤنّث، ومع هذا كلّه أنّ الآية الشريفة القرآنيّة قد جعلت العلّة للمنع عن إرسال الآيات هي تكذيب الأوّلين، وحيئنذٍ فإمّا أن يراد بهم الأوّلون الحقيقيّون أو الأوّلون الإضافيّون، وعلى التقديرين، فالألف واللاّم إمّا جنسيّة أو عموميّة استغراقيّة، أو عهديّة؛ فهذه ست صور فعلى فرض الإرادة الأوليّة الحقيقيّة بصورها الثّلاث يكون مختصاً بأوّل نبي قد أتى بآيات ومعجزات دالّة على صدقه وقد كذّب بها قومه، ولا يكون هذا إلاّ لنبي الله شيث بن آدم الّذي هو هبة الله تعالى، فيكون جميع من بعده [من][1] الأنبياء لم يأتوا بشيء من الآيات والمعجزات، من غير فرق بين موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء، لوجود العلّة، وهي تكذيب الأوّلين الحقيقيين.

فإن قلت: إنّ العلة وإن كان مقتضاها ما ذكرت؛ إلاّ أنّها كالعام

---

(١) ما بين العضادتين اضافة اقتضاها السياق.

المخصصّ؛ حجّة في الباقي الّذي هو نبوّة محمّد ﷺ بعد خروج من تقدّمه من الأنبياء، لضرورة وجود الآيات والمعجزات لنبوتّهم ورسالتهم.

قلت: كما أنّ الضّرورة قائمة على وجود الآيات والمعجزات لنبوة الأنبياء والرسل، فكذلك أيضاً الضّرورة قائمة عند المسلمين قاطبة على وجود الآيات والمعجزات لنبيّنا محمّد ﷺ، بل وعند اليهود والنّصارى أيضاً، إلاّ أنّهم رموها بالسحر، والآيات القرآنية المتقدّمة ـ كما عرفت ـ ناطقة أيضاً بها، وعلى هذا لم يبق مورد للآية القرآنية فليس هناك باق حتى تكون حجّة فيه [هذا أولاً][1].

وثانياً: إنّ تخصيص العام إلى الواحد يخرج الكلام عن الأساليب العربية، ولا اظن أنّ اليهود والنّصارى ينكرون عربيّة القرآن، وإن أنكروا إعجازه، إلاّ أن يكون البقاء إلى الواحد لازماً لمجاز آخر غير التخصيص، وسنقيم البراهين إن شاء الله على إعجازه، فإذا سلّموا عربيته بطل التّخصيص إلى الواحد.

وهذا كلّه من باب المماشاة مع هذا النّصراني، حيث تشبّث لإنكار الآيات والمعجزات لنبيّنا محمد ﷺ بهذه الآية، وسنبيّن المراد منها عن قريب

---

(١) ما بين العضادتين اضافة اقتضاها السياق.

إن شاء الله تعالى، ولا تغفل أيها المسلم عن خداع هذا الرّجل؛ لأنّه يعالج إبطال دين الإسلام بدين الإسلام، ومحصّل خداعه أنّ نبوّة محمّد ﷺ ورسالته موقوفة على مجيئه بالآيات والمعجزات الدّالة على صحّة دعواه، وقرآنه ينفيها، فإذا انتفت الآيات والمعجزات بطلت نبوة محمد ﷺ، وإذا بطلت نبوّته بطل كون قرآنه من عند الله جل وعلا، هكذا يلبس على ضعفاء المسلمين حتى يعدل بهم عن دين سيّد النبيّين.

وأنا أقول لك أيّها المسلم: اثبت وكن صاحياً مستيقظاً، وانظر ما سطرناه وتأمّل فيما كتبناه من البراهين العقليّة والوجدانيّة، ونصّ القرآن الشريف على نبوّته ورسالته من الله جل وعلا ومجيئه بالآيات والمعجزات، وقد نطق القرآن الشريف بمجيئها بها [كما] سمعت، فكون نبوة نبيّنا محمّد ﷺ ورسالته موقوفة على مجيئه بالآيات والمعجزات صحيح لا شك فيه، وقد جاء بها، وأمّا أنّ قرآنه ينفيها فهو باطل عاطل كرماد ذرته الريح في يوم عاصف، حيث لامسته براهين الحق وأدلّة الصدّق، فتهافت كتهافت الفراش في النّار.

بيان المراد من الآية الكريمة:

وبالجملة فقد عرفت ما في الصّور الثّلاث من الاحتمالات الستة في

الآيـة الشـريفة(١) على تقدير الأوّليّة الحقيقية، وأمّا الاحتمالات الثّلاثة الأخر عـلى تقديـر إرادة الأولـية الإضـافيّة أو أوليّة حقيقية بالنّسبة إلى مورد صدور هذه الآية القرآنية فلا شهادة ولا إشعار.

وبـيانه أنّ دعـوى نبيّـنا محمـد ﷺ للنّـبوة والرسـالة ليسـت في ساعة واحدة، ولا في يوم واحد، ولا في شهر واحد، ولا في سنة واحدة، ولا في محضر واحد، بل ادّعاها مراراً، وكررها جهاراً، وأظهر بها عشيّةً وإبكاراً، ونادى بها المـنادي للعـاكف والبادي في الحضر والسفر والسّهل والوعر، فبلغت الدّعوة جمـيع الأقطـار، وشاعت وذاعت في جميع الأمصار، واشتهرت اشتهار الشمس في رابعة النّهار، وهي مقرونة ببراهينها محفوفة بآياتها ومعجزاتها، والنّاس بين مصـدّق مـنقاد ومكـذّب رادّ، وملـبّس بالسحر، كأهل العناد والإلحاد، ولكن يـأبى الله إلاّ أن يـتم نـوره، ويتضاعف ظهوره، ونبيّنا محمد ﷺ في المرة الأولى يدّعـي النـبوّة والرسـالة ويقرنها براهينها وآياتها ومعجزاتها، وفي المرّة الثانية والثّالـثة كذلك، وهكذا إلى العاشرة مثلاً، فإذا ادّعى نبيّنا محمّد ﷺ النبوّة في المـرّة الحاديـة عشرة، ولم يأت لها مثلاً بآيات اكتفاء بالآيات والمعجزات المتقدّمة المعلومـة عـند مـن ادّعـى النّـبوة والرّسـالة أو عجـزاً عـن الإتـيان بالآيـات

---

(١) الآية المتقدمة وهي قولـه تعالى ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ﴾ الإسراء: ٥٩.

والمعجـزات، أو إغراء بالجهل، أوليس قد قامت الحجّة وارتفع العذر بمعلوميّة وجود الآيات والمعجزات في المرار السّابقة؟

فـإن قلـت: إنّ ذلـك لا يغـني عن الإتيان بها في المرّة الحادية عشرة، ولا تثبـت النـبوّة والرّسـالة عـلى أهـل المـرّة الحادية عشرة حتى يشاهدوا الآيات والمعجزات المقترنة بتلك الدّعوى.

قلـت لـك: فأنـت الآن يـا نصـراني قد كنت بلا نّبي لك، إذ لم تشاهد آيات نبوّة عيسى عليه السلام ولا شيئاً من معجزاته.

فـإن قلـت: بالفـرق بـين حياة النبيّ ﷺ وموته[1] لتمكنّه في الأوّل من الإتيان بالآيات والمعجزات بخلاف حلال الموت فيه.

قلـت: هـو فرق غير فارق ضرورة أنّ الموت والحياة ليس لهما مدخليّة في صـدق دعـوى النـبوّة، فـإذا ثبتـت بمعجـزاتها وآياتهـا في موطـن من المواطن استمّرت إلى أن يوجـد نـبيّ آخـر بمعجزات وآيات تنسخ نبوّة من قبله، وعلى ذلـك استـقّرت الشّـرائع والأديان. ونفس التمكّن من المعجزة ليس شرطاً في صـحّة دعـوى النبوّة، ولا مدخليّة لـه بعد تمامها وظهورها وآياتها ومعجزاتها وبراهيـنها. ومـثال ذلـك في شـاهد لا يجهل أنّه لو كانت لك حاجة لزوميّة لا

---

(١) في المخطوط: وبين موته.

مناص لك عنها، وهي منحصرة في مصر من الأمصار، ولا تحصل لك إلاّ بمسيرك إلى ذلك، ولكنك لم تعلم أين جهته وأين طريقه.

ثمّ أخبر الدّليل الحاذق غيرك بجهته وطريقه وقد علمته من ذلك الغير؛ فهل ترى أنك لو سرت إلى تلك الجهة من ذلك الطّريق يكون سير تيهٍ وجهالة وتغرير وضلالة أو سير اعتدال وانتظام واستقامة.

فإن قلت: بالأوّل وأنّ الثاني متوقف على سؤال الدّليل؛ كذبك الوجدان والعقل وكافة العقلاء إن كنت منهم؛ وإلاّ فالكلام معك شطط، وحينئذ فلا محيص عن الثّاني، فالحاجة اللّزوميّة فيما نحن فيه هي نبوّة النّبي ﷺ ورسالته من الله جلّ وعلا، وشخص النّبي هو المصر الّذي عنده، وفيه تلك الحاجة، وآيات تلك النّبوة ومعجزاتها هي الدّليل، فافهم ضرب المثل ﴿وَلِلّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَىَ﴾(١).

إذا عرفت هذا فهل ترى أنّه لو طلب أهل الحادية عشرة من النبيّ ﷺ أن يأتيهم بآيات ومعجزات لنبوّته ورسالته؟ يجيبهم النبيّ ﷺ أنّي قد أتيت بالآيات والمعجزات لمن قبلكم، فكذّبوا بها، وأنتم تعلمون ذلك، فلو جئتكم بآيات ومعجزات لكذّبتم بها كما كذّب من قبلكم، فلا أجيبكم إلى ما طلبتم أبداً، وحينئذٍ فهل تقول: إنّه يقبح هذا الكلام من النبيّ ﷺ؛ لكونه إغراءً

---

(١) النحل: ٦٠.

للطّالـبين بالجهالـة، أو أنّـه تضـييع لهـم في تديّنهم، أو لكونه قد أعرض عن دعوى النّبوة والرسالة، أو لكونه مفترياً كاذباً في دعواها؟

وهـذه الاحـتمالات الأربعـة فاسـدة ضـرورة أنّ آيات النبوّة ومعجزاتها ليسـت لعباً ولا لهواً ولا عبثاً، وإنّما هي لأجل ثباتها وقرارها في قلوب النّاس وقـد كانـت ثابـتة مستقرة قبل ذلك ومعلومة كما هو المفروض، فلا إغراء ولا تضـييع ولا إعـراض ولا افـتراء، بـل العبارة المارة حسنة في الغاية، وصحيحة مسـتقيمة في الـنّهاية لا يـردّها إلاّ خـامل أو جـاحد أو معـاند، فـإذا أنزل الله سـبحانه وتعـالى عـلى نبـيّه محمّد ﷺ آية قرآنيّة دالّة على معنى تلك العبارة فـأيّ دلالـة فـيها أو إشـعار على عدم مجيء محمّد ﷺ بالآية الدالّة على نبوّته ورسالته؟.

والحاصل أنّ قولـه تعالى: ﴿**وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُـونَ**﴾(١) هـل يصـح أو يحسن انطباقها على ما فرضنا من الأحوال الأحد عشر، بأن تكوين العشر الأول ذات آيات ومعجزات دون الحادية عشرة، فإنّها خالية منها لتكذيب الأوّلين أو لا يحسن التّعبير لذلك بمثل هذه العبارة؟

فإن قلت: بالأول كانت الآية الشّريفة دالّة على أنّ محمداً ﷺ قد أثبت نـبوّته ورسالته بالآيات والمعجزات كعيسى عليه السلام وغيره من الأنبياء، ولا يقدح

---

(١) الإسراء: ٥٩.

في ذلـك ولا يضـرّه خلـو الحالـة الحاديـة عشـرة مـن الآيات والمعجزات لقلّة التكذيب من الأوّلين، مع أنّ الإتيان بها في المرة الحادية عشرة يشبه تحصيل الحاصل، واحتمال الاذعان والانقياد بالتكرير والتّأكيد منفي بمعلوميّة الإلحاد والعناد.

وإن قلـت: إنّه لا يحسن التّعبير لذلك ولا تنطبق الآية القرآنية الشريفة على ما ذكر.

قلـت: المحاكمـة بينـنا وبينك عند أهل اللّسن العربية فارجع إليهم تجد أذواقهم وأفهامهم حاكمةً بما نقول، ومزيّفة لما به تصول.

فـإن قلـت: إنّ المـراد مـن الأوّلـين هـم الأُمـم السّابقة على محمّد ﷺ بالنسبة إلى أنبيائهم لا بعض أمّة محمد ﷺ كما فرضت.

قلـت: هـؤلاء الـبعض من أُمّة محمّد ﷺ الّذين ادّعى عليهم النبوّة في أوّل زمانه هم أوّلون بالنّسبة إلى من ادّعى عليهم في وسط زمانه وآخره أو لا؟

فإن قلت: هم أوّلون حقيقة.

قلت: لزمك انطباق الآية القرآنيّة عليهم.

وإن قلت: إنّهم ليسوا أوّلين.

قلـت لـك: يكذّبـك أهـل اللّسـان مـن أهل الفصاحة والبلاغة، ومن يعـرف أسـاليب تراكيـبهم، وجمـيع ذلـك ـ إذا راجعـت نفسـك وأنصـفت خصمك واتقيّت ربّك ـ تجده حقاً وتعلمه صدقاً.

الاحتمالات الواردة في معنى [الآية] الشريفة:

وبالجملة فتكثر المقال بتكثير الاحتمال لإيضاح الحال نقول: إن الآية الشّريفة القرآنيّة قد اشتملت على لفظين: «الآيات» و«الأوّلون» والألف واللاّم في كليهما، وهي إمّا لتعريف الجنس أو الاستغراق أو العهد؛ فهذه ثلاث صور تضرب في احتمالي الأوّلين من الحقيقة والإضافيّة، ترتقي إلى ست صور، وهذه الصور الست تضرب أيضاً في الاحتمالات الثّلاثة الأوّل في الآيات، فترتقي إلى ثماني عشرة صورة.

امّا صورة كون الألف واللاّم في الآيات استغراقيّة، فقد مرّ بيان فساده فتبطل حينئذٍ جميع احتمالات الأوّلين، وهي ست صور حاصلة من كون احتمال الأولية حقيقة مع احتمال كون «ال» فيها استغراقية أو جنسيّة أو عهديّة على هذا الفرض، ومن احتمال كون إضافية مع الاحتمالات الثّلاثة لـ «ال».

وامّا صورة كون أنّ الجنسية[1] في الآيات فمحصّله على هذا الفرض يكون: وما منعنا أن نرسل بجنس الآيات إلاّ أن كذّب الأوّلون بجنسها، وهو يرجع إلى العموم؛ لأنّ التّكذيب بالجنس غير التكذيب بالآحاد، حيث إنّ معناه إن ما تسمّونه آيات ليس كذلك، وإنّما هو سحر، فيلزمه أن تكون كلّ

(١) في المخطوط: أن جنسية.

آية سحراً وجدت أو لم توجد، وصوره على هذا ست، كما في صور كون «ال» استغراقيّة في الآيات والجواب ويزيد على هذا ما مر فيما تقدّم أيضاً.

الثالث من صور «ال»: كونها عهديّة في الآيات، وهي باعتبار ضم الصّور السّت في الأوّلين إليها تكون ست صور، إلاّ أنّ العهديّة تنقسم إلى احتمالين:

أحدهما: معهوديّة الوقوع من لدن آدم عليه السلام إلى عيسى عليه السلام.

الثّاني: عهدية السؤال والطّلب من نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله وسلم.

أمّا العهديّة على الاحتمال الأوّل فهو من العموم، والجواب يعلم مما تقدّم في الجواب عن العموم؛ لأنّ محصّل الآية الشريفة على هذا يكون: وما منعنا أن نرسل بكلّ آية أتينا بها معجزة لكلّ نبي من آدم إلى محمّد صلى الله عليه وآله وسلم الخ.

واما الاحتمال الثّاني فيكون معنى الآية الشريفة: وما منعنا أن نرسل بالآيات الّتي أوقفناها معجزة لبعض أنبيائنا المتقدّمين عليك الّتي عينّها وشخّصها بعض قومك بسؤالها وطلبها منك يا محمد.

وهذا الاحتمال الثّاني بضم الصّور الستّ في الأوّلين يكون ست صور باعتبار استغراقيّة الألف واللام في الأوّلين وجنسيّتها وعهديّتها، مع كون الأوّلين هم الحقيقيّون أو الاضافيّون.

أمّا الحقيقيّون الّذين هم خصوص قوم شيث فغير مراد لضرورة وجود الآيات والمعجزات لكلّ واحد من الأنبياء الّذين بعده؛ لأنّ معنى الآية على

هـذا الـتّقدير: إنّا لم نرسل آيات ولا معجزات لإثبات نبوّة من بعد شيث من الأنبـياء، حيـث إنّ قومـه قـد كذّبـوا بآيات نبوّته ومعجزات رسالته استغراقاً لجمـيع قومـه، أو إنّ المكـذّب جنسهم أو بعضهم المعهود على الاحتمالات في الألف واللام في الأولين، فتبطل حينئذ الصّور الثّلاث.

وأمّـا فـرض إرادة الأولّـين الإضـافيّين فهـي أيضـاً ثلاث صور، باعتبار عمـوم ال أو جنسـيّتها أو عهديّـتها فـيكون المعـنى على الأوّل أنّه ما منعنا أن نرسـل بالآيـات الخاصّـة المعهـودة إلاّ أنّـه قد كذّب بها كلّ واحد من الأوّلين الإضافيّين.

و[على] الثاني: قد كذّب بها جنس الأوّلين،

و[على] الثّالث: قد كذّب بها أنّاس معهودون مخصوصون.

فهذه ثلاث صور:

أمّـا الأولى: فيبطـلها ضـرورة وجود المصدّقين الّذي[1] لا ينافيه تكذيب غيرهم.

والثّالـثة: يبطلها أنّه خلاف سياق الآية الشريفة، فيتعيّن الثّاني كما يدلّ علـيه السيّاق، فيكون على هذا أنّ معنى الآية الشريفة القرآنيّة أنّه ما منعنا أن نرسل لمحمد ﷺ بالآيات الّتي اقترحتها قريش الّتي هي مثل الآيات المنزلة على

---

(١) في المخطوط: الذين.

بعض الأنبياء شخصاً، كعصى موسى عليه السلام، حيث كانت ثعباناً، وضربه البحر حتى كان يبساً وطرقاً يفصل بينها حيطان ماء ذي شبابيك وفرج، إلاّ أن كذّب بها جنس الأوّلين، ونسبة التكذيب إلى الجنس باعتبار الآحاد لا الجنس من حيث هو؛ لعدم المعقوليّة فلا ينافي ما تقدّم في بطلان كون ((أل)) جنسيّة في الآيات.

وهذا الوجه هو المتعيّن في الآية الشّريفة بعد بطلان السبع عشرة صورة كما عرفت، ويدل على إرادة الوجه المذكور بعد سياق الآية الشريفة عود ضمير ((كذّبوا بها)) كما لا يخفى على العارف بالتراكيب العربيّة.

فإن قلت: ألستم يا معاشر المسلمين تذهبون إلى أنّه لا يجوز تفسير قرآن نبيّكم بالرأي، وأنّ من فسّره برأيه فليتبوأ مقعده من النّار، وقال الله سبحانه وتعالى فيه: ﴿ومَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ الله وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾(١) ؟

قلت: التفسير هو كشف المغطى، من باب: ((أسفرت المرأة عن وجهها)) أي كشفته، والتأويل هو معنى خلاف الظّاهر من الأوضاع الحقيقيّة والمجازيّة، وما ذكرناه ليس شيئاً منها، وإنّما هو تشخيص للمراد، وتعيين له بمقتضى الأساليب اللفظيّة والتّراكيب العربيّة، أليست ((أل)) في العربية للجنس(٢) والاستغراق والعهد؟ وهي داخلة على الأوّلين والآيات في الآية الشّريفة

(١) آل عمران: ٧.

(٢) في المخطوط: للجنسية.

القرآنية، أو ليست إلاّ حقيقية، وهي الّتي ليس قبلها شيء، أو ليس فيها إضافيّة باعتبار ما بعدها واعتبار ما قبلها ليست أوّلا، وانّما هي آخر، فإذا لوحظت تلك مضروبة إلى الصور الثماني عشرة المذكورة[١]، فيتعين للإرادة واحدة منها لبطلان ما سواها، أو مع قيام دلالة الإشارة على تعيينها.

استدلال النصراني بما في تفسير البيضاوي:

وأمّا ما استشهد به ممّا نقله عن تفسير البيضاوي للآية الشريفة فهو أجنبي عن ذلك كما تراه عبارته، وهي هذه قال: **﴿وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ﴾**[٢] أي ما صرفنا عن الآيات الّتي اقترحتها قريش إلاّ تكذيب الأوّلين الذين هم أمثالهم في الطّبع كعاد وثمود

أقول: انظر إلى تقييده الآيات بالّتي اقترحتها قريش، فهل تراه ينطبق على العهديّة الّتي ذكرنا أو لا؟

فإن قلت: نعم كان شاهداً لنا لا علينا.

وان قلت: لا، قلت لك: فالتقّييد المذكور لغو، بل كون طلب الآيات من قريش شاهداً آخر على ما نقول، مع أنّه لم يتعرّض لحال غير قريش كأهل

---

(١) في المخطوط: الثمانية عشر الصورة المذكورة.

(٢) الاسراء: ٥٩.

البوادي وأهل المدينة وغيرهم من أهل الأمصار، بل هو شاهد ثالث أيضاً على ما نقول، ثمّ قال بعد ذلك كعاد وثمود، وهذا شاهد رابع على أنّ الآيات الّتي اقترحتها قريش على نبيّنا محمّد ﷺ هي التي كذّب بها عاد وثمود، فهي آيات معهودة مخصوصة، فعدم إتيان نبيّنا محمّد بها لا يدل على عدم إتيانه بغيرها كما لا يخفى.

قال: وإنّها لو أرسلت لكذّبوا بها تكذيب أُولئك واستوجبوا الاستئصال على ما قضت به سنتنّا، وقد قضينا أن لا نستأصلهم؛ لأنّ منهم[1] من يؤمن أو يلد من يؤمن[2]. انتهى كلام البيضاوي.

أقول: لعلّ الوجه في استلزام التكذيب للاستئصال هو خصوصيّة في تلك الآيات المعهودة.

معجزة القرآن الكريم:

قال بعد ذلك صاحب الكتاب ما محصّله: إنّ قولكم معاشر المسلمين إنّ القرآن معجزة لنبيّكم ﷺ غير صحيح، إذ المعجزة ليس إلاّ حادث يحدث خلاف مجرى الطبيّعة وناموسها، فإماتة حي بطريقة ما لايعدّه معجزة لحدوثه وفق ناموس

---

(١) في المخطوط: فيهم.

(٢) في المخطوط: لأن فيهم من يؤمن أو من يولد له مؤمن.

الطبّيعة، ولكن إحياء الميّت بواسطة دعاء أو أمر يُحسب معجزة لحدوثه خلاف ناموس الطّبيعة، وعليه فتأليف أو تصنيف كتاب ما، وفي نهاية البلاغة والفصاحة لا يعدّ معجزة، بل من نوادر وغرائب الإنسان، وإنّ حسبنا القرآن بناء على سموّ بلاغته وفصاحته معجزة يلزمنا [القول بأنّ] كثيراً من أشعار العرب وخطبهم معجزات؛ لما هي عليه من نهاية البلاغة والفصاحة.

أقول: اما إماتة الحي بأسباب القتل عادة كالسّم والقتل فليست معجزة يقيناً، وأمّا لو قال النبيّ ﷺ: إنّي سأميت هذا الرجل بدعائي لله عزّ وجلّ في السّاعة الفلانيّة تصديقاً لنبوتّي ورسالتي من الله جل وعلا، ووقع ذلك كما قال النّبي ﷺ فهو معجزة؛ لأنّه خلاف ناموس الطبيعة.

وقوله: **فتأليف وتصنيف**... الخ: يشير به إلى أنّ قرآن نبينا محمّد ﷺ ليس منزلاً من عند الله وأن قوله تعالى فيه: ﴿**تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا**﴾[1] ونحو ذلك كذب من نبيّنا محمّد ﷺ على الله، ولكن سيجزيه وصفه بما قال.

أقول: إن هذا الرجل كثير النّسيان، أو إنّه يكتب ما يجري على لسانه من غير التفات إلى مناقضة كلامه؛ لأنّه قال إنّ المعجزة حادث يحدث خلاف مجرى الطبيعة وناموسها، وحينئذٍ فهل البلاغة مرتبة واحدة أو أنّها مراتب

---

(١) الفرقان: ١.

متعدّدة.

فإن قلت: هي مرتبة واحدة فقد كذبك الوجدان من طريقة أهل اللّسان، فإنّهم يصفون الكلام بالبليغ، والأبلغ قد يكون إضافيّاً، بأن يكون الأبلغ بالنّسبة إلى ما تحته بليغاً بالنسبة إلى ما فوقه، وهكذا حتى تنتهي البلاغة إلى مرتبة يعجز البشر عن الإتيان بمثلها، وهذه الرّتبة بهذا الفرض إذا جاء بها أحد تصديقاً لنبوته ورسالته، فلِمَ لا يكون معجزة؟ أو ليست هي ما يعجز البشر عن الإتيان بمثلها؟ أوليست المعجزة ما كانت خلاف مجرى الطّبيعة وناموسها، كما هي عبارتكم أو تناسيتموها.؟

وأما قوله: من نوادر وغرائب الإنسان...

فإن أراد أنّه لا يتمكّن منها إلاّ واحد من النّاس فهو عين ما نقول من إنه إذا أتى بها تصديقاً لدعوى النّبوة والرسالة كانت تلك الرّتبة من البلاغة آية ومعجزة للنّبوة، وبدون هذا الوجه لا يقدر عليها، وإن أراد من النّوادر خصوص أناس من أهل العربيّة الأصليّة فهو باطل؛ لأنّهم معترفون بالعجز عن الإتيان بمثل القرآن في البلاغة، كيف لا وهو بمرأى منهم ومسمع، وقد عارضهم نبيّنا محمّد ﷺ به والعرب مع عتوّهم وإنكارهم لنبوّته اختاروا السيّف والقتل، ولم يجسروا على القول بأنّهم يأتون بمثله، بل الّذي تصدّى

منهم ولم يستنكف من الفشل والخجل ركّب جملة ((والقتل انفى القتل)) [١] في مقابلة ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾[٢] ولكن انظر إذا عُرِضت العبارتان على أهل الصناعة العربيّة والعارفين بالبلاغة والفصاحة كيف تجدهما سماءً وأرضاً، ونوراً وظلمةً، وحسناً وقبحاً، وغزارة لباب وتمويه سراب، مع الوحدة في عدد الحروف، مع أنّ في جملة ((والقتل)) الخ فناء العالم، يعني أنّ كلّ أحد أو كل قبيلة يقتل مقابله كي لا يقتل، بخلاف الآية الشريفة القرآنيّة الّتي مؤدّاها ومعناها الحياة، يعني أنّ كلّ أحد إذا علم أنّه لو قتل غيره عدواناً قتل به قصاصاً؛ ارتدع عن ذلك، وبقيت النّفوس على الحياة، وأنّه إذا قتل أولياء المقتول القاتل استقرّت حياتهم وتشفّت نفوسهم بزوال هضمهم وغبنهم كما لا يخفى الفرق بذلك.

فإن قلت: إنّ البلاغة حقيقة واحدة، كما يرشد إلى ذلك تعريفها بأنّه إيراد الكلام على ما يقتضيه الحال.

قلت: وحدة الحقيقة لا تنافي اختصاص بعض أفرادها بالزيادة، كما ترى في الحقائق النّوعيّة كالإنسان والفرس والبغل والحمار وغيرها، أو

---

(١) مجمع البيان ١: ٤٩١ في تفسير سورة البقرة آية: ١٧٩. قوله: ونظيره من كلام العرب: القتل أنفى للقتل.

(٢) البقرة: ١٧٩.

اختلاف أفراد الحقيقة النّوعيّة في القوّة والضّعف وغيرهما ممّا لا يمكن إنكاره. والبلاغة من هذا القبيل؛ ولذلك صحّ وصف الكلام بالبليغ والأبلغ.

ولعلك تقول: إنّ كون الكلام القرآني الشّريف أعلى ما يوجد في البلاغة حتى يكون معجزة لنّبوة محمد ﷺ يحتاج إلى دليل.

قلت: لا شكّ أنّه يحتاج إلى ذلك الدّليل، وهو العرض على أهل صناعة البلاغة، وقد اعترف الكل بالعجز عن الإتيان بمثله، كما لا يخفى على الملتفت غير الخامل أو المعاند، فهو معجزة لنبيّنا محمد ﷺ مستمرة إلى آخر الأبد، ومع ذلك فالخواص الموجودة في كلماته وآياته وسوره أكثر من أن تحصى، وقد برز إلينا قليل من كثير، وقد شوهدت عياناً؛ فلو لم يكن القرآن الشريف نازلا من عند الله على سيّد رسل الله ﷺ لكان كتأليف المؤلفين وتصنيف المصنّفين؛ خالياً من تلك المزيّة، فاقداً لتلك الخواص غير دلالة ألفاظه على مداليله، والمسلمون يعرفون بعض الخواص، كما قد أرشدهم إليها أهل الاختصاص، ولا يمكن أن يكون كلام الله سبحانه المنزل لتصديق نبوّة نبيّنا محمد ﷺ إلاّ في أعلى مرتبة البلاغة الّتي يعجز أن يأتي بها غيره، ومن ذلك تعرف ما في قوله: ((يلزمنا أن نحسب كثيراً من أشعار العرب... الخ)) بل أشعار العرب وخطبهم مختلفة في البلاغة والأبلغيّة أيضاً، فما لم تصل بلاغة الكلام إلى حد يعجز عنها جميع البشر لم تكن معجزة ولا تنفي أصل

البلاغة غير المعجزة[١] عن الكلام العربي في النّظم والنّثر.

ومن ذلك تعرف قوله: **كالقصيدة المشهورة التّي مطلعها: قفا نبك**[٢]... الخ وضرب المثل بها في قولهم: «أشهر من قفا نبك» لا يدلّ على أنّها في أعلى درجة البلاغة. والجواب عن غيرها ممّا مثل به كالجواب عنها.

دعوى اقتباس القرآن الكريم من التوراة:

قال في شأن القرآن الشريف: **إن أكثر وأجلى القضايا الشرعيّة فيه مقتبسة من كتاب التّوراة، وجميع القصص فيه ما عدا قصّتي هود وصالح، مسبوكة بقالب الفصاحة والعربيّة مكرّرة فيه مراراً عديدة**... إلى آخر كلامه.

ثمّ بعد ذلك قال: **فإذا نسخنا من القرآن ما هو مقتبس من التّوراة مأخوذ عنها من الشرائع والسيرة لا يبقى فيه ـ كما لا يخفى ـ إلاّ ما يستحق الذكر.**

أقول: هذا غاية ما عند هذا الرجل من القدح في كون هذا القرآن الشريف منزّلاً من عند الله على سيّد رسل الله ﷺ.

---

(١) في المخطوط: الغير معجزة.

(٢) الشعر والشعراء: ٥٠، مطلع معلقة امرئ القيس وهو:

قفا نبكِ من ذكرى حبيب ومنزل ... بسِقط اللوى بين الدخول وحومل

وأقـول أيضـاً: ألـيس أعلم النّاس من جمع[١] علم غيره إلى علمه، بحيث كـان عالمـاً بما عند غيره، وزاد على ذلك الغير بما اختصّ به، فقرآن نبيّنا ﷺ قـد جمـع مـا في جميع الكتب السّماوية المنزلة من عند الله سبحانه وتعالى على أنبيائه عليهم السلام من غير فرق بين التوراة والإنجيل وغيرهما، فهذه أشرفيّة وأفضليّة لـه عـلى غيره من جميع الكتب السّماويّة، كالأشرفيّة والأفضليّة لصاحبه نبيّنا محمـد ﷺ عـلى غـيره مـن الأنبياء، ولا ينكر ذلك إلاّ من لا يفرّق بين العالم والأعلم، والشريف والأشرف، أوليس الجامع أكمل من النّاقص؟

الجواب على التكرار في موضوعات القرآن الكريم:

وأمّـا القدح بالتّكرير لا بأصل الجامعيّة فلا يصير إليه إلاّ فاقد البصيرة، الجـاهل بالتراكيب العربيّة والأساليب الفصيحة البليغة، ذات المزايا والنّكات والـرّموز والإشـارات إلى دقـائق الاختراع وعجائب الصنع والابتداع، المحتوي علـيها بحر القرآن وعجائب الفرقان، المنزل من الرّحمان على رسوله ﷺ على سيّد ولد عدنان.

وبالجملـة فلـنذكر مـن الـتكرير ما قصّه الله سبحانه في قرآن نبيّنا محمّد ﷺ في شأن خلق آدم عليه السلام وسجود الملائكة حتى يعرف منه غيره.

---

(١) في المخطوط: جميع.

قال سبحانه وتعالى في سورة الحجر: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلآئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ * قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ * قَالَ لَمْ أَكُن لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ * قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ * قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ * إِلَى يَومِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ * قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾(١).

وقال سبحانه في سورة طه: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا * وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلا إِبْلِيسَ أَبَى * فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى * إِنَّ لَكَ أَلا تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَى * وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَى * فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى * فَأَكَلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى * ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى * قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى﴾(٢).

---

(١) الحجر: ٢٨ ـ ٤٠.

(٢) طه: ١١٥ ـ ١٢٣.

وقال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ * وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَـؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ * وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ * وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ * فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ * فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[١]، وفي سورة الأعراف ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ * قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ *

---

(١) البقرة: ٣٠ ـ ٣٨.

قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ * قَالَ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ * قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ * قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْؤُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ * وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ * فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ * وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ * فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَآنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ * قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾(١).

فأمّا الآية الأولى: فمدلولها خطاب الله جل وعلا للملائكة بأنه سيخلق بشراً وأنّه من كذا، وبعد تسويته الّتي هي تصويره ثمّ خلقه تعالى روح آدم فيه المعبّر عنها بالنّفخ، ونسبة الرّوح المذكورة إليه تشريفاً وتعظيماً، كما نسبت

(١) الأعراف: ١١ ـ ٢٣.

مواضع العبادة كالمساجد والكعبة المشرفة إليه بكونها بيوت الله، وهي حوادث إمكانيّة كونيّة كروح عيسى عليه السلام قد اخترعها لا من شيء ولزوم السّجود على الملائكة عبودية وطاعة لله سبحانه وتعظيماً وتشريفاً لآدم.

ثمّ ذكر سبحانه امتناع إبليس من السجود وسؤاله عن سبب الامتناع وهو سبحانه العليم بذلك؛ ولكن لأجل إظهار ما خفي على غيره. ثمّ أخبر بعد ذلك بطرده وإبعاده عن رحمته، فلمّا علم ذلك أخذ في التّوعّد بهلاك الخلائق بالغواية والإضلال عن طرق الهداية.

وفي سورة[١] طه: إنّه سبحانه بيّن فيها أنّ امتناع إبليس عن السجود لآدم عداوة له ولزوجه، وإنه سيسعى في حرمانكما تلذّذات الجنان، فلا تطيعاه فأخبر سبحانه بأنّه غرّهما حتى خالفا أمر ربّهما، ولكن تابا فتاب عليهما، إلاّ أنه تعالى اهبطهما من الجنّة، فانظر إلى الفرق بين الآيتين في أنّ كلاً منهما يفيد غير ما تفيده الأخرى.

وكذلك سورة[٢] البقرة فإنّه تعالى أخبر الملائكة بأن سيجعل له خليفة في الأرض، وهو رتبة متأخرّة بعد الخلق، ولو قلنا: إنّ الجعل المذكور بمعنى الخلق فقد تضمّن أيضاً زيادة قيد كونه خليفة، وهذا غير مذكور في الآيتين

---

(١) في المخطوط: آية.

(٢) في المخطوط: آية.

المتقدّمتين.

ثـمّ بـيّن بعـد ذلـك للملائكة جهلهم فيما قالوا، وعرض الأسماء على الملائكـة بعـد تعلـيم آدم إيّاهـا وجهلهم بها، وهذا كله غير مذكور في الآيتين المتقدّمتين.

ثـمّ بعـد ذلـك أمر الملائكة بالسّجود لآدم، وهو وإن لم يكن لخصوص جعلـه خلـيفة فلـه ولأصـل خلقـه، وهـذا كمـا تـرى ليس مذكوراً في الآيتين المتقدّمـتين، مـع أنّـه تعـالى بيّن ما في باطن إبليس من الكفر والتكبّر، وليس مذكوراً في الآيتين.

ثـمّ بعـد ذلـك أمر آدم وزوجته بسكنى الجنّة وليس مذكوراً في الآيتين، وكذلـك نهـيهما عـن قـرب الشّـجرة، وفـيها أنّـه عبّر بأزلّهما من الزلّة، أي الخطيئة الّتي هي السبب في إخراجهما من الجنّة، وليس مذكوراً في الآيتين.

وفـيها: بعـد الهـبوط إلى الأرض حصـول العداوة والاستقرار إلى حين، وهو ليس مذكوراً في الآيتين.

ثـمّ بـيّن تعـالى أنّ آدم قـد توسـل إلى الله سبحانه بكلمات فتاب عليه لعظم تلك الكلمات وجلالتها؛ ولم يكن ذلك في الآيتين.

وفي سـورة الأعـراف أنّـه تعـالى أخـبر بـالخلق الّـذي هـو إيجـاد المـادّة وبالتّصـوير الّـذي هـو إحـداث الصّـورة إمّـا عمومـاً، فيدخل آدم وحوّاء، أو خصوصـاً، والتعـبير بالعموم لأجل التّعظيم، وبهذه الكيفيّة ـ كما ترى ـ غير

مذكور في الآيات المتقدّمة.

ثـمّ بعد ذلك سأل سبحانه إبليس عن ترك السّجود، فأجاب بالقياس، وهـو أنـه مخلـوق مـن النار، وآدم مخلوق من الطّين، فيكون خيراً من آدم، فلا يسـجد له؛ لأنّ المخلوق من الأشرف أشرف، ولكن قياسه فاسد؛ لأنّه لم يكن مخلوقـاً مـن النّار التي فوق الطّين، وإنّما هو مخلوق من نار الجحيم، وعلى كلّ حال فهذا غير مذكور في الآيات المتقدّمة.

ثـمّ أمـر إبليس بالهبوط وأنّه ليس له التكبّر، وأنّه ذليل صاغر، وهذا ـ كمـا تـرى ـ لـيس مذكـوراً في الآيـات المـتقدّمة، ثمّ قال إبليس لعنه الله: إنّه سـيقعد للـنّاس أو للأعمّ عند صراط الله المستقيم الّذي هو دين الله، فلا يدع أحـداً يدخلـه، بل يحتال للمنع عنه من الأمام والخلف والأيمان والشمائل على حسب قدرته إلاّ [من] عصمه الله تعالى.

الـلهم إنّـا نقسـم علـيك ونتوسّـل إلـيك بأحـبّ خلقـك محمّد نبيك ورسولك ﷺ إليك، ومن تبعه الذي عنده علم الكتاب الّذين هـم عند الله لا يسـتكبرون عن عبادته ولا يستحسرون، يسبّحون اللّيل والنّهار لا يفترون؛ أنّ تعـيذنا مـن الشّـيطان وكـيده ومكـره وخدعـه وأمانيه، وغروره وفتنته وشركه وأحزابه وأتباعه، وهذا كما ترى ليس مذكوراً في الآيات المتقدّمة.

ثمّ قال تعالى: ﴿لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـٰذِهِ الشَّجَرَةِ...﴾[1] إلى آخر الآية، وهذا كما ترى ليس مذكوراً في الآيات المتقدّمة، وتكرير بعض الكلمات توطئة لما[2] يترتب عليه من إخبار تأسيسي عن غرائب البلاغة والفصاحة كما لا يخفى.

ومن ذلك يتّضح لك الجواب عن التكرير في حديث نوح وطوفانه وحديث إبراهيم وبشارته، وحديث لوط وإنذاره قومه وهلاك سدوم[3] وحديث إرسال موسى من الله إلى فرعون لإخراج بني إسرائيل من مصر.

فهو سبحانه وتعالى بهذا التكرير يرينا إعجاز البلاغة والفصاحة حتى تكون على بيّنة وهدى من نبوّة نبيّه ورسوله محمد ﷺ بن عبد الله، ولكن هذا الرّجل لما رأى ذكر آدم وسجود الملائكة له توهّم التّكرير جهلاً منه ببلاغة الكلام وفصاحته، أو لم يعلم أنّ القادر على أداء مقصوده بالعبارات البليغة الّتي هي المطابقة لمقتضى الحال قد يقتضي الحال أن يعبّر بالجنس، وقد يقتضي التّعبير بالنّوع، وقد يقتضي التّعبير بالصنف أو تعدّد الجنس أو النّوع أو الصّنف، الحاصل ذلك من لحاظ جهات الواقعة أو لحاظ أحوال المخاطبين،

---

(١) الأعراف: ٢٠.

(٢) في نسخة بدل: لبيان ما يترتب عليه.

(٣) من المدائن الخمس: التي أرسل الله لوطاً إليها. انظر قصص الأنبياء: ١٥٩ في قصة لوط عليه السلام وقومه.

أو لحاظ أهل الواقعة في البعض أو الكل، اجتماعاً في البعض أو الكل أو انفراداً، وقد يكون التّعبير للتّعريض كما لا يخفى؟

وقد عرفت تعدّد الجهات في مثال آدم وسجود الملائكة، ونمطه يجري في القصص الأُخرى[١]، على أنّه لو كان تكريراً حقيقيّاً ليس في كلّ قصّة مغايرة، فالتّأكيد اللّفظي كجاء زيد، أو المعنوي كجاء القوم أنفسهم كلّهم أجمعون أكتعون أبصعون أبتعون[٢]؛ عربي فصيح بليغ، وفي القرآن غايتهما ونهايتهما كما لا يخفى.

وأما قوله: إذا نسخنا من القرآن ما هو مقتبس من التوراة... الخ.

فنقول: إنّه إذا لوحظ ما في القرآن الشريف من القصص يبلغ الرّبع ومع التنزّل يبلغ الثّلث، فالثّلثان اختراع جديد، وتنزيل من حكيم حميد، على قلب سيّد المرسلين الجامع لدين نبّي المسلمين، بظواهره وبطونه وتأويله، ولكن لا يعلم جميعه إلاّ الله والرّاسخون في العلم، ومع هذا فالجميع بأساليبه وتراكيبه اللّفظية آية إعجازيّة في أعلى درجة البلاغة، وأرفع منزلة الفصاحة يميزهما أهلهما.

---

(١) في المخطوط: الأُخر.

(٢) قالت العرب: ومررت بهم أجمعين أكتعين أبتَعين: على الإتباع . انظر المحيط في اللغة ١: ٤٤٨ مادة بتع.

ومن هذا كلّه ظهر ما قوله:

وأيّ نوع منه معجزة؟ وما دليل ذلك؟ ثمّ قال: على فرض أنّ محمّدا ﷺ أتى بأجمعه لا يدخل ذلك ضمن دائرة المعجزة كما لا يخفى.

أقول: هذا الرّجل يتخيّل أنّ المعجزة هي مجموع القرآن أو لم يعلم أنّ كلّ آية منه معجزة؟ سواء كانت من القصص أو الحكايات أو من الأحكام أو غيرها، وقد عرفت الوجه في ذلك.

قال: بل لا يزال في إمكانيّة القوى العقليّة.

أقول: إذا كان كذلك فما الّذي منعك أنّ تأتي بمثل آية منه حتى تعرضها على أهل صناعة البلاغة والفصاحة، فيكون حجّة لك، وإلاّ كان قولك مجرّد دعوى كما لا يخفى، والقلم واللّسان يقولان الصّدق والكذب والحق والباطل.

لا ملازمة بين كون الكتب السماوية إلهية والاعجاز:

قال: وإنّ الوحي بالتوراة والإنجيل مع كونه فعلاً إلهيّا لا يقال: إنه معجزة، بل وحي اقتضى وقوع المعجزات لإثبات كونه وحي الله تعالى.

أقول: إنه لم يقل أحد بأن جميع الكتب المنزلة من الأنبياء أو بعضها على الإعجاز في البلاغة والفصاحة، إذ هما فعل حكيم يوقعهما حيث يحصل محلّهما، وأهل زمان كلّ نبي مختلفون فيما يتعاطونه ويتفاخرون به

ويتباهون.

فنبّي الله إدريس خرج في زمان [أهله](١) يتباهون ويتفاخرون بعلم النّجوم والحساب؛ فكان له أعلاها وأسناها، بحيث كان له معجزة لنبوّته ودليلاً على رسالته، إذ قد عجزت أمّته ورعيّته عن نيل مرتبته.

وعيسى عليه السلام قد خرج في زمان يتعاطى أهله بالطبابة والحكمة، ويتباهون ويتفاخرون فيها، فكان له النصيب الأعلى والحظ الأسنى، بحيث قد عجز أهل زمانه عن الإتيان بمثل جزئي من جزئيات أفعاله، فكان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله.

ونبيّنا محمّد ﷺ قد خرج في زمان استقامة عربيّة العرب وفصاحتهم وبلاغتهم وشجاعتهم، فكانوا يتفاخرون بذلك ويتباهون به؛ فأنزل الله سبحانه قرآنه عليه في فصاحة وبلاغة قد عجز(٢) العرب المذكورون عن الإتيان بمثله؛ فكان معجزة لنبوّته وآية لرسالته، وكذلك شجاعته الّتي قد شاعت وذاعت في جميع الأقطار، فكان بذلك معجزة له أيضاً، بل كلّ نبيّ يجري له ما ذكرنا لإدريس عليه السلام وعيسى عليه السلام ومحمّد ﷺ ضرورة أنّه على مقتضى الحكمة، ولا يخلّ بها ولا يتركها الحكيم العالم القدير الرؤوف

---

(١) زيادة اقتضاها السياق.

(٢) في المخطوط: عجزت.

العطوف الرّحيم. سبحان من أتقن فعله وأتقن صنعه.

قال: لا ريب أنّ محمّداً ﷺ كان من أوّل طبقة في العقل والذّكاء.

أقول: الحمد لله الّذي جعل الخصم شاهداً معترفاً بهذه الشّهادة ضرورة أنّه إذا كان من أهل تلك الطّبقة.

فإمّا أن يجعله نبيّاً ورسولاً له أو لا، فإن لم يجعله كان جل وعلا مخلاً بالحكمة الّتي هي وضع الأشياء في محالّها ولكان لمحمّد ﷺ الحجّة على الله تعالى بأن يقول: إنّي أهل ومحلّ للنّبوة والرّسالة، فلِمَ منعتني ما كنت أهلاً له وقد أعطيتهما من هو مثلي وفي درجتي ورتبتي كنوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام؟

وإما أنه تعالى لا يُسأل عمّا يفعل، فلضرورة أنّه لا يفعل إلاّ على مقتضى الحكمة لا تشهيّاً ولا لهواً ولا عبثاً.

فإن قلت: إنّا نجد كافّة العقلاء يخصّون أماناتهم بعض من هو أهل لها مع عدم ائتمان البعض الآخر، وإن كان أهلاً.

قلت: الفرق جلّي ظاهر؛ لأنّ الفرض في فعل العقلاء هو نفس الحفظ لا غير، وهو يحصل من أيّ واحدٍ أراد، فلا يبقى ثمّة غرض لائتمان غير الأوّل، كما لا يخفى، بخلاف النّبوة والرسالة فإنّهما مع كونهما أمانة تقريب من هو أهل ومحلّ للتّقريب، واستخدام مَنْ هو أهل للخدمة، وإعزاز من هو أهل للمعزّة، وتوسيط من هو أهل للوساطة، وتعلية من هو أهل للعلو والرّفعة،

واختصــاص بمــن هــو أهل للاختصاص، فلو لم يتّخذه كذلك لكان جلّ وعلا تاركـاً لمقتضى الحكمة، فاعلاً خلاف الأولى، وهو قبيح يجلّ عنه الواجب الحق، والغـني الحكيم المطلق. وقد اعترفت بأنّ محمّداً ﷺ من أهل الطّبقة الأولى في العقل والذّكاء، وليسوا إلاّ الأنبياء.

فإن قلت: إنّه لا يلزم الحكيم المطلق أن يجعل النّبوة والرّسالة في كل من [هو] أهل لهما ولا قبح في ذلك لحصول الغرض، وهو تبليغ دينه وأحكامه من بعض من هو أهل لذلك .

قلــت: فـيلزمك حينئذٍ الاكتفاء بنبيّ ورسول واحد، فلِمَ تعدّدت الأنبياء والرسـل؟ ولا شـكّ ولا ريـب، بـل الضّـرورة العقلـيّة والدّينـيّة والوجدانـيّة [تقتضي] أنّ حكمة الحكيم الرّب الرّؤوف العطوف الرّحيم العالم القادر؛ أنّه لا يضيّع مخلوقاته ويتركهم كالبهائم من غير قيّم عليهم، يبيّن لهم ما فيه صلاح ديـنهم ودنياهم، وما يضرّهـم وينفعهم في كلّ زمان، أو يقرّبهم أو يبعدّهـم من الله تعـالى، بحيـث يكون الجميع محتاجين إلى بيانه وإرشاده، والتعلّم منه في كلّ شـيء مـن دقـيق وجلـيل، ولـيس محـتاجاً إلى أحـد مـنهم في شيء من ذلك؛ لاسـتغنائه عنهم بالوحي الإلهي والإلهام الرّباني، مؤيّداً مسدّداً من الله سبحانه ولـيس أحـد في زمـان نبيّـنا محمّـد ﷺ أهـلاً وقـابلاً لهـذه الرئاسـة الكبرى والسلطنة العظمى غير نبيّنا محمّد ﷺ؛ لكمال عقله وقوّة ذكائه، كما اعترف بـه الخصـم؛ فيتعـيّن هو لا غير للنبوّة والرّسالة، فقد أقررت بمقتضى فطرتك

نبوّة محمّد ﷺ ورسالته.

النقص على نبينا الأكرم ﷺ بكونه من نسل إسماعيل:

ثمّ اعلم أنّ هذا الرّجل صاحب الكتاب لا زال يصول ويجول على المسلمين بتكثّر المدح والبركة في النّسل، وتخصيص الهبة من الله سبحانه وتعالى لإبراهيم عليه السلام بإسحاق عليه السلام ويعقوب عليه السلام في قرآن محمّد ﷺ من غير جريان مثل ذلك في إسماعيل، وبزعمه أنّه المطابق لما حكته التّوراة والإنجيل وذلك منه تشبيه وتمويه على المسلمين بنقص إسماعيل وذريّته عن درجة إسحاق ويعقوب الّذي خرج منهما عيسى عليه السلام، فلا يكون محمّد ﷺ العربي الذي هو من ذريّة إسماعيل نبيّاً ورسولاً للنّقص المذكور.

فأمّا الهبة فقد قال سبحانه وتعالى في سورة الأنبياء: ﴿**وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً**﴾[1] وحقيقة النفل هي الزّيادة على الأصل الّذي به العماد وعليه القوام، فالآية الشّريفة تحكي من حيث التّقييد بالنّفل أنّ إسماعيل أشرف وأعلى درجةٍ ومنزلةً عند[2] الله سبحانه من إسحاق ويعقوب؛ ضرورة أنّ الأصل العماد، وما به القوام أعلى وأشرف، مع أنّ نفس الهبة في القرآن ليست خاصّة بهما، بل قد دخل فيهما إسماعيل أيضاً في آية من سورة إبراهيم

(١) الأنبياء: ٧٢.

(٢) في المخطوط: من.

عليه السلام في قولـه تعالى حكاية عن إبراهيم: ﴿الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ﴾(١).

وأمّا تكثّر المدح والبركة في النّسل فقد قال الله سبحانه وتعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام قبل الآية المذكورة: ﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ﴾(٢) فانظر أي مدح أعظم من ولاية بيت الله الحرام، وأنّ النّاس تقصدهم وتتبعهم من كلّ فجٍ عميق ووادٍ سحيق، ومن المعلوم اختصاص ذلك بإسماعيل، كاختصاصه بنبع زمزم له دون إسحاق ويعقوب.

وقال تعالى في سورة الصّافات: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ * فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاء الْمُبِينُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾(٣).

---

(١) إبراهيم : ٣٩.

(٢) إبراهيم : ٣٧.

(٣) الصافات: ١٠١ ـ ١٠٧.

فانظر كيف وصف الله سبحانه إسماعيل بأنّه بشارة لإبراهيم، ومدحه بأنّه الغلام الحليم، وأنّه من الصّابرين على الذّبح، ووصف ذلك البلاء المبين، وأيّ مدح أعظم من ذلك، ثمّ الفداء بعد ذلك بالذّبح العظيم وكل ذلك ببركة من يخرج من صلبه نبي الرّحمة وسراج الأمّة محمد بن عبد الله ﷺ وليس لأحدٍ أن يتوهم كون الغلام الحليم غير إسماعيل؛ لأنّ البشارة بإسحاق قد ذكرها الله سبحانه وتعالى بعد هذه الآية بلا فصل، وهي قوله تعالى: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ * وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾[١] وقد جعل البركة فيهما، وليست هي في إبراهيم إلاّ من حيث إسماعيل، كما لا يخفى على العارف بأساليب الكلام.

وقال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾[٢] الخ، ثمّ قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ

(١) الصافات: ١١٢ ـ ١١٣.

(٢) البقرة: ١٢٥.

آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(١) فتفكّر وتبصّر في مدح الله سبحانه من كون إسماعيل ذا عهد من الله تعالى، والآية عامّة وطلبهما من الله جلّ وعلا الذّريّة الطّيبة المسلمة، وحاشا الله تعالى أن يردّ دعاءهما، وليس ذلك إلاّ في ذريّة إسماعيل، وأعظم من ذلك دلالة طلبهما من الله جل وعلا الرسول المبعوث من ذريّتهما الموصوف بتلك الصفات، وهو غير منطبق إلاّ على نبيّنا محمّد ﷺ لأنّه هو الّذي من ذرّيتهما معاً، وقد فقد ذلك إسحاق، فأنّى وأنّى أن يساوي إسماعيل جدّ النّبي الأكبر سيّد البشر محمّد بن عبد الله ﷺ، هكذا يحكي قرآن نبيّنا محمّد ﷺ.

وأمّا تفسير بعض الآيات القرآنيّة الّتي كان يصول بها، بحيث يردّها إلى ما في توراة اليهود، فقد عرفت ما فيها وعدم استلزامها ما يقول، وتصريح الآيات الأخرى بخلاف ما به يجول، وتوراة اليهود لليهود ومن تبعهم، وهو يحذو حذوهم لا لمن يطيع الله ويتدين بدين الله ويعترف بالعبوديّة له، وهمته وغرضه رضاه.

وقد خدع هذا النّصراني القاضي بآية هبة إسحاق ويعقوب، ولم يلتفت إلى ما ذكرنا من آية البقرة النّاصة على الرّسول النّبي الأُمّي المكي محمّد بن

---

(١) البقرة: ١٢٧ ـ ١٢٩.

عبد الله ﷺ، وآية سورة إبراهيم النّاصّة على هبة إسماعيل وإسحاق وما قبلها من المدح لإسماعيل، حتى دعاه ذلك الخداع لأن يقول ما ذكره عنه في الكتاب ممّا لا حاجة لنا به.

ونحن لا ننكر أنّ الله جلّ وعلا جعل في ذريّة إسحاق ويعقوب النّبوة والكتاب، كما نطق به قرآن نبيّنا محمّد ﷺ، وأنّه هدى ورحمة أيضاً، وأنّ بنسلهما تباركت الأرض، ضرورة أنّ الأنبياء بركة على أهل الأرض، ولكن هل يجد في ذلك نفياً لإعطاء إسماعيل وذريته لمثل ما أُعطي إسحاق ويعقوب وذريتهما، فلو قلت لك: «أعطيت زيداً ديناراً» فهل تجد أنّ فيه تعرّضا لحال «عمرو[١]» في الإعطاء نفياً أو إثباتاً؟ أو أنّه ساكت عن حال «عمرو[٢]» فيحتاج حاله إلى بيان آخر، وآيتنا الّتي ذكرناها مبيّنة لحال إسماعيل وذرّيته؟ فلا تخدع أيّها القاضي بهذه التّمويهات والتّلبيسات.

نبينا الأكرم ﷺ في القرآن:

ثمّ إنّه قد ذكر القاضي عن بعض السير النبويّة أسماء نبيّنا محمّد ﷺ وصفاته وبعثه بالنّبوة والرسالة عن بعض كتب الأنبياء السّالفة[٢]، كالتّوراة

(١، ٢) في المخطوط: عمر.

(٢) قد ألفت عدة كتب تبين البشارة بالنبي محمد ﷺ في الكتب السماوية ومنها: كتاب ⟵

والإنجيل والزّبور وصحف إبراهيم، فأنكر صاحب الكتاب وجودها كذلك، والأبعد منه بعد تحريف أعداء الدّين للكتب السماوية، وإسقاط أسماء نبينّا محمّد ﷺ وصفاته ونحوهما مما يتبعه منها، ولكن قرآن نبيّنا محمّد ﷺ مصرّح بها فيها، كما قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ الله وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ الله وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ﴾[1] .

وقال تعالى في سورة الأعراف: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾[2] فلم تكن الآيتان صريحتي الدّلالة في كون

✍ (محمد في الكتاب المقدس) البروفسور دافيد كلداني، دولة قطر، طبعة أولى ١٩٨٥. وكتاب (محمد في التوراة والانجيل والقرآن) لابراهيم خليل أحمد، دار المنار في القاهرة ١٩٨٩. وكتاب (البشارة بنبي الإسلام في التوراة والانجيل) للدكتور أحمد حجازي السقّا، دار البيان العربي بمصر ١٩٨٥، ومنها (بشائر الأسفار بمحمد وآله الأطهار) تامر مير مصطفى، نشر توحيد بقم المقدسة ١٩٩٤ وأخيراً (أهل البيت في الكتاب المقدس) بقلم أحمد الواسطي مطبعة صدرا بقم المقدسة ١٩٩٧م.

(١) الفتح: ٢٩.

(٢) الأعراف: ١٥٧.

محمّد ﷺ مذكوراً باسمه وصفاته ونبوّته ورسالته، وهو وعد بمجيئه في التّوراة والإنجيل، فإذا كذّب هذا النّصراني صاحب السّيرة النبويّة إمّا على كتمان ذلك في الكتابين، أو وجه تحريفهما، حيث أسقطوا منهما ما فيه إبطال تدينهما، فلا يسعه إنكار دلالة الآيتين المذكورتين على ذلك، وما قدح به ما نقل عن السيّرة النبويّة بما في الدّليل في بعض الفقرات الّتي قالها نبيّنا محمّد ﷺ لعمر، فتسقط إن لم يكن تطبيقها على العقل وعلى الكتب السّماويّة والشرائع الدّينيّة، ولا يضر سقوطها بصحّة ما سواها كما لا يخفى.

المطالب المتقدمة:

وحاصل ما تقدّم ـ فراجعه ولا تغفل ـ أنّه قد أقمنا البراهين العقليّة والنقلّية والوجدانيّة على بطلان مذهب النصّارى[1] وحقيّة دين الإسلام من توحيد الله سبحانه وتنزيهه عن الولادة، وأنّ محمّد بن عبد الله بن عبد المطلّب سيد النبيّين وأشرف المرسلين وحبيب ربّ العالمين، وأقرب إلى الله جلّ وعلا من جميع الخلائق أجمعين، وأنّه هو وجميع الأنبياء لم يمسّهم دنس الذّنوب ولا نقص المعاصي صغيرة ولا كبيرة، وأنّ التوراة والإنجيل محرّفتان[2] بالبراهين

---

(١) في نسخة بدل: النصرانية.

(٢) في المخطوط: محرفتين.

المارّة، وأنّ قرآن نبينّا ﷺ ناطق بتحريفهما ومبيّن موضّح لمعجزات نبيّنا محمّد ﷺ وأنّ القـرآن نفسه معجزة له أيضاً ببلاغته وفصاحته الّتي عجز عنها جميع المخلوقين، وغير ذلك.

وإيّـاك ثـمّ إيّاك يا مسلم أن تنخدع أو تغتر بشبه النّصارى وتمويهاتهم، فـإن عجـزت عـن شـيء مـن ذلـك فردّه إلى علماء الإسلام، ولا تقتصر على واحدٍ منهم أو اثنين أو أكثر ممّن تسمّى بالعلم، فلعلّه عاجز مثلك، بل سر في شرق الأرض وغربها وشمالها وجنوبها حتى تصل إلى أهل الذّكر الّذين أمر الله سـبحانه وتعالى بمسألتهم والأخذ عنهم في قولـه تعالى: ﴿ **فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنـتُمْ لاَ تَعْلَمُـونَ** ﴾[1]، وحينـئذٍ فأنـت مجاهد في الله تعالى وقد ضمن لك الهداية في قولـه تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا**﴾[2] والله الموفّق للهداية والسّداد والتّأييد والرّشاد .

---

(١) النحل: ٤٣.

(٢) العنكبوت: ٦٩.

خاتمة

ذكر أيضاً في كتاب سمّاه «مصباح الهدى في التي سرّ الفداء» ما محصّله:

أنّ عيسى لم يعهد منه استغفار الله ولا توبة من ذنب دون سائر الأنبياء لا في قرآن محمّد ﷺ ولا غيره، وهذا يكشف عن علوّ عيسى وارتفاع درجته على جميع الأنبياء، محمّد ﷺ وغيره.

أقول: قد عرفت فيما تقدّم في شرح كلام الفصل العاشر(١) ما فيه غنى وكفاية لأهل الخبرة والدّراية، وقد قال الله سبحانه وتعالى في قرآن نبيّنا محمّد ﷺ له ولخاصته: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الله لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾(٢) وقال تعالى في شأن عيسى عليه السلام: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾(٣) فافهم رمز الخطاب وإشارة الحكيم.

---

(١) تقدم ذلك في صفحة: ١٧٧.

(٢) الأحزاب: ٣٣.

(٣) آل عمران: ٥٥.

ما يُوهم عدم عصمة نبي الإسلام محمد ﷺ:

ثمّ قال أيضاً في الكتاب المذكور:

الثاني: إنه ذكر بعض الرّوايات وبعض الأدعية وبعض الكلمات عن نبيّنا محمّد ﷺ وجعلها قادحة في نبوّته ورسالته، مثل قول النبيّ ﷺ: «أنّه لن يدخل الجنّة أحد بعمله حتى قيل له وأنت كذلك يا رسول الله ﷺ **قال: نعم إن لم يتغمّدني الله برحمته أو بفضله أو بهما»** [١] **على اختلاف الرّوايات، وقال:**

إنّ نفس صاحب القرآن ومشرّع الإسلام محمّد بن عبد الله ﷺ الهاشمي كان له كما ترى جانب[٢] **من الخوف.**

ثمّ قال: وروى بعض عنه أنه كان يتعوّذ بالله من عذاب النّار والقبر أيضاً[٣].

وروي أيضاً أنّه كان يتعوّذ بالله من الكسل والجبن والعجز والهرم[٤] إلى أن **قال: وممّا يزيد هذه الروايات تأييداً شيئان إكثاره من استغفار ربّه، وإجابة الله سبحانه دعاءهُ** إلى أن قال: **وهنا ترى ما يقضي بالعجب العجاب وهو: إذا**

---

(١) اعانة الطالبين ٤: ٣٩١ مثله.

(٢) في المخطوط: جانباً.

(٣) بحار الأنوار ٦: ٢٠٥ ب(٨)، أقوال البرزخ والقبر وعذابه... الخ.

(٤) الكتاب المصنف ٦: ١٧ كتاب الدعاء، ب(٢١)، ح٢٩١١٥، ومثله في ح٢٩١٣٢.

كان محمّد ﷺ يقول: إنه نبي الله جلّ وعلا ورسوله وحبيبه أوّل رسله، وخاتم أنبياءه سيّد ولد آدم، وشفيع أمته يوم القيامة، والله سبحانه يراعي هواه، كما جاء في قوله تعالى: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾(١)، و﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾(٢).

وكما روي «إنّه: والله ما أرى ربّك إلاّ يسارع لك في هواك(٣)» فهو إذاً لذو المقام الأسنى، والأقرب إليه من كل الأحباء العاقلين، وعليه؛ فأيّ محلّ لخوفه من عذاب القبر والنّار، واستعاذة ربّه منهما، أما بُشّر المؤمن بالله ربّه كرسوله بجنّة عرضها السماوات والأرض تجري من تحتها الانهار من اللّبن والعسل وما حوت من شواهق القصور وعذارى الحور؟ أو ما قال: إنّه يشفّع عند ربّه للطائع والعاصي من أُمتّه بحيث لا يبقى أحد منهم في النّار؟ فكيف إذاً هو كذا خائف من عذاب الله العاجل والآجل؟ وهذا شأن غير المؤمنين والاشرار المبتعدين عن الله؛ لا من شأن من هو بمقام نبيّ الله ورسوله المحبوب منه إلى درجة بها يراعي هواه ورضاه: إنّ ذلك: لأغرب كلّ غريب، أفلا ترى ذلك يا صاحبي من محمّد ﷺ سبباً يدعو إلى سقوط الثقة بكلامه، وأنه يشف ويكشف عن ضعف ثقته هو

---

(١) البقرة: ١٤٤.

(٢) الضحى: ٥.

(٣) صحيح مسلم ٤: ١٧٤، وسنن النسائي ٦: ٥٤.

بصحة ما أنبأ وبشّر؟

الجواب على ذلك:

أقول: محصّل كلامه أنّ أحوال محمّد ﷺ مع ربّه وأقواله متناقضة متدافعة، وذلك يدلّ على عدم نبوته ورسالته.

وأقول: ليس شيء أضرّ على الأديان من الجهل المرّكب، فإنّه يدعو صاحبه إلى ما فيه هلاكه وهلاك غيره ممن يصغي إليه ويستمعه أو يميل إليه. وتلك المصيبة الكبرى والبليّة العظمى، فإنّا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله، وعلى كلّ حال فنقول:

إنّ الجهل المركّب بقدرة الله تعالى وسلطنته وقهاريّته التّي هي وراء ما لا يتناهى بما لا يتناهى من غير أن يحد شيء منها أو يؤيّن أو يكيّف هو الدّاعي لإيراد هذه الايرادات الفاسدة، ونشر هذه الاعتقادات الكاسدة، ولكن سنجيب عنه إن شاء الله تعالى بما يريك الحقّ عياناً وتشاهده وجداناً، وتبصّر براهينه المزيّفة لأضداده، والقامعة لإيراده، فاصغ إلى ذلك وتأمّل ما هنالك.

فنقول: إنّ نبيّ الله عيسى من أنزله إلى بطن مريم، ومن حفظه في بطنها، ومن ربّاه وغذّاه، ومن أخرجه من بطن أمّه إلى الدّنيا، وأعطاه الصحّة، وأفاض عليه من النّعماء والكمالات والكرامات والخيرات الظّاهريّة والباطنيّة الدّاخليّة والخارجيّة في الغيب والشّهود، في جوهريّتة وأعراضه، وأعراض أعراضه إلى منتهى وجوداته ممّا لا يعدّها العادّون، ولا يحيط بها الواصفون.

أليست جميع تلك النّعماء والآلاء من عطاء الله سبحانه وكرمه وجوده وامتنانه على نبيّه عيسى؟ وهل يستغني نبيّه عيسى في شيء ممّا ذكر عن الله سبحانه في آن من الانات أو يستقلّ عنه في وقت من الأوقات؟

فإن قلت: إنّ عيسى المتولّد من مريم إلهٌ ثانٍ وضدٌ لله سبحانه.

وإن قلت: إنه لا يستغني ولا يستقل فهو أبداً ودائماً فقير محتاج يطلب بلسان قابليّته ولسان استعداده غناه وسد فاقته من فوارة جود الله جلّ وعلا وكرمه وفضله، ويسأل الله سبحانه باللسانين رفع المؤذيات ودفع المهلكات ومنع الموانع والشواغل والآلام والأسقام في جميع الأكوار والأدوار، في الغيوب والشّهادات؛ فهو أبداً ودائماً واقف على ساحلي بحور الجود والكرم، والفضل والامتنان، وساحلي بحور المؤذيات والمهلكات، والشّواغل والآلام والأسقام؛ فهو يطلب الإمداد طلباً حثيثاً بجميع جهات الطلب من جميع الجهات من الأوّل، ويطلب كذلك من المنع والدفع عن الثاني ضرورة اضطرار الممكن إلى ذينك الطّلبين قبل الدّنيا وفي الدّنيا وفي الآخرة، واحتياجه إليهما وإلاّ لخرج عن الإمكان إلى الوجوب، وانقلبت الحقائق المستحيلة كما برهنّا عليه فيما سبق[١].

وإنّما قيّدنا عيسى عليه السلام بكونه المتولّد من مريم، حيث إنّك لا تنكر

---

(١) المقام الرابع: ٩٩ فما بعد.

كـون هذه الجهة جهةً إمكانيّة دون غيرها، على زعمك الفاسد من كونها جهةً أزلـيّة، وقـد بيّـنا مـا فـيها فيما سبق، فعيسى عليه السلام ومحمد ﷺ وجميع الأنبياء والملائكـة وغيرهم على حدّ سواء في الوقوف على الساحلين في الطّلب بجميع اللسـن: لسـان القابلـيّة، ولسـان الاستعداد، ولسان الحال، ولسان المقال، في جمـيع الأوضـاع، وفي جميع المراتب، وفي جميع العوالم الحقيقيّة؛ للعجز والافتقار إلى الملك القهّار.

الدعاء والطلب من الله كمال حتى للأنبياء:

فالطّلـب المذكـور بجمـيع تلـك اللّسـن طلـب للاسـتقامة والاسـتغناء والاعـتدال والتّكمـيل والكمـال والأكملـيّة وإظهـارا لحقـيقة العـبوديّة، وهو فخرهم وشرفهم ﴿ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾(١)، ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُـمْ إِنَّ الَّذِيـنَ يَسْـتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾(٢) فطلب الأنبـياء: محمّـد ﷺ وعيسـى وغيرهـم مـن الله جـلّ وعلا، ودعاؤهم إن كان نقصـاً فيهم؛ فما عندهم من النّعماء والآلاء من الموجودات والخيرات والعلوم والآداب والكمـالات ونحوهـا هل هي من عند أنفسهم؟ فهم أرباب مستقلّون

---

(١) الفرقان: ٧٧.

(٢) غافر: ٦٠.

عن الله أغنياء، وان كانت من عند من هو مثلهم فذلك المثل هو ربّهم، وليس بأولى من العكس، فيكونون(١) أرباباً لغيرهم وبالعكس، فتعدّدت الأرباب والشّركاء لله تعالى.

وما أظن أنّ هذا النّصراني يرضى بهذه الملعبة وهذه الخرافات، وإن يرض بها أقعده عنها بيّن البرهان وضرورة العقول والأديان، فهي من عند الله جلّ وعلا، وليس حيث أعطى من أعطى خرجت عن ملكه وتصرّفه، بل هي في يده وفي قبضته يبقيها ويزيدها ويمدّها وينقصها ويرفعها ويضعها بما يشاء كيف يشاء، هو المالك لما ملكه غيره، والقادر على ما قدر غيره عليه.

وحينئذٍ فقد قامت الحجّة وظهرت المحجّة، واتضّح البرهان بنور اليقين والإذعان، فلم يبق إلاّ غرور الجهل المركب والعناد والإلحاد، فيستعيذ كلّ نبيّ ورسول: محمّد ﷺ وعيسى عليه السلام وغيرهما من النّار ومن عذاب القبر، وغيرهما من الأخلاق الذميمة، كالفجر والكسل والجبن والهرم والبخل ونحوها، مما لا يحبّها الله جلّ وعلا وغيرها من المؤذيات الدّنيوية والمهلكات الأُخروية فيستعيذون ويتوسّلون ويتضرّعون ويدعون ويطلبون من الله جلّ وعلا أن يكفيهم ذلك، ويقيهم شر ما هنالك، على الدّوام والاستمرار كما أنهم أيضاً يدعون ويطلبون بذلّ العبوديّة وخضوع المخلوقيّة، وفقر الإمكانيّة

---

(١) في الأصل: فيكونوا.

من بحور الجود والكرم، والفضل والامتنان، والرّحمة أبداً ودائماً، من غير غفلة ولا فترة ولا سكون ولا وقوف، بل هم في الحركة الطّلبية الدّعائية من جميع الجهات اللّسن، ولذا قال نبّينا محمّد ﷺ: «الفقر فخري وبه أفتخر[1]».

إنّ فقره إلى الله تعالى وانقطاعه إليه؛ هو فخره، إذ لا زال شاخصاً ببصره إلى الله تعالى، داعياً طالباً منه، رافعاً اكفّ الدّعاء إليه، فأعطاه سبحانه وأغناه، وقرّبه وأدناه، وملّكه رقاب من سواه، فكان في الفقر المذكور فخره وغناه، وولاّه القبلة الخاصّة، وأعطاه ما اعطاه لرضاه، وملّكه الدّنيا والآخرة، فهو الشفيع للعصاة، وقسيم الجنّة والنّار، وسلطان الحساب والثّواب والعقاب: ﴿ **هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾[2] فما فقده الله تعالى من بدئه إلى منتهاه حيث يحب، وما وجده كذلك حيث يكره، فهو العبد الشكور: ﴿ **لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ** ﴾[3]، وجميع ما أعطى نبيّه وحبيبه وسيّد رسله، فهو في قبضته وفي ملكه وتحت تصرّفه، من غير فرق فيما قبل الإعطاء ومعه وبعده، ومع هذا كلّه فقد بلغ نبيّنا محمد ﷺ في الرّجاء من الله جلّ وعلا، والخوف منه إلى حدّ لم يصل إليهما غيره من جميع الخلائق: الأنبياء

---

(١) بحار الأنوار ٦٩: ٣٠.

(٢) ص: ٣٩.

(٣) إبراهيم: ٧.

والملائكة وغيرهم، ضرورة أنّه من لوازم أقربيّته إلى الله جلّ وعلا من جميع من سواه.

أمّا الرّجاء فظاهر وأما الخوف فلما ظهر له من هيبة الله جلّ وعلا وكبريائه وقدرته، لا لعصيانه وذنوبه كما تزعم، وأنا أُعطيك آية بها تعلم أنّ خوف نبيّنا محمد ﷺ لما ذكرنا أنّه لّما تجلّى الله سبحانه لموسى عليه السلام على الجبل كيف تدكدك، ومات السبعون[1] رّجلاً الّذين مع موسى، وخرّ هو صعقاً؛ هل ترى ذلك لمعصية وذنوب فعلهما موسى أو فعلهما الجبل؟! وكذلك لو دخلت على ملك من ملوك الدّنيا عادل ورأيت ما هو عليه من هيبة الملك والسّلطنة، من كثرة الجنود والعساكر، والحجاب والبوّاب، مع هيئة العزّة والمنعة في الجميع، فهل ترى أن تقدر بأن تقول بانّه لا يأخذك خجل ولا وجل ولا اضطراب ولا خوف؟ وإن كنت غير مرتكب لشيء من محارمه ولا تارك لشيء من أوامره.

فإن قلت: انّه لا يأخذك شيء من ذلك، وإنّما جلوسك معه كجلوسك مع أخيك وابن عمّك وولدك؛ فقد أنكرت ضرورة الوجدان.

وإن قلت: نعم فليس ذلك إلاّ للهيبة والعزّة، إذ المفروض عدم معصيته فكيف بهيبة ملك الملوك وعزّة جبّار الجبابرة، وسلطنة قاهر السلاطين

---

(١) في الأصل: ماتت السبعون الرجل وهو خطأ. وما أثبتناه هو الصحيح.

والأكاسرة، ربّ الأرباب؟! فهل يلام محمّد بن عبد الله نبي الله ورسوله ﷺ أن يكون شديد الخوف والرّجاء من الله جلّ وعلا ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾(١) أو ذلك ينقصه أو أنّ ذلك يرفعه درجات ويمنحه عطّيات ويسمو به على جميع المخلوقات؟! فاشرب عذباً صافياً، ودفع عنك غوالس الأوهام وزخارف الأرقام وتمويهات الأقلام.

وبالجملة؛ فقد بان لك واتّضح أنّ شدة خوف نبيّنا محمّد ﷺ من الله تعالى لا ينافي شيئاً ممّا أعطاه الله جلّ وعلا، ولا يعارضه ولا يناقضه، وأمّا غفران الله سبحانه فقد مرّ عليك فيما سبق بيانه، وأنّ ذلك لا يستلزم المعصية الحقيقية كما عرفته مفصلاً(٢).

وأمّا أنّه ((لا يدخل الجنّة أحد بعمله)) فهو صحيح مطابق للوضع الأصلي من غير فرق بين الملائكة والأنبياء والرّسل وعيسى عليه السلام ومحمد ﷺ وغيرهم؛ لأن جميع من سوى الله كلّهم عبيد أرقّاء له سبحانه، وقد أفاض عليهم من النّعماء والآلاء قبل الدّنيا، وفي الدّنيا بما لا تنهض أعمالهم وطاعتهم له بمقابلة نعمة واحدة من تلك النّعماء والآلاء، فلا يكون دخول أحد الجنّة والتلذّذ بملاذها عوضاً وجزاءً للعمل لأنّ العبد المملوك الرّق لا

---

(١) فاطر: ٢٨.

(٢) عند البحث حول عصمة الأنبياء: ١٨٢، وكذا في الخاتمة: ٢٧٣.

يستحق على مولاه مجازاة.

أترى انّه لو كان عندك عبد مملوك رقّ طائع لك في جميع أوامرك ونواهيك، ماضٍ[١] على محبّتك وإرادتك في جميع الأشياء، وأنت قائم بمؤونته من نفقته وكسوته وما يتبعهما على ما ينبغي، من غير تقصير في حقّه، فهل ترى أنّه يستحق عليك الجزاء عن الخدمة بعد موته؟ فلو خلّف أولاداً صغاراً ونفعتهم ببعض المنافع الدّنيويّة وأعطيتهم شيئاً من حطامها، فهل ترى أنّ ذلك جزاء أبيهم أو أنّه معروف وفضل وامتنان وتكرّم ورحمة منك عليهم؟ ومثله الفرس والبغل والحمار ونحوها من الأشياء المملوكة لك، فجميع الخلائق إنّما يدخلون الجنّة ويتنعمّون ويتلذّذون بما فيها كلّه من فضل الله وكرمه وجوده ورحمته.

فكلام نبيّنا محمد ﷺ نور إلهيٌّ وإلهام ربّاني، وهذا الكرم والجود والفضل والامتنان من الله جلّ وعلا هي الّتي قضت بالوعد من الله سبحانه بإثابة الطّائعين ودخولهم في الجنّة مخلّدين، كما أنّ عدله جلّ وعلا قضى بالوعد والوعيد على تعذيب الكافرين والمشركين والجاحدين والمنافقين وخلودهم في النّار أجمعين، ولن يخلف وعده أبداً وقد جعل الله سبحانه وتعالى ذينك الدّخولين جزاءً للأعمال، أمّا للطائعين المنقادين له فبمقتضى الجود

---

(١) في الأصل: ماضياً.

والكرم والفضل والرّحمة، وأمّا للعاصين فبمقتضى إعراضهم واستكبارهم وعتوّهم في الاعتقادات والأفعال والأقوال، ولم يجعل نعماءه وآلاءه الدّنيويّة على الفريقين جزاءً لهم وعوضاً، بل فضلاً وجوداً وكرماً وامتناناً، مع أنّهم إنّما أطاعوه وعصوه بما أنعم به عليهم مما لا يخفى، ولا ينكر أحد شيئاً من ذلك إلاّ فاقد البصيرة مخالف لضرورة العقول والأديان، أو جاهل قاصر أو معاند مكابر، فقد ظهر واتّضح أنّ نبينا محمداً ﷺ أصدق الصّادقين والمبرّأ من جميع عيوب المخلوقين، والشفيع للعصاة يوم الدّين، وأنه ذو المقام الأعلى عند الله جلّ وعلا، وأنّه لا يساويه ولا يصل إلى مقامه أحد من الأنبياء لا عيسى عليه السلام ولا غيره، كما هو في الغاية من الوضوح.

عودة إلى التحريف في الكتاب المقدس:

قال: وإن قلت كقول كثير من المسلمين غير المتعقّلين، ولا لنص قرآنهم بخصوص المسيح متدبّرين: قد تطرق التحريف إلى الكتاب فلا تقدر أن تعتمد على نصوصه وتأخذ بأقواله.

قلت: ليس ذلك إلاّ وهم محضٌ منهم يضمحل بالتّروي والتّحقيق من وجهين.

أقول: الّذي يقول بتحريف التوراة جميع المسلمين لا بعضهم أو خاصّهم، وقرآن نبيّهم ﷺ ينادي بأعلى صوته يسمع كلّ أحد، وقد مرّ ما فيه غنى وكفاية، وليس هو من الوهم في شيء.

قال الوجه الأوّل: إنّ التحريف لا يكون إلاّ لغاية في نفس المحرّف، إمّا كيد

عدو، أو لزوال نعمة محسود، أو لجر مغنم.

أقول: هذه الغايات الثلاث كلّها موجودة في نفس اليهود، حيث إنّهم لمّا رأوا صفات محمد ﷺ في توراتهم من كونه مسفهاً لآرائهم، ومذلاً لهم ومعطّلاً لأديانهم، وكاسراً لشوكتهم، وماحياً لسلطنتهم ومستعلياً عليهم عادوه قبل خروجه، وحسدوه وموّهوا بإسقاط الصفات المذكورة من التوراة على غيرهم حتى تنتظم أمورهم وتدوم شوكتهم وتدوم سلطنتهم، فجرّوا بذلك مغنماً لهم كما لا يخفى.

قوله: **وليس من عاقل إذا قرأ التّوراة يشم منها رائحة البشرية.**

أقول: يعني أن التّحريف كلام بشري، والتوراة كلام إلهي، والعاقل يميز بين الكلامين، وهذا كله صحيح، فإن عقلاء المسلمين قد ميّزوا المحرّف منها عن غيره، فكون عيسى ابناً مولوداً لله جلّ وعلا، وأنّه الاقنوم الثّاني وتعدّد الأقانيم الثّلاثة الأزليّة، ونحو ذلك من الخرافات التي تمجّها الطّباع وتملّها الأسماع، وتنكرها ضرورة العقول والاديان، ويشهد بكفر قائلها ومعتقدها القرآن، إذا لم تشم منه رائحة البشريّة؛ فأين رائحتها حينئذٍ؟

ثمّ قال ما محصله: **إن عدم تحريف اليهود ما في التوراة عن شخص سيولد من عذراء في بيت لحم يهوداء من سبط يهوداء أو من ذرية داود[1]... الخ دليل على عدم وقوع التّحريف مطلقاً فيها.**

---

(١) العهد الجديد: ٤، إنجيل متّى، الأصحاح الثاني.

أقـول: إنّمـا يغـيّر الغير ويحرّف لأحد الوجوه الثّلاثة الّتي ذكرتها المجتمعة كلّهـا فـيهم بالنسـبة إلى محمّـد ﷺ كمـا ذكـرنا، بخلاف عيسى عليه السلام فإنّه وإن حصـل الحسـد والعـداوة لـه، لكـن أعظـم الثّلاثة جرّ المغنم، وهو حاصل لهم لكـون عيسى عليه السلام غير متصدٍّ لمنابذتهم ومحاربتهم وكسر شوكتهم وقمعهم عمّا هـم علـيه بالقهـر والغلبة، بخلاف أحوال نبيّنا محمّد ﷺ معهم، كما قد عرفوا ذلك من توراتهم، فإذا لم يحرّفوا شيئاً بالنسبة إليه؛ لم يقع تنافٍ عمّا هم عليه.

والحاصل: إنّ عـدم تطّـرق الـيد البشـريّة التحريفيّة في الكتب السّماويّة إنّمـا هو لوجود الحاجز من تقوى من الله، وهو منتفٍ في اليهود كما لا يخفى، فـيحرّفون ويلعـبون في أديـانهم عـلى ما تميل إليه أهواؤهم، وكذلك نقول في تحريف الإنجيل وغيره من الكتب السّماوية.

استدلاله من القرآن على سلامة الكتاب المقدس:

قـال: **الوجـه الـثاني**: **شهادة القرآن للكتاب شهادة تنزّهه عن شائبة التّحريف والتّصحيف من أربعة وجوه**:

[الوجـه]الأوّل: **نعته للـيهود والنّصارى بأهل الكتاب في عدة مواضـع مـنه...**

إلى أن قال: **ولو اعتبرهم القرآن محرّفين للكتاب ما نعتهم بأهله.**

أقول: قد مرّ تفصيل الجواب عن هذا في (الفصل) الثّالث فراجعه[1].

---

(١) تقدم في المقام الرابع: ١٤٢، الدليل الثالث على سلامة التوراة مع رده.

قال: الوجه الثاني: اتهّام القرآن أهل الكتاب بأنّهم يشهرون في كتابهم نعت محمّد ﷺ وصفته، حتى إنهم يعلمون أنّه نبي الله جلّ وعلا، ورسوله ﷺ، كما يعلمون أبناءهم وينكرونه، ولا يخفى على البصير ما بهذا النّص من تنزيهه أهل الكتاب عن تحريف كتابهم؛ لأنّهم لو راموا تحريفه لنزعوا منه ذلك الوصف والنّعت لنبي لا يكون منهم.

أقول: محصّل هذا الوجه أنّ القرآن الشّريف مصرّح بنعت محمّد ﷺ ووصفه بأنّه نبيّ الله ورسوله في التوراة والإنجيل، وذلك معلوم عند أهلهما حتى إنّهم يعلّمون ذلك أولادهم وإن أنكروه بحسب اعتقادهم، فقد شهد القرآن الشّريف بوجود ذلك في الكتابين، فلو تطرّقهما تغيير وتحريف لحرّفت تلك النّعوت والأوصاف المذكورة بالطّريق الأولى، ولما صحّ للقرآن أن يثبتها في الكتابين.

أقول: إنّ التّوراة والإنجيل الإلهيّين المنزلين من عند الله على نبييه موسى وعيسى هما أهل الوصف والنّعت المذكورين، كما نطق به وحي ربّنا على لسان رسوله وسيّد رسله محمّد بن عبد الله ﷺ في قرآنه، وهما مأمونان عن التحريف والتّصحيف والتّزوير، محفوظان عند أهلهما أهل الأمانة والصّيانة والديانة، المبرّئين المطهرين عن الأوساخ والأدناس ﴿**الله أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ**﴾[1] واللذان تطرقهما أيدي التّحريف هو ما عند اليهود والنّصارى،

---

(١) الأنعام: ١٢٤.

ومـا يـتداولونه ممّا يسموّنه توراة وإنجيلاً، وقد تقدم ما فيه غنىً عن البيان، مع أنّـه قـد مرّ القول منك بخلو ما في أيديكم من التّوراة والإنجيل من نعت محمد ﷺ ووصفه.

قـال: **الوجه الثالث: إنّ القرآن قط لا يتّهم أهل الكتاب بتحريفه لفظاً أو بتغيير أو تبديل بعض فيه... الخ.**

أقـول: هـذا كـذب وزور وافتراء على القرآن، نعم بل هو ينص ويصرّح في عـدّة مواطن منه بالتّحريف ألم يقل القرآن ﴿ **قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ * اللهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ** ﴾(١)، وقلتم في توراتكم وإنجيلكم بأنّ عيسى ابن الله جلّ وعلا وولده؟ وقلتم فيهما: إنّ الله ثالث ثلاثة أي الأقانيم الثّلاثة؟ وقال القرآن الشّـريف: ﴿ **وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلاَّ إِلَـهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾(٢) ونحو ذلك.

قـال: **الوجه الرّابع: الأمر في القرآن لمحمّد ﷺ بسؤال قارئي الكتاب من قبله لإزالة ما خامره من الشك فيما أُنزل إليه بقوله تعالى: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ﴾**(٣) في سورة

---

(١) الإخلاص: ١ ـ ٣.

(٢) المائدة: ٧٣.

(٣) يونس: ٩٤.

يونس... إلى أن قال: وعليه نقول: هل يعقل عند المسلم النّبيه الحاذق أنّ الله يأمر رسوله بسؤال قوم لعبوا بكتابه، بأن حرّفوه حسب أهوائهم عمّا خامره من الشكّ فيما أُنزل إليه من القصص والإعلام عن الآباء والأنبياء المتقدّمين؟.

أقول: أما سمع هذا الرّجل أنّ من المحاورات العربيّة النّطقيّة خطاب «إيّاك أعني واسمعي يا جارة» وقد جاء أيضاً في قرآن نبيّنا محمّد ﷺ نحو ذلك في قوله تعالى: **﴿فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ الله عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾**(١) فلو خصّ أبناءهم ونساءهم وأنفسهم باللّعنة لما ركنوا ولما رضوا بذلك، وكذلك قوله تعالى خطاباً لنّبيه ﷺ: **﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾**(٢)، إذ لو قال: لهم أنتم على الضلالة دوننا لنفروا عن استعلام الحال، والّذين هم على الشكّ وداخلتهم الخمرة في الآية الشريفة المذكورة؛ قوم اقترحوا من أنفسهم على الله عزّ وجلّ أن تكون النبوّة في ملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا يمشون في الأسواق، كما حكى الله جل وعلا عنهم في آية أخرى: **﴿ مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا ﴾**(٣)

---

(١) آل عمران: ٦١.

(٢) سبأ: ٢٤.

(٣) الفرقان: ٧.

وقال أيضاً: ﴿ **لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ**﴾[١] كما حكاه سبحانه وتعالى عنهم أيضاً.

فالشّك في نبوّة النبيّ ﷺ لكونه بشراً منهم ولهم، لا من نبيّنا، ولكن نسب إليه في الظّاهر توطئةً لانقيادهم وإذعانهم إلى السؤال المذكور في الآية الشريفة، إذ لو نسب إليهم ظاهراً لاستنكفوا واستكبروا، فلا يحصل الغرض المقصود من هدايتهم إلى الحق، فيكون معنى الآية الشّريفة: ان كنتم على دعواكم واقتراحكم نبوة الملائكة، كما هو واضح لمن يعرف رمز الخطاب وإشاراته وتنبيهاته، وإنّما عبّر في الآية الشريفة بالشّك؛ لأنه أدعى للسؤال وأميل إلى تركهم اعتقادهم الفاسد.

وأمّا قوله: هل يعقل عند المسلم العاقل النّبيه.. الخ.

فأيّ ربط في هذا بين سؤال القرّاء من أهل الكتاب عن كون الأنبياء السّالفين؛ من البشر لا من الملائكة، وبين تحريف التّوراة والإنجيل كما لا يخفى؟! فمعنى الآية الشّريفة: فإن كنت يا محمد مجادلاً لأناس ذوي شك ممّا أنزلنا إليك من النبوّة والرسالة، فاسأل قارئي الكتابين: اليهود والنّصارى بحضور الخصماء إن كان فيما قبلك من الأنبياء ملائكة ليسوا بشراً من

---

(١) الفرقان: ٢١.

النّاس، فإنّه زجر لدعواهم، وإبطال لشبهتهم ووهمهم كما هو واضح، فهو إرجاع إلى أمر قد وجد في سابق الأزمان، وتسالمت عليه الطّبقات، وإن لم يكن مسطوراً في الإنجيل والتوراة، ولو قلنا: إنّ ذلك موجود في الكتابين، وسؤال القراء كناية عن الرّجوع إليهما، فليس كون الأنبياء بشراً من النّاس لا من الملائكة ممّا يضر في العقائد الفاسدة لليهود والنّصارى حتى يلتجئوا إلى التّحريف، وهذا بيّن واضح.

التمسك بنعمة الإسلام:

وبالجملة فالعقل والقرآن وضرورة الأديان كلّها متطابقة على وقوع التّحريف في الكتابين التّوراة والإنجيل، فلا تغتر أيها المسلم بشبه المشبّهين وتمويهات المموّهين، وكن ثابتاً مستقراً على دينك، ولا تبدّل نعمة أنعم الله بها عليك، واستغرق أوقاتك ولياليك وأيّامك بالحمد لله جلّ وعلا، والشكر له والثّناء عليه، حيث وفقك للهداية إلى دين الإسلام، وجعلك من أمّة سيّد الأنام، ورسول الملك العلاّم، ومتبعاً لمنهاجه وشريعته ومستناً بسنّته، وسالكاً لطريقته.

نسأل الله سبحانه أن يثبتنا على ذلك، وأن يمنحنا فيه البصيرة واليقين وأن يجعلنا في ظل لوائه يوم الجزاء والدّين نحن وجميع المؤمنين والمسلمين والحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على سيّد أنبيائه ورسله محمّد بن عبد الله بن عبد المطّلب بن هاشم وعلى آله وخاصّته وخالصته وأحب الخلق إليه من

جميع المخلوقين.

وهـذا آخـر مـا انتهى إلينا من هذا الكتاب المستطاب، وقد وقع الفراغ مـن تسـويده يـوم الأحد سابع جمادى الثانية من سنة ١٣٣٢هـ الثانية والثّلاثين مـن المائة الرّابعة من الألف الثاني في هجرة سيّد الخلق أجمعين ﷺ، على يد أقـل الـناس عـلماً أحمـد بـن حسـين بـن محمـد بن علي بن خليفة بن عمار الأحسائي اللهم اغفر لـه وللمؤمنين أجمعين وصلى الله على محمدٍ وآله.

اللهم عجل فرجهم، وفرج عنا بهم يا كريم.

فهرس الآيات القرآنية

أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ * وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ * وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ * فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ * فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلآئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ * قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ * قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ ٢٥١
مَّسْنُونٍ * قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ * قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ * قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا
مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ ٢٦٥
يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾

﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ ١٤٧

﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ الله لاَ تُحْصُوهَا﴾ ١٩٨

﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم ٢٢٥
مِّن دُونِ الله إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِالله وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ ١٦٦

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ * قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ * قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ * قَالَ أَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ إِنَّكَ مِنَ المُنظَرِينَ * قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ * قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْؤُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ
٢٥٢ * وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ * فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ * وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ * فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَآنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ * قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا * وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلا إِبْلِيسَ أَبَى * فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى * إِنَّ لَكَ أَلا تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَى * وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَى * فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ
٢٥١ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى * فَأَكَلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى * ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى * قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى﴾

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * إِذْ تَقُولُ
٢١٩ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاَثَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُنزَلِينَ * بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَـذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ

فهرس الأحاديث

محتويات الكتاب

المقام الأول

المقام الثاني

المقام الثالث

المقام الرابع